# أهل الذمة

## في المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة الموحدين



الدكتور
علي فليح عبدالله الصميدعي





دار غيداء للنشر والتوزيع

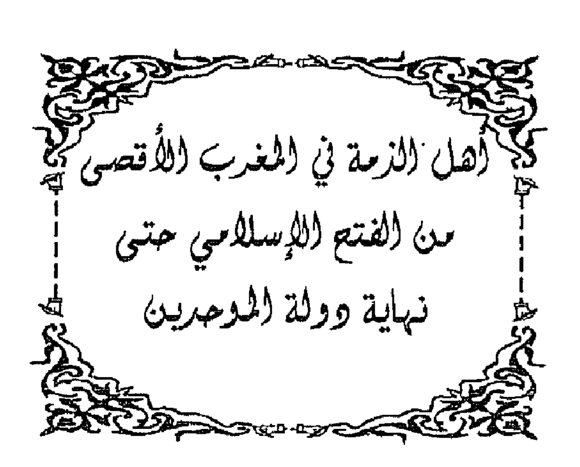
تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلـــوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com






أهل الذمة في المغرب الأقصى
من الفتح الإسلامي حتى
نهاية دولة الموحدين

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ( 2013/7/2523 )

الصميدعي، علي فليح

أهل الذمة في المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة الموحدين/ علي فليح الصميدعي-
عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع 2013
( ) ص

ر.إ: ( 2013/7/2523 ).

الواصفات: / التاريخ

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



ISBN 978-9957-572-31-0






تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس: 5353402 6 962+
خلـــوي: 95567143 7 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

# أهل الذمة

## في المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة الموحدين

الدكتور

علي فليح عبد الله الصميدعي

الطبعة الأولى

2014م – 1435هـ

# الفهرس

المقدمة........................................ 9

تحليل المصادر........................................ 14

التمهيد........................................ 23

أولاً: أهل الذمة........................................ 23

عقد الذمة........................................ 25

أحكام أهل الذمة........................................ 26

تاريخ الجزية........................................ 27

ممن تؤخذ الجزية وعلى من تجب........................................ 28

تقسيم الجزية إلى قسمين أساسين........................................ 31

حقوق أهل الذمة........................................ 33

المعاملات المالية والتجارية لأهل الذمة........................................ 36

الحياة الاجتماعية لأهل الذمة........................................ 36

ثانياً: سكان بلاد المغرب........................................ 37

أصل البربر........................................ 38

أقسام البربر........................................ 39

تقسيم قبائل المغرب........................................ 40

ثالثاً: الجغرافية العامة لبلاد المغرب الأقصى........................................ 42

تسميات بلاد المغرب........................................ 42

أهم الأقاليم الجغرافية لبلاد المغرب........................................ 43

أهم المميزات الجغرافية للمغرب الأقصى........................................ 46

## الفصل الأول

## الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية

والاقتصادية لأهل الذمة ........................................ 51
أولاً: الحياة السياسية لأهل الذمة ........................................ 53
ثانياً: الحياة الاجتماعية لأهل الذمة ........................................ 64
الحياة الاجتماعية عند اليهود ........................................ 71
اعياد اليهود ........................................ 73
اليهود في المغرب الاقصى........................................ 75
الحياة الاجتماعية عند النصارى........................................ 82
المناسبات والاعياد عند النصارى ........................................ 83
النصارى في بلاد المغرب الاقصى ........................................ 85
ثالثاً: أثر أهل الذمة في الحياة العلمية والادبية في المغرب الاقصى........................................ 92
أولاً: أثر أهل الذمة في الحياة الادبية والفلسفية ........................................ 92
ثانياً: الطب عند أهل الذمة ........................................ 95
رابعاً: الحياة الاقتصادية لأهل الذمة ........................................ 99

## الفصل الثاني

## الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى

أولاً: بدايات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى ........................................ 111
ولاية عبد الله بن ابي سرح ........................................ 112
ولاية معاوية بن حديج السكوني عام 45 هـ........................................ 114
ولاية عقبة بن نافع سنة 50 هـ وبداية الفتح المنظم ........................................ 115
ولاية ابو المهاجر دينار سنة 55 هـ........................................ 116
ولاية عقبة بن نافع الثانية سنة 62 هـ وفتحه لبلاد المغرب الاقصى........................................ 117

ولاية زهير بن قيس البلوي سنة 69 هـ ........................ 122
ولاية حسان بن النعمان الغساني 74 – 85 هـ........................ 125
ولاية موسى بن نصير سنة 85 هـ/ 704م........................ 128
ثانياً: معاملة الفاتحين لأهل الذمة في المغرب الأقصى ........................ 130
ولاية عقبة بن نافع........................ 135
ولاية أبا المهاجر دينار سنة 55 هـ/ 675 م ........................ 140
ولاية حسان بن النعمان الغساني سنة 74 هـ – 85 هـ ........................ 141
ولاية موسى بن نصير سنة 85 هـ/ 704م........................ 145
**ثالثاً: عصر الولاة في المغرب الأقصى ومعاملة أهل الذمة ........................ 147**
**أولاً: عصر الولاة منذ انتهاء عمليات الفتح حتى وفاة عمر بن عبد العزيز... 148**
**ثانياً: عصر الولاة في بلاد المغرب منذ وفاة عمر بن عبد العزيز إلى نهاية الدولة الأموية 101 – 132 هـ........................ 153**
**انتفاضة البربر على الدولة الأموية ........................ 160**
**ثالثاً: عصر الولاة منذ سقوط الدولة الأموية وحتى ظهور الدول المستقلة ... 162**
**الفصل الثالث: الدول التي ظهرت في المغرب الأقصى من نهاية عصر الولاة حتى نهاية عصر الموحدين ومعاملتها لأهل الذمة ........................ 171**
أولاً: أمارة برغواطة الضالة 125 – 542 هـ ومعاملة الدول لها ........................ 171
ديانة برغواطة........................ 174
ثانياً: الدولة الصفرية دولة بني مدرار 140 – 354 هـ ........................ 178
الاوضاع السياسية في دولة بني مدرار........................ 180
ثالثاً: دولة الادارسة 172 – 305 هـ........................ 181
بداية نشأة الدولة ........................ 182

ولاية ادريس بن أدريس وبنائه مدينة فاس ........................................ 189
بناء مدينة فاس ........................................................................ 190
دولة الادارسة منذ ولاية محمد بن ادريس حتى نهايتها ........................ 192
رابعاً: دولة المرابطين ................................................................ 195
بدايات ظهور دولة المرابطين ........................................................ 196
جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وخوض معركة الزلاقة .................. 204
دولة المرابطين منذ وفاة يوسف بن تاشفين إلى قيام دولة الموحدين 500 – 541 هـ
خامساً: دولة الموحدين ............................................................... 213
ولاية عبد المؤمن بن علي 542 – 558 هـ ........................................ 217
ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن 558 هـ .......................................... 219
ولاية امير المؤمنين يعقوب المنصور ................................................ 221
ولاية محمد الناصر حتى نهاية دولة الموحدين ...................................... 224
الخاتمة ................................................................................... 227
المصادر والمراجع ..................................................................... 233

# المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد ان لا اله إلى الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن اصدق الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي نبيه محمد ﷺ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾[1] وقال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[2] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3].

ان التأريخ الإسلامي ما زالت فيه صفحات كثيرة مطوية ولم يسلط الضوء عليها، وهناك صفحات أخرى قد تعرضت للتشويه من قبل بعض الكتاب المسخرة للعبث بتاريخ هذه الأمة، وهذا هو الجزء الأخطر فإنها تحتاج إلى تمحيص وتدقيق.

ولا أخفي المعاناة الكبيرة التي يعاني منها الباحثون في تاريخ المغرب، إذ ان كثيراً مما ورد في المصادر العربية من اخبار على قلتها وخصوصاً في الحقبة المحصورة ما بين الفتح الإسلامي وقيام دولة المرابطين، يعوزها الدقة والترابط ويكتنفها الغموض، فان قسماً منها يصل إلى حد التناقض الكبير بين تلك الروايات، وان قسماً كبيراً ممن كتب عن تاريخ المغرب يعود إلى عصور متأخرة عن تلك الأحداث، مما أوجد صعوبة في التوفيق بين تلك الروايات والأحداث.

ان المجتمع الإسلامي لم يخل من وجود غير المسلمين في طبقات المجتمع في أي عصر من العصور، ولا عجب في ذلك فإن الإسلام لا يكره الناس على الإسلام، ولايمنع أحداً

---

(1) سورة طه آية 99.

(2) سورة هود آية 100.

(3) سورة الاحزاب آية 70.

من البقاء والعيش في بلادهم رغم اختلافهم في الدين والعقيدة، وليس من تمام الإيمان بهذا الدين القطيعة مع الأديان الأخرى.

ان أهمية هذه الكتاب المتواضعة هي كشف النقاب عن هذه الفئة من المجتمع في بلاد المغرب الأقصى والتي عاشت جنباً إلى جنب مع المسلمين واسهمت بشكل او بآخر في اثراء الحياة العلمية والاقتصادية. وتكمن أهميته في جوانب عدة منها:

1. الدعوة الإسلامية بطبيعتها دعوة عالمية منذ بزوغ فجر الإسلام وفي مراحل تطورها اللاحقة، خصوصاً في ظل الفتوحات الإسلامية وفي ظل قيام الدول الكبرى فيها، والتي قامت على أسس دينية وكيفية علاقتها بغيرها من الجماعات أو الأمم الأخرى، ومدى تطبيقهم للشريعة الإسلامية.
2. الموضوع من جوانب أخرى جدير بدراسة علمية معمقة وواسعة خاصة وانه موضوع الساعة الذي يشغل المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، لأنهم قد وقعوا تحت حكم الطغاة والبغاة من الشرق والغرب فساموا الأمة سوء العذاب في حرياتهم وكرامتهم ودينهم وسائر أمورهم.
3. تبيان معالم الإسلام ومآثره الخالدة بعد أن كادت تطمس في أعين الناس وتخلط عليهم وجوه الحق نتيجة رواسب الظلم والجهالة، والتي زينت لعقول المتأخرين ولاءهم إلى حضارة الغرب فغرتهم بهرجته وافتتنوا بمدنيته الزاهرة، واعجبوا بأنظمته وقوانينه السائده ونسوا الإسلام أو تناسوه، الذي أكد على الوفاء بالعهود والعدل بين الرعية وينهي عن الأخذ بمبدأ مصلحة الدولة والفرد في خلاف ذلك.
4. ان اغلب الدراسات التي عنيت بدراسة احوال اهل الذمة في المجتمع الإسلامي تجاهلت أحوال أهل الذمة في بلاد المغرب الاقصى، فالدراسة التي قام بها د. توفيق اليوزبكي تناولت أهل الذمة في العراق، والدراسة التي قام بها د. قاسم عبده تناولت اليهود في مصر دون النصارى، أما الدراسة التي قام بها د. عبد الواحد ذنون التي تناولت الفتح والاستقرار في المغرب لم

يتطرق إلى هذه الجماعة إلا بشكل ثانوي وكأنها غير موجودة، وحتى الدراسة التي قام بها د. خالد يونس الخالدي اليهود في الدولة الإسلامية قد اقتصرت على اليهود دون النصارى، بالرغم من حالة التقارب التي كان يعيشها هؤلاء خصوصاً بعد ان اصبحت الأندلس جزءاً من كيان الدولتين المرابطية والموحدية.

تناولت الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد المغرب لم تتطرق إلى هذه الطائفة إلا بشكل مقتضب جداً لم تتعد الفقرة أو الفقرتين، وفيما عداها فقد كان التركيز في الدراسات الاكاديمية على الاوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في البلاد، وهذا ما دفعنا إلى محاولة التعرف على طبيعة هذه الجماعة وكيفية معيشتها، وكنا متفائلين بعض الشيء حول المادة العلمية التي قد ترقى إلى اهمية الموضوع وحساسيته، إلا ان شيئاً من ذلك لم يحصل حيث فوجئنا بندرة الاخبار الواردة عنهم وعن طبيعة حياتهم وهذا ما صعب مهمة والتقصي عنهم، لذلك فاني قد بذلت جهداً كبيراً في استنباط تلك المعلومات من مصادرها وتحليلها.

**ابواب الكتاب وفصولها**

لقد أرتأينا في تناولنا لهذه الكتاب ان يقسم على تمهيد وثلاثة فصول تعقبها خاتمة.

وقد افردنا التمهيد فيها حول أهل الذمة في اللغة، والاصطلاح، مع ذكر بعض احكام أهل الذمة العامة في الإسلام دون ذكر التفاصيل، ومن اراد الاستزادة فليراجع أحكام الذميين والمتأمنين للدكتور عبد الكريم زيدان، ويحتوي كذلك التمهيد على سكان بلاد المغرب الأقصى من البربر واقسامهم، وجغرافية المغرب الأقصى.

أما الفصل الأول فقد خصصناه لدراسة أحوال أهل الذمة في المجتمع الإسلامي، وقد قسم هذا الفصل على اربعة محاور رئيسية، وقد تناول القسم الأول الحياة السياسية لأهل الذمة، وقد تناول القسم الثاني الحياة الاجتماعية لأهل الذمة، وقد تناولنا فيه العادات والتقاليد الاجتماعية لأهل الذمة، وقد قسم هذا بدوره إلى قسمين هي الحياة الاجتماعية عند اليهود، والحياة الاجتماعية عند النصارى، وانما اقتصر على هاتين

الجماعتين دون غيرها لعدم وجود صابئة أو مجوس في تلك البلاد، وهي في عمومها لم تكن تختلف كثيراً عن باقي انحاء الدولة الإسلامية. وتناول القسم الثالث دور أهل الذمة في الحياة العلمية والادبية، وفي هذا المبحث اقتصر على اليهود دون النصارى وذلك لقلة اعداد النصارى في بلاد المغرب بالاضافة إلى طبيعة وجودهم وعملهم الذي اقتصر تقريباً على الجانب العسكري. أما القسم الأخير فقد تناول الحياة الاقتصادية لأهل الذمة، فقد برع فيها اليهود بالجانب التجاري والصناعي فيما تركزت جهود النصارى على الزراعة.

أما الفصل الثاني فيتناول ثلاث اقسام اساسية تركز القسم الأول حول الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب الأقصى منذ ايام الخلافة الراشدة وحتى اكمال الفتح الإسلامي لتلك البلاد على يد موسى بن نصير.

أما القسم الثاني فيركز على الكيفية التي تعامل بها الفاتحون مع أهل البلاد الاصليين من البربر وأهل الذمة من اليهود والنصارى الذين ارتضوا العيش مع المسلمين وقد رأينا الترتيب الزمني لقادة الفتح الإسلامي.

أما القسم الثالث والأخير فخصصناه لدراسة عصر الولاة وكيفية تعاملهم مع أهل الذمة وهذا بدوره قد قسم أيضاً إلى محاور أخرى: المحور الأول يمتد منذ نهاية الفتح الإسلامي وحتى وفاة عمر بن عبد العزيز، والمحور الثاني يمتد منذ نهاية خلافة عمر بن عبد العزيز وحتى نهاية الدولة الاموية، والمحور الثالث يمتد منذ قيام الدولة العباسية وحتى ظهور الدويلات المستقلة.

أما الفصل الثالث فخصصناه لبيان الدول التي ظهرت في المغرب الاقصى وطريقة معاملتهم لأهل الذمة، وقد راعينا الترتيب الزمني لتلك الاحداث وحسبنا في ذلك ان يكون قدوتنا شيخ المؤرخين ابن الخطيب[1] حيث قال(وانما اتبعنا دولة لصنهاجة ملوك

---

(1) ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني ت776هـ / 1374م، تاريخ المغرب في العصر الوسيط ق3 من كتاب اعمال الاعلام، تحقيق احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني، دار الكتاب العربي – الدار البيضاء 1964م ص137.

افريقية بهؤلاء، وان كان الشرفاء العلويين أولى بالتقديم ويكون هؤلاء وزراءهم لمناسبة قرب الزمان والمكان)).

فكان القسم الأول منها يدور حول قيام امارة برغواطة الضالة، وانما عدت ضمن الدول التي ظهرت في المغرب الاقصى للفترة الزمنية الطويلة التي حكمت بها اجزاء واسعة من المغرب الاقصى، وكيفية تعامل الدول والكيانات الجاورة لها خصوصاً وان اغلب الدول التي ظهرت هناك قد اتخذت من الإسلام شعاراً لها.

أما القسم الثاني فكان لدولة بني مدرار الصفرية والتي أنشئت في منطقة سجلماسة واتخذتها عاصمة لملكها.

أما القسم الثالث فكان من نصيب دولة الادراسة العلويين في فاس، وقد ركزنا في هذا الجزء على مؤسس الدولة ادريس بن عبد الله وولده ادريس.

والقسم الرابع من هذا الفصل خصص لدولة المرابطين والتي كان الفضل في قيامها إلى عبد الله بن ياسين.

والقسم الخامس والأخير من هذا الفصل خصص لدراسة دولة الموحدين في المغرب الأقصى وحاولنا الاختصار في الفصلين الثاني والثالث دون الاخلال بالمعلومات التاريخية، وهذا يعود لسببين أساسيين الأول منها وجود عدة دراسات تناولت هذين الفصلين بما أغنت القاريء أو الباحث، أما الأمر الأخر فهو محاولة التوفيق بين عدد الصفحات في الفصول الثلاث خصوصاً وان المعلومات حول أهل الذمة في بلاد المغرب الأقصى تكاد تكون نادرة مما جعل مهمة الرسالة صعبة للغاية.

**تحليل المصادر**

اعتمدت في هذه الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع التي عنيت بتاريخ المغرب أو التي كانت كتباً موسوعية، وسوف نتناول هنا قسماً منها بشيء من التحليل والعرض.

**أولاً: المصادر التاريخية:**

1. عبد الرحمن بن عبد الحكم ت257هـ / 871م.

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري ولد في مصر قريباً من عام 187هـ وتوفي بالفسطاط عام 257هـ وكان من اسرة اشتهرت بعلوم الفقه والحديث له كتابان حول تاريخ الفتوح في بلاد المغرب والأندلس.

**الأول:** فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر.

**الثاني:** فتوح افريقية والأندلس تحقيق عبد الله انيس الطباع.

اعتمد ابن عبد الحكم في رواياته التاريخية على المحدثين والفقهاء، فعني بالاسانيد الكاملة وهذا يعود إلى طبيعة دراسته وتعليمه الديني، إلا انه يورد عدداً من الروايات غير الموثوق بها، وقد يكون هذا من باب الامانة ويترك للقارئ والباحث مهمة التحقيق من صحتها.

2. البلاذري ت 279هـ / 892 م.

أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان ولد في بغداد في أواخر القرن الثاني للهجرة ونشأ في العصر الذهبي للدولة العباسية، لازم البلاذري عدداً من خلفاء بني العباس منهم الخليفة المتوكل الذي شهد مقتله، وقد عهد اليه أحد الخلفاء بتربية أبناءه لكنه منذ ان قتل الخليفة المعتز ت 225هـ بدأ يتوارى عن الحياة العامة حتى عانى من شظف العيش حتى وفاته عام 279هـ.

تأثر البلاذري بما كتبه الواقدي وابن عبد الحكم فالف كتابه فتوح البلدان على المنوال نفسه، وما يهمنا من كتابه هو الجزء الخاص بفتح افريقية والمغرب وهو جزء موجز وقد عمد في بعض الاحيان إلى ترجيح بعض الروايات على غيرها. غير انه أخطأ

في نقل بعض هذه الروايات وربما يعود سبب ذلك إلى اعتماده على مصادر شرقية عن احداث المغرب.

3. ابن القوطية ت 367هـ / 977 م.

ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ويعد من المصادر الأولى التي كتبت إلى حد الآن والتي تشير الجملة الأولى من الكتاب إلى ان ابن القوطية قد روى ذلك لتلاميذه أو زملائه، حيث تشير الجملة الأولى من الكتاب((أخبرنا ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال))[1] فكيف يروي هو عن نفسه، وقد ذكر بعض الروايات عن فتح الأندلس وكذلك عن بعض الولاة مثل بلج بن بشير وغيرهم.

4. الرقيق القيرواني ت 417هـ / 1026 م.

ابراهيم بن القاسم القيرواني تاريخ افريقيا والمغرب تحقيق المنجي الكعبي، وهذا الكتاب لم يصل كاملاً حيث طالته يد الزمان فاتت على قسم منه إلا انه لا يمكن للباحث الاستغناء عن المعلومات التي يحويها بين جنباته،ويتناول هذا الكتاب تاريخ افريقية والمغرب منذ ولاية عقبة بن نافع الفهري حتى ولاية ابراهيم بن الاغلب.

5. المالكي ت بعد سنة 453هـ / 1061 م.

أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي. رياض النفوس وهو من المصادر المهمة في تاريخ الفتح العربي للمغرب منذ ايام عمرو بن العاص ﷺ وقد اعتمد المالكي على بعض المصادر الأخرى كالواقدي وغيره من الكتاب.

6. ابن الاثير ت 630هـ / 1233م.

عز الدين ابو الحسن، الكامل في التاريخ وقد سار فيه المؤلف بنظام الحوليات وهو عبارة عن موسوعة إسلامية، وقد اعتمد على بعض المصادر المغربية والأندلسية في

---

(1) ابن القوطية: ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ت367هـ 977م، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق وتعليق عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعين، 1957م ص2.

استسقاء معلوماته، أما كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة فهو عبارة عن تراجم لأسماء الصحابة ومنهم بعض قادة فتح المغرب.

7. المراكشي ت647هـ / 1249م.

محي الدين عبد الواحد بن علي المعجب في تلخيص اخبار المغرب، وكان اسلوبه جميلاً في عرض الأحداث، وقد مال إلى الايجاز، ولم يعتمد بالترتيب الزمني للأحداث، كما انه وقع في بعض الاخطاء عند ذكره للأحداث، ويبدو ان المراكشي كغيره من مؤرخي الدولة الموحدية كان متحاملاً على دولة المرابطين، فصورها وكأنها دولة المجون والنساء فقال(واستولى النساء على الاموال وأسندت إليهن الأمور وصارت لكل أمرأة من اكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وما خور))[1].

8. ابن عذاري 695هـ / 1295م.

أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ويعد من أهم المصادر التي كتب في تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي وإلى عصر المؤلف. كما امتاز هذا الكتاب بدقة المعلومات التي يوردها، إلا انه يميل إلى الايجاز في المعلومات أو الاعراض في بعض الاحيان متعللاً بالاطالة. وقد انتقى ابن عذاري معلوماته من عدد من المصادر منها الطبري والبكري والرقيق القيرواني وغيرهم. وسار المؤلف على نظام الحوليات وقد قسمه إلى اقسام عدة، وما يهمنا في بحثنا هذا القسم أو الجزء الأول تحقيق ليفي بروفنسال و ج س كولان، ويتناول فيه الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس وعصر الولاة وغيرها. والجزء الرابع الذي هو عبارة عن قطعة من تاريخ المرابطين تحقيق د. احسان عباس وهي لا تشمل المرابطين كاملاً، فقد سقط منه

(1) المراكشي، محي الدين ابو محمد عبد الله بن علي ت 647هـ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، القاهرة 1963م ص241.

بعض الاحداث أما القسم الأخير فهو خاص بدولة الموحدين وهو عصر المؤلف تقريباً وقام بتحقيقه محمد بن تاويت ومحمد بن ابراهيم الكتاني وغيرهم من الاساتذة.

9. ابن ابي زرع، كان حياً عام 726هـ / 1325م.

ابو الحسن علي بن عبد الله الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، والكاتب وان ارخ لمدينة فاس فانه لم يقتصر على تاريخ هذه المدينة فانه أورد أخبار دولة الادارسة والمرابطين والموحدين وبني مرين، وانه سار في تاليف الكتاب على طريقة من يؤرخ للدول.

10. النويري ت 732 هـ / 1332م.

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب وهو كتاب موسوعي في مختلف أنواع الفنون والعلوم والاداب، وان ما يهمنا في هذا الكتاب الجزء الرابع والعشرون وقد انتقى معلوماته في هذا الكتاب من الزهري والبلاذري.

11. لسان الدين بن الخطيب ت 776هـ / 1374م.

لسان الدين ابو عبد الله محمد عبد الله بن سعيد. عاش وتربى في غرناطة وتقلد مناصب مهمة، له مؤلفات كثيرة إلا ان ما يهمنا هو كتابه اعمال الأعلام وقد قسمه إلى ثلاثة اقسام خصص الأول للمشرق الإسلامي وخصص الثاني لتأريخ الأندلس وقام بنشره ليفي بروفنسال، والقسم الثالث وهو أهم الأقسام الثلاث بالنسبة لتاريخ المغرب إذ تناول فيه تاريخ المغرب منذ قيام دولة الاغالبة حتى قيام دولة الموحدين، والغريب انه لم يكمل هذا التاريخ كما سار في ذلك المؤرخون بحيث يؤرخون إلى قريب سني وفاتهم. لكن يبدو انه توفي قبل ان يكمل كتابه وقد اهتم بنشره د.أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني.وقد راعى ابن الخطيب الترتيب الزماني والمكاني للأحداث فيما ضمه كثير من المعلومات القيمة.

12. مؤلف مجهول من أهل القرن الثامن الهجري.

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، والكتاب بالرغم من صغر حجمه إلا انه يتضمن معلومات قيمة عن تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية، يمتاز هذا الكتاب بدقة

الاخبار الواردة فيه خصوصاً ما يتعلق بقيام دولة المرابطين، وقد اعتمد في استقائه للمعلومات من معاصري هذه الدولتين، كما ضمه معلومات قيمه عن الفنون الحربية وأساليب القتال في عصر المرابطين والموحدين.

13. ابن خلدون ت808هـ / 1405م.

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، وهذا الكتاب لا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب الاستغناء عنه فهو عبارة عن موسوعة كبيرة في تاريخ المغرب وغيره، وقد خصص جزءاً كاملاً من هذا الكتاب عن البربر وهو ما يهمنا في بحثنا هذا.

**ثانياً: المصادر العربية في وصف المدن:**

1. البكري ت 487هـ / 1094م.

أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو من الكتب المهمة في وصف المدن بالمغرب، ولم يقتصر البكري في وصفه للمدن بل توسع في ذكر بعض أخبارها مثل المعلومات التي أوردها عن دولة برغواطة وقيام دولة المرابطين وما انفرد به عبد الله بن ياسين من الأحكام.

2. مجهول كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري.

الاستبصار في عجائب الأمصار، والكتاب يشتمل على معلومات تاريخية وجغرافية وعمرانية، فنرى المؤلف يولي اهتمامه بثروات البلاد ويتوسع في بعض الأحيان في ذكر الأحداث التي عاشتها بعض المدن.

3. ياقوت الحموي 626هـ / 1228م.

شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، معجم البلدان وهو موسوعة جغرافية عن العالم الإسلامي، فتحدث عن المدن والقرى واهتم بتحديد المسافات بين المواقع، كما انه أورد بعض الأشعار التي قيلت في بعض المناطق، وقد سار في حديثه عن المدن على حروف الهجاء.

4. ابن سعيد المغربي 685هـ / 1286م.

أبو الحسن علي بن عبد الملك ت 685هـ / 1286م، الجغرافيا، وقد اعتمد ابن سعيد في معلوماته في وصف المدن والبلاد على ما شاهده ورآه، وقد عني ابن سعيد بذكر المسافات والأبعاد بين المدن والقرى، بالإضافة إلى طول وعرض المدن نفسها، وقد قسم البلاد إلى أقاليم عديدة حسب ما كان سائداً ومعروفاً عند الجغرافيين العرب في ذلك الوقت.

5. القلقشندي 821هـ / 1418م.

أبو العباس احمد بن علي ت 821هـ / 1418م، صبح الأعشى في صناعة الانشا، وهو من الكتب الموسوعية التي لم يقتصر فيها المؤلف على ذكر المدن بل يتطرق في بعض الأحيان إلى ذكر بعض الجماعات وعاداتهم وتقاليدهم. وهو ما أمدنا ببعض المعلومات عن أعياد اليهود والنصارى، وقد استقى القلقشندي بعض معلوماته من كتاب الجغرافية لأبن سعيد المغربي.

6. الحميري 900هـ / 1300م.

محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، وقد سار المؤلف على منهج ياقوت الحموي في ترتيب المدن حسب الحروف الهجائية، وقد اهتم كثيراً بمدن المغرب والأندلس مع ذكره لمدن المشرق، كما ان المؤلف يتوسع في ذكر بعض المناطق والمدن المهمة.

**ثالثاً: الكتب الفقهية**

وهذا يعود إلى طبيعة البحث حيث يجب التطرق إلى أحكام أهل الذمة في الفقه الإسلامي، وكان من أشهر هذه الكتب:

1. الكاساني ت 587هـ.

علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، وهو متخصص بالفقه الحنفي، إلا ان المؤلف افرد فيه فصلاً كاملاً لبيان أحكام أهل الذمة.

2. ابن القيم ت 751هـ.

شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، وقد خصصه المؤلف لبيان أحكام أهل الذمة مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات، ومن الواضح ان هذه الكتب قد ألفت في وقت متأخر من عهد الدولة الإسلامية.

ولم يقتصر تناولنا لهذه الكتب فقط بل تعدتها لتشمل كتباً أخرى ومنها:

3. كتاب الأم للشافعي ت 204 هـ.

4. طبق الارطاب للأمام العلوي ت 1204هـ وهو في الفقه المالكي.

**رابعاً: الكتب الحديثة:**

ومما لا يمكن الاستغناء عنه هو بعض الدراسات الحديثة التي تناولت بعض الجوانب في بلاد المغرب الأقصى، وكان من أهمها فتوح العرب للمغرب للدكتور حسين مؤنس الذي تناول الموضوع بالدراسة والتحليل وتاريخ المغرب في العصر الإسلامي للدكتور السيد عبد العزيز سالم الذي تناول فيه قيام الدول في بلاد المغرب الأقصى، وكتاب الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والأندلس وهي دراسة اكاديمية للدكتور عبد الواحد ذنون.

كما لا تفوتنا الدراسة التي قام بها الأستاذ سلامة الهرفي عن دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، كذلك دراسة د. حسن احمد محمود قيام دولة المرابطين. وكذلك دراسة د. عبد الله علام عن الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، وغيرها كثير من الكتب التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها.

وفي صدد حديثنا عن المصادر الحديثة، لا يسعنا إلا ان نقف على بعض كتابات الغرب حول تاريخنا الإسلامي، ويعتبر كتاب المؤرخ الألماني يوسف اشباخ((تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين)) من المراجع التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها، وقد أعتمد بشكل كبير على مصادر نصرانية في استسقائه للمعلومات إلى جانب المصادر العربية، ومما يؤخذ عليه اننا نجده بعيداً عن الموضوعية خصوصاً فيما يتعلق بقيام دولة المرابطين. كما انه حاول اظهار أعلام اليهود وغيرهم وكأنهم أصحاب الفضل على

حضارة المسلمين هناك، ومن الكتب المهمة بهذا الخصوص كتاب شارل اندريه جوليان(تاريخ افريقيا الشمالية)) وهو على جزئين وفيه يصف أحوال بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي وحتى قيام الدول المستقلة فيه، ولجد ان الكاتب يسير على خطى أسلافه من المستشرقين بان يعتمد على الرواية النصرانية أكثر من الرواية الإسلامية، وهناك كتب اخرى لا يسعنا المجال لحصرها.

ولا يفوتني في ختام حديثي إلا ان أقول بان هناك الكثير من المصادر والمراجع التي افدت منها كثيراً وهي مثبتة في قائمة المصادر والمراجع في نهاية الرسالة.

**ومن الله السداد والتوفيق.**

# التمهيد

## أولاً: أهل الذمة

الذمة في اللغة تعني العهد والآمان والضمان والكفالة، وأهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم وجرى مجراهم.

والذمي: هو المعاهد الذي أعطى عهداً يؤمن به على ماله وعرضه ودينه(1).

---

(1) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ت666 هـ مختار الصحاح، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان 1401 – 1981 ص223. الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب أبو طاهر ت817هـ. القاموس المحيط ط4، مطبعة دار المأمون 1357هـ ج4 ص115. اليسوعي، لويس معلوف المنجد ط21، دار الشرق، المطبعة الكاثولكية – بيروت 1986 ص237. البستاني، بطرس، دائرة المعارف مؤسسة المطبوعات الاسماعيلية – طهران، دار المعارف – بيروت مج 8 ص352. عطيه الله، أحمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية 1383هـ - 1963م مج1 ص209. الزيات، احمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، مطبعة الوسيط، مطبعة مصر شركة مساهمة 1380-1960 ج1 ص315. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر – بيروت، مج4 ص127. زيدان، عبد الكريم، احكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ط1 ساعدت جامعة بغداد على طبعه 1382-1963 ص22. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي ط2 دار مكتبة الحياة – بيرو ج2 ص376. الخربوطلي، علي حسني، الإسلام وأهل الذمة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية 1969 ص65. القرضاوي، د.يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ط1 مطبعة وهبة ص7. سابق، سيد، فقه السنة ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان 1419هـ - 1998م ج3 ص47.

والذمة في الاصطلاح الأمان المؤبد للذميين والذي يعطيه الإمام لهم أو ممن ينوب عنه[1].

والذمة في الشرع عند الفقهاء تطلق على كل من دخل في ذمام المسلمين ورعايتهم وحمايتهم سواء كان من البلاد التي استولوا عليها أو أجنبياً دخل بلادهم[2].

هناك بعض التسميات الأخرى التي تطلق على أهل الذمة منها المستأمنون والمستأمن بكسر الميم وهو الطالب للأمان،والمستأمن بفتح الميم أي صار امناً[3]، لكن الفرق بينهما هو ان الأمان لأهل الذمة مؤبد وللمستأمن مؤقت[4].

ومن الألفاظ الأخرى التي تطلق عليهم أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى؛ فأهل الذمة قد لا يكونون من أهل الكتاب[5] كالمجوس والصابئة وعبدة الاوثان من غير العرب[6].

وإنما اشتهروا بأهل الذمة لحديث رسول الله ﷺ في حديث ابن بريدة عن أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أوصاه في

---

(1) الكاساني، علاء الدين ابو بكر بن مسعود ت587هـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ط2، دار الكتاب العربي – بيروت 1982 ج2 ص110. البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين الحنبلي، كشاف القناع على متن الاقناع، مراجعة وتعليق هلال مصيلحي، مكتبة النصر الحديثة – الرياض ج3 ص116.مجموعة باحثين، الموسوعة الفقهية، ط1، طبع وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، بد، ج7 / ص121

(2) البستاني، دائرة المعارف مج 8 ص352.

(3) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص106. اليسوعي، المنجد ص16. زيدان، احكام الذميين والمستأمنين ص46. زيدان، مجموعة بحوث فقهية، مكتبة القدس بغداد، مؤسسة الرسالة – بيروت 1396 – 1976 ص64.

(4) ابن القيم، شمس بن ابي بكر ت751، احكام أهل الذمة، تحقيق سيد عمران، دار الحديث – القاهرة 1424هـ – 2003 ص476. الموسوعة الفقهية ج7 ص121.

(5) مجموعة باحثين، الموسوعة الفقهية ج7 ص1400. اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية والإسلامية، مطبعة وزارة التعليم العالي جامعة الموصل 1397هـ – 1977 م ص178-179.

(6) ابن القيم، احكام أهل الذمة ص476. المطردي، محمد عبد الهادي، عقد الذمة في التشريع الإسلامي ط2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس – ليبيا 1396 – 1987 ص27.

خاصته بتقوى الله... وفيه إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيك فلا تعطهم ولكن أعطهم ذمتك[1]. وكذلك سموا بذلك لكونهم قبلوا بدفع الجزية مقابل أن تؤمن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا بذلك في ذمة المسلمين[2].

## عقد الذمة

وهذا العقد لازم لجميع المسلمين وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، ولا يملك المسلمون حق نقضه إلا إذا أراد أهل الذمة ذلك[3] سواء كان ذلك بإسلامه أو التحاقه بدار الحرب أو نقضه لعقد الذمة أو غيرها من الأمور التي تم الاتفاق عليها في شروط عقد الذمة[4].

ويجب في عقد الذمة وجود شهود عدول من الطرفين، ومن ثم يقوم الوالي أو من ينوب عنه في عقد الذمة ويكون هذا العقد لازماً لجميع المسلمين، كما انه يكون هذا بشرط القبول باللفظ والتطبيق[5]، أما الغرض منه فانه لوقف القتال أو لاحتمال دخوله في الإسلام، فكان هذا العقد بمثابة الدعوة إلى الإسلام[6].

(1) رواه ابن حنبل ابو عبدالله احمد بن محمد الشيباني ت241هـ، مسند الامام أحمد، دار الفكر – بيروت، بد،ج5 ص352 رقم الحديث 23028. ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت275هـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي – بيروت، 1395هـ – 1975م، ج2 ص953 رقم الحديث 2858.

(2) المطردي، عقد الذمة ص27.

(3) المطردي عقد الذمة ص27. زيدان، احكام الذميين ص25.

(4) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص112. زيدان، بحوث فقهيه ص66.

(5) ابو عبيد القاسم بن سلام ت224هـ الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية – بيروت، بد ص87. الشيزري، عبد الرحمن بن نصر. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام بنشره السيد الباز العريني، اشراف محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1365هـ – 1946م ص107.

(6) مجموعة باحثين، الموسوعة الفقهية ج7 ص142.

## أحكام أهل الذمة

إن أحكام أهل الذمة بصورة عامة مرتبطة بشروط عقد الذمة، وهذه الأحكام التي وضعت لأهل الذمة في كتب الفقه والتفسير قد وضعت في وقت متأخر نسبياً عن عصر صدر الإسلام، فهي لا تمثل إلا الجانب النظري في التعامل مع أهل الذمة[1].

من المعروف ان لكل شخص في المجتمع حقوق وبالمقابل فان عليه واجبات، وكذا الحال بالنسبة لأهل الذمة، ومن أهم هذه الواجبات هي دفعهم للجزية[2] لقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[3] وهذا المال المدفوع من قبل أهل الذمة ليس من باب الاهانة أو التجريح[4].

---

(1) مؤنس حسين، فجر الإندلس ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1959 ص439.

(2) الجزية: مبلغ من المال يؤخذ من أهل الذمة لقاء حمايتهم وعدم مشاركتهم في الامور العسكرية وهو مشتق من الجزاء. راجع الرازي، مختار الصحاح مادة جزى ص103. الفيروز ابادي، القاموس المحيط ج4 ص322. الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادي ت450هـ – 1058م، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دراسة وتحقيق محمد جاسم الحديثي، مطبعة المجمع العلمي 1422هـ – 2001م ص378. سابق، فقه السنة ج3 ص48.

(3) سورة التوبة الآية 29.

(4) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي ت183هـ – 799م، الخراج، ط3 المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة 1382هـ ص122. العلوي، سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسيني العلوي 1134 – 1204هـ / 1722 – 1790م، طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الخطاب دراسة وتحقيق عبد الله بن ادريس بن ابي بكر ميقا، المملكة المغربية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية 1420هـ – 1999م ص470. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ط7، مكتبة النهضة المصرية 1964 ج1 ص47. حسن، علي ابراهيم، التاريخ الإسلامي العام (( الجاهلية الدولة العربية، الدولة العباسية، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة 1972 ص543. الريس، محمد ضياء الدين الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط3 دار المعارف بمصر

## تاريخ الجزية

من المعروف ان الجزية لم تكن من الأمور التي جاء بها الإسلام، وإنما سبقته أديان وأقوام في ذلك، وكان أول من وضعها من الأمم هم اليونان، فقد وضعوها على الأمم التي خضعت لهم، وكان مقدار الجزية سبعة أمثال الجزية التي وضعها المسلمون[1]. وكانت هذه الجزية مقابل حمايتهم من أي اعتداء خارجي.

وفيما يتعلق بالرومان فان الجزية كانت تعد من أهم موارد بيت المال عندهم، لذا فإنهم فرضوها على جميع الأهالي دون أدنى شفقة أو رحمة، حتى أصبح كثير من الفلاحين هم عبيد عند الرومان[2].

لم تكن الدولة الساسانية بأحسن حال ممن سبقوها إلى ذلك النظام، فقد كانت تفرض على الجميع من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخمسين عاماً، وهناك قسم من رعاياها وضعت عليهم الجزية وفق نظام الطبقات، فقسم كان يدفع أثنى عشر درهماً. وكان بعضهم يدفعون ثمانية دراهم وآخرون يدفعون ستة دراهم، وكانت الجزية تجبى كل ثلاث شهور[3].

---

1969 ص135. لاشين، محمود المرسي، التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية ط1 دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب العربي – بيروت 1977 ص120.

(1) الصالح، صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين – بيروت 1388 – 1968 ص364. الرافعي، مصطفى، الإسلام نظام انساني ط2، دار مكتبة الحياة – بيروت ص156. الريس، الخراج والنظم الإسلامية ص180.

(2) المطردي، عقد الذمة ص104. الدهبي، ادوارد عالي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ط1، مكتبة غريب – القاهرة 1993 ص123.

(3) دنيت، دانيل، الجزية والإسلام، ترجمة فوزي فهيم جاد الله، مراجعة احسان عباس، دار مكتبة الحياة – بيروت ص69-70.

## ممن تؤخذ الجزية وعلى من تجب

تؤخذ الجزية من اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم من أهل الأديان الأخرى، أما فيما يخص المجوس، فقد ورد ان رسول الله ﷺ اخذ الجزية من مجوس هجر[1]. ولا تؤخذ الجزية من دهري ولا مرتد ولا عابد وثن ولا من مشركي العرب[2].

من سماحة الإسلام وعدله، انه جعل الجزية تكون وفق ضوابط شرعية واجتماعية، من أهمها ان تكون الجزية مقدرة حسب القدرة المعاشية للفرد، فالأغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهماً أو أربعة دنانير، وأوسطهم تؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً أو ديناران، والفقراء يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً أو ديناراً[3] مع مراعاة كون الفقراء لديهم عمل[4]. وقد كان هناك اختلاف في قيمة الدينار،فعند أهل الحجاز

(1) البلاذري، ابو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت279هـ – 892م، فتوح البلدان، شركة الكتب العربية 1317 – 1901 ص276. ابو الفرج قدامة بن جعفر ت337هـ، الخراج وصناعة الكتابة، تعليق د. محمد حسن الزبيدي، دار الحرية للطبع – بغداد 1981 ص225. المطردي، عقد الذمة ص31. سابق، فقه السنة ج3 ص48.

(2) ابو يوسف، الخراج ص128. الماوردي، الاحكام السلطانية ص381. المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد المعروف بالبشاري ت375هـ – 960م، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط2 طبع مدينة لدين بريل 1906 ص42. الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص110. النواوي عبد الخالق، النظام المالي في الإسلام، دار الاتحاد العربي للطباعة ودار النهضة العربية – القاهرة 1973 ص142-146.

(3) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق احمد جابر بدران تحت اشراف الاستاذ علي جمعة، دار الرسالة – القاهرة 1423 – 2002 ص20-21. ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت648هـ – 729هـ / 1250-1329م، معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق د. محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976 ص99. متز، ادم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابو ريده ط3، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة 1377 – 1957 ج1 ص78-80.

(4) القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص31.

والشام كان يساوي عشرة دراهم وعند أهل العراق يساوي اثنا عشر درهم[1]، وكان من سماحته انه جعل مقدار الجزية غير محددة، حتى تكون حرية تقديرها للوالي أو لأصحاب الشأن دون الضرر بهم[2].

وتؤخذ الجزية من الرجال البالغين القادرين على حمل السلاح والقتال، ويعفى منها النساء والأطفال، والشيوخ والعبيد والخنثي وغيرهم كثير[3]، كما يعفى منها بعض الرهبان المنقطعون للعبادة في صوامعهم[4].

وتؤخذ الجزية لمرة واحدة في العام، وتكون على رأس الحول من السنة، ويجوز تأخيرها إلى السنة القادمة أو تقسيطها[5]، ولا يشترط ان تكون الجزية أموالاً نقدية، بل يجوز اخذها مواد عينية كالحنطة والشعير أو التمر، وحتى من أصحاب الحرف يجوز اخذ ما ينتجه هؤلاء من حبال أو سكاكين وغيرها من المواد[6]، وكان

---

(1) الكبيسي، حمدان عبد المجيد، النشاط المصرفي في الدولة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، بيت الحكمة 2000 ص74. متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص80.

(2) القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص31.

(3) ابو يوسف، الخراج ص122. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص225. الماوردي، الاحكام السلطانية ص382-383. التلمساني، ابي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقياني، ت781هـ - 1467م، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي بد ص158. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب ط1 دار الكتب المصرية – القاهرة 1350 – 1931 ج8 ص236. الريس، الخراج والنظم الإسلامية ص136.

(4) القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص34. زيدان، احكام الذميين والمستأمنين ص140.

(5) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص112. الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص120-121. النويري، نهاية الارب ج8 ص139. الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص70-71. د. الصالح، النظم الإسلامية ص364. اليوزبكي، دراسات في النظم ص126.

(6) اليوزبكي، دراسات ص146.

علي بن أبي طالب[#] ﷺ ت40 هـ يأخذ منهم في جزيتهم الإبر والحبال[1] ولكن بشرط ان لا تكون من الأموال المحرمة في الشريعة كالخمور والخنازير[2].

وتسقط الجزية عن الذميين بموته أو إسلامه أو اشتراكه في القتال مع المسلمين أو أي سبب أخر يتنفي بموجبه دفعه للجزية[3]، وكان ابتداء أخذ الجزية يكون باليهود ثم بالنصارى، وإذا كان هناك مجوس أو صابئة كان تسلسلهم بعد النصارى[4]. ويقوم جابي أموال الجزية بإلزام روؤساء اليهود وقسيسي النصارى أو اسافقتهم بكتابة الرقاع في كل سنة ويكتبون فيها أسماء الأشخاص التابعين لهم، وكل التفصيلات الخاصة بهم من

---

(#) علي بن ابي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب يقال له ثيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف وامه الصحابية الجليلة فاطمة بنت هاشم بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ولد قبل البعثة على ارجح الاقوال بعشر سنين يكنى ابا الحسن وبابي تراب ويلقب بامير المؤمنين تولى امر الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ عام 30هـ وتوفي مقتولاً سنة 40هـ على يد ابن ملجم. ابن سعد، محمد بن فيع البصري ت230هـ الطبقات الكبرى، دار صادر – بيروت 1957، ج3 ص19. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ت463هـ الاستيعاب في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار الجبل، بيروت – لبنان 1412هـ ج3 ص1089. ابن الاثير، علي بن محمد الشيباني ت630هـ اسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية، بد، ج4 ص16. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد ت852هـ الاصابة في تميز الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1415هـ - 1995م، ج2 ص501-507.

(1) ابو يوسف، الخراج ص122.

(2) الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ملتزمة الطبع والنهشر مكتبة الانجلو المصرية بد ص129.

(3) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص112. زيدان، احكام الذميين والمستأمنيين ص155-160. الدهي، معاملة غير المسلمين ص122. اليوزبكي، دراسات في النظم ص126 . الصالح، النظم الإسلامية ص364.

(4) النويري، نهاية الارب ج8 ص242. لاشين، التنظيم المحاسبي ص249-250.

موت احدهم ومن يرزق بطفل أو من غادر البلاد وغيرها من الأمور الأخرى وهو ما يسمى ديوان الجوالي[1].

تقسم الجزية إلى قسمين أساسين

**أولاً:** الجزية الصلحية التي توضع بالتراضي بين الطرفين وفق عقد الذمة.

**ثانياً:** الجزية العنوية وهي التي يقوم بوضعها الوالي على الكفار الذين استولى المسلمون على بلادهم[2].

وإذا امتنع أهل الذمة عن دفع الجزية فانه يعد نقضاً لعقد الذمة، إلا انه لا تستباح دماءهم ولا تقسم أموالهم ولا تسبى نساءهم، وإنما القيام بإخراجهم من دار الإسلام[3].

## أوجه التشابه والاختلاف بين الجزية والخراج

**الخراج:** هو المال المفروض على الأرض سواء كانت هذه الأرض يعمل بها المسلمون أم الذميون، والخراج بلغة العرب اسم المكراء أو الكراء، وعلى هذا فان الخراج يدفعه الذميون كما يدفعه المسلمون[4].

أوجه التشابه بينهما:

1- ان الجزية والخراج قد فرضتا على المشرك صغاراً.

2- ان الجزية والخراج يصرف في أهل الفيء[#].

---

(1) لاشين، التنظيم الحاسبي للأموال ص250.

(2) التلمساني، تحفة الناظر ص156.

(3) الماوردي، الاحكام السلطانية ص387. سابق، فقه السنة ج3 ص52.

(4) ابو عبيد، الأموال ص527-533. الماوردي، الاحكام السلطانية ص388 – 389. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص207. العلوي، طبق الارطاب ص475. الرفاعي، النظم الإسلامية ص171. حسن، التاريخ الإسلامي ص543.

(#) الفيء: هو المال الذي رده الله تعالى على اهل دينه من اموال من خالفهم في الدين إما بالجلاء أو بالمصالحة. والغنيمة اخص منه والنفل اخص منها. الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد ت 816هـ 1413م، كتاب التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1403هـ ص170

3- انهما تجبان بحلول الوقت.

أوجه الاختلاف بينهما:

1- ان الجزية نص والخراج اجتهاد.

2- ان الجزية تسقط بالإسلام بينما الخراج يبقى.

3- الجزية تفرض على الرأس بينما الخراج يفرض على الأرض[1].

هناك بعض الأمور التي يتفق عليها في عقد الذمة منها ما هو مستحب ومنها ما هو واجب.

فأما المستحب منها فهو لبس الغيار وشد الزنار[#] وعدم العلو في الأبنية وإخفاء مراسم دفن موتاهم وعدم مجاهرتهم بشرب الخمور وعدم ركوب الخيل، وإذا ما خالف أهل الذمة هذه الأعمال وخاصة المجاهرة بشرب الخمور أو أكل لحم الخنزير وغيرها من الأمور المخالفة للشرع الإسلامي، فانه لا يعد نقضاً للصلح لكن يجب محاسبتهم على هذه الأعمال[2].

أما الواجب فهي عدم ذكر الله بسب أو طعن أو تحريف وعدم ذكر الرسول بالتكذيب، وعدم ذكر الدين الإسلامي بذم أو بقدح، وأن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يعينوا أهل الحرب على المسلمين[3].

---

(1) الماوردي، الاحكام السلطانية ص378. الصالح، النظم الإسلامية ص362 – 363. الريس، الخراج والنظم المالية ص135. ابراهيم فؤاد أحمد، الموارد المالية في الإسلام، مطبعة البوسفور – دار الشرق العربي – القاهرة 1968 ص208–209.

(#) الغيار: هو وضع علامة على الملابس تكون مخالفة للون الثوب ويكون موضعه على الكتف الزنار: فهو ما يشده الذمي على وسطه. راجع النويري، نهاية الارب ج8 ص238.

(2) النويري، نهاية الارب ج8 ص305-306. التلمساني، تحفة الناظر ص165. لقبال، موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، ط1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1971 ص72.

(3) الماوردي، الاحكام السلطانية ص384–385. الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص113. ابن الأخوة، معالم القربة ص100. الجليدي، احمد سعيد، التيسير في احكام التسعير، تحقيق وتعليق موسى لقبال ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1981 ص78. النويري، نهاية الارب ج8 ص238.

وهذا ما يعد نقضاً للعهد حيث ان التعدي على حرمات المسلمين يعد من الأمور الناقضة لعقد الذمة لكنه مقرون بوجود أربعة شهداء عدول، وإذا ما ثبت ذلك فانه يقتل[1]، وكذلك التجسس على المسلمين[2] أو إيواء أو استأمان الجواسيس ضد المسلمين[3].

## حقوق أهل الذمة

القاعدة العامة في حقوق أهل الذمة، ان لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ومن أهم الحقوق الواجبة لأهل الذمة:

**أولاً:** حماية الدولة لهم: وذلك لأن إعطاء الأمان لهم من قبل الدولة الإسلامية الممثلة بالخليفة أو من ينوب عنه، أصبح من واجب الدولة حمايته من أي ظلم أو حيف يقع عليه، سواء كان الاعتداء داخلياً أم خارجياً[4]. ومن قتل ذمياً فعليه دفع فدية لأهله، وقد اختلف الفقهاء المسلمين في مقدار هذه الفدية[5].

**ثانياً:** حق الإقامة: ولأهل الذمة حق الإقامة في أي مدينة شاءوا من مدن الدولة الإسلامية عدا مكة والمدينة[6] لقوله ﷺ((لا يجتمع في أرض العرب دينان))[7] ولهم الحق في السكن مع المسلمين أو منفردين، فإذا كانوا منعزلين عن المسلمين سواء كانوا في قرى أو أحياء خاصة بهم جاز لهم البناء كيفما

(1) ابو يوسف، الخراج ص189-190. التلمساني، تحفة الناظر ص162. سابق، فقه السنة ج3 ص52

(2) ابو يوسف، الخراج ص189-190. التلمساني، تحفة الناظر ص162.

(3) ابن القيم، احكام أهل الذمة ص186.

(4) الكاساني، بدائع الصنائع ج5 ص281، ج6 ص111 .

(5) متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص69.

(6) الماوردي، الاحكام السلطانية ص441-442. سابق، فقه السنة ج3 ص53.

(7) ابو عبيد، الاموال ص128. البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين ت458 هـ سنن البيهقي، تحقيق محمد ضياء الرحمن، ط1، دار النشر مكتبة المدينة المنورة 1410هـ - 1989م، ج6 ص115، باب المعاملة على زرع البياض الذي بين اصناف النخيل.

شاءوا، وإذا كانوا في أحياء أو بيوت متجاورة مع المسلمين لم يجز لهم التطاول في البناء أعلى من المسلمين[1].

**ثالثاً:** السماح لهم بممارسة شعائرهم: وهي من الأمور التي ضمنها لهم الإسلام، حيث سمح لهم بممارسة كافة عباداتهم وشعائرهم الدينية فضلاً عن أعيادهم، لكن الأمر هنا مقرون دون التشهير بها، أما فيما يتعلق بالكيفية التي تتم بها هذه الطقوس الدينية، فانه يجب عليهم دق النواقيس داخل الكنيسة بشكل خفيف وقراءة التوراة والإنجيل فيما بينهم بصوت خافت، وهذا الأمر يكون مقروناً إذا كانوا داخل المدن الإسلامية، أما إذا كانوا في قرى وأحياء بعيدة عن المسلمين فالأمر يكون مختلفاً تماماً[2].

أما ما يتعلق بدور العبادة فان ما اختطه المسلمون كالكوفة[#] والبصرة[#]

(1) ابن القيم، احكام أهل الذمة ص480.

(2) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص113. ابن القيم، احكام أهل الذمة ص488.

(#) الكوفة: بالضم المصر المشهور بارض بابل ويسميها قوم خد العذراء، وقيل سميت بالكوفة لاستدارتها وقيل بسبب اجتماع الناس بها تقع على ذراع الفرات في غربه وهي من المدن الإسلامية التي بنيت ايام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ت23هـ وهي بلد النخيل يبلغ الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة والعرض احدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. الحموي، شهاب ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت626هـ، معجم البلدان، دار حار للطباعة، دار بيروت للطباعة والنشر 1374هـ / 1955م، ج4 ص490. ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى ت685هـ الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت، 1971م ص156.

(#) البصرة: مدينة تقع على نهر يقال له الفص مع شرقيها وجزيرة الابلة، حيث الطول اربع وسبعون درجة واحدى وثلاثون دقيقة والعرض احدى وثلاثون درجة وهي احدى متنزهات العالم بين هذا النهر ونهر معقل.ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص159.

والقيروان[#] وغيرها من المدن، فلا يجوز لأهل الذمة بناء كنيسة ولا بيعة، ولا أي شكل من ذلك[1]، وكذا الحال بالنسبة للمدن التي فتحت عنوة، أما المدن التي فتحت صلحاً فانه يجوز لأهل الذمة إحداث الكنائس والأديرة أو ترميم ما تعرض للدمار[2].

**رابعاً:** حق أهل الذمة في القضاء: ويجوز لأهل الذمة التقاضي إلى القضاة والمحاكم الخاصة والتي تقضي وفق شريعتهم، وكانت الدولة الإسلامية هي التي تعين هؤلاء القضاة، وكذلك يجوز لهم التقاضي إلى قضاة المسلمين ان استحبوا هم الأمر[3]، وذلك لأن الشريعة الإسلامية لم تكن مطبقة عليهم، ولهذا فإنهم لم يكونوا ملزمين بها[4].

---

(1)# القيروان: قاعدة بلاد المغرب وأم مدنها خطها عقبة بن نافع، ولفظ القيروان فارسي الاصل ومعناه الجيش أو مناخ القوافل، ظلت القيروان عاصمة افريقية والمغرب لفترة طويلة من الزمن، راجع في ذلك البكري، المغرب ص 23 – 24. مجهول الاستبصار ص114 – 115. شيخ الربوه الدمشقي، نخبة الدهر ص237.

1 الماوردي، الاحكام السلطانية ص379. ابن القيم، احكام أهل الذمة ص457. التلمساني، تحفة الناظر ص171 – 172.

(2) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص117. التلمساني، تحفة الناظر ص171.

(3) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص118–119. اورنك، ابو المظفر محي الدين، الفتاوى الهندية، ط2، المكتبة الإسلامية ومكتبة بولاق – مصر، ومحمد ازدمير – تركيا 1310هـ ج3 ص396–397. أ. س، ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق حسن حبشي، ملتزمة الطبع والنشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد – مصر 1942 ص191.

(4) اورنك، الفتاوي الهندية ج3 ص397. الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص141.

**المعاملات المالية والتجارية لأهل الذمة**

لقد أعطى الإسلام الحرية الكاملة لأهل الذمة في ممارسة حياتهم الاقتصادية، حيث جعل لهم الحرية المطلقة في امتهان الحرف التي يرغبونها، عدا ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية كالتعامل بالربا والمتاجرة بالخمور ولحم الخنزير[1]، لذا فاننا نجد ان أهل الذمة قد عملوا في مختلف الحرف حتى أصبح البعض منها حكراً لهم[2].

**الحياة الاجتماعية لأهل الذمة**

لا تختلف حياة ومعيشة أهل الذمة عن الشعوب العربية والإسلامية خاصة أولئك الذين عاشوا في المجتمعات الإسلامية لسنوات طويلة، فمن حيث طبيعة أحكام النكاح بينهم لا تختلف كثيراً عما هو متعارف لدى المسلمين من حيث المهور والشهود وغيرها، وقد أباح الإسلام الزواج من نساء أهل الذمة إلا انه منع زواج المسلمة من رجل ذمي[3] لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[4].

ومن الأمور الأخرى التي تميز بها أهل الذمة، هي مخالفتهم للمسلمين باللبس وإظهار بعض العلامات التي يعرفون بها[5] ولم يجد أهل الذمة حرج في ذلك، وذلك لأن الشعوب الإسلامية كانت عبارة عن اخلاط من أجناس شتى[6].

---

(1) الكاساني، بدائع الصنائع ج4 ص176. القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص21-22.

(2) متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص86.

(3) البهوتي، كشاف القناع ج3 ص20.

(4) سورة البقرة الآية 221.

(5) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبةص115. الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص113. ابن الاخوة، معالم القربة ص95. ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص122.

(6) القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص60.

## ثانياً : سكان بلاد المغرب

من المعلوم ان العرب قد عرفوا سكان بلاد المغرب وأفريقيا باسم البربر، وان هؤلاء البربر هم سكان البلاد الأصليون، ولم يكن العرب يعرفون الكثير عن أهل هذه البلاد قبل الفتح الإسلامي، إذ ان العلاقات فيما بينهم وخصوصاً التجارية لم تكن قوية، هذا ان كانت هناك علاقة أصلاً.

حاول المؤرخون والنسابة العرب تفسير كلمة البربر، ففسرها البعض على انها اختلاط في الأصوات مقروناً برطانة حتى قيل في ذلك((ما أكثر بربرتكم))[1] وفسرها القسم الأخر على انهم سموا بالبربر نسبة إلى بر بن قيس[#] ويذكر ان كلمة البربر هي التسمية التي أطلقها الرومان على سكان بلاد المغرب، وكذلك على كل الشعوب التي لا تتكلم لغتهم[2]، كما أطلق الفينفيون من قبلهم لفظ((افرى)) على أهل بلاد افريقية ومن ثم حرفت إلى افريكا[3].

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت808هـ / 1405م، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1958 ج6 ص89.

(#) وقيس هذا قد هاجر إلى بلاد افريقية وقد عرف هناك بأسم افريقس اضيف إلى اسمه اسم البلاد ( افرى). د. مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، بد ص8.

(2) جوليان، شارل اندريه، تاريخ افرقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1969 ج1 ص10.

(3) البكري، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت487هـ. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى – بغداد، بد ص21. ابن خلدون، العبر ج6 ص98. مؤنس، فتح العرب للمغرب ص1.

## أصل البربر

فيما يتعلق بأصل البربر فقد ذهب بعض المؤرخين كالجزنائي المتوفى أواخر القرن الثامن الهجري وغيرهم ان أصل البربر من الشام، وانهم طردوا من فلسطين أيام داود عليه السلام الذي قتل ملكهم جالوت[1].

وقد ذهب بعض الروايات إلى ان أصلهم من اليمن وانهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ[2]، وفي رواية للطبري[3] انهم من أولاد كنعان بن حام بن نوح وفي هذا أيده ابن خلدون[4]، إلا انه رأى انهم أقارب أهل فلسطين وليسوا منهم، وقال انهم جيل من الاراميين سكنوا المغرب منذ القدم.

إذن ففكرة هجرة البربر من بلاد الشام إلى بلاد المغرب هي رواية فيها الشيء الكثير من الصحة، وذلك تماشياً مع الهجرات الفينيقية إلى الشمال الافريقي.

---

(1) الجزنائي، ابو الحسن علي ت اواخر القرن الثامن هجري، زهرة الاس في بناء مدينة فارس، دراسة وتحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد 1422هـ – 2001م ص40.

(2) ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت 257هـ فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي – طبعة القاهرة 1961 ص170. البلاذري، فتوح البلدان ص225. الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير ت310هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت – لبنان ج1 ص206. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين ت346هـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس – بيروت 1965 ج1 ص55 ص119. ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي، اواخر القرن الرابع، صورة الارض منشورات مكتبة الحياة – بيروت ص97-100. ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ت456هـ، جمهرة انساب العرب، نشر بروفنسال – القاهرة 1946 ص495.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج1 ص206. الرفاعي، النظم الإسلامية ص195. دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1382-1963 ج1 ص30-31.

(4) ابن خلدون، العبر ج6 ص93.

## أقسام البربر

### يمكن تقسيم البربر على أساسين:

**الأساس الأول:** هو الذي يقوم على أساس اجتماعي ووفق هذا التقسيم يقسم البربر إلى بربر الحضر وبربر البوادي((الظواعن))، فأما بربر الحضر فيسكنون المدن والسهول الزراعية، ويكون هؤلاء أكثر تقدماً وحضارة، ويتركز هؤلاء في المناطق الساحلية لشمال افريقية والمحيط الأطلسي والمدن الأخرى، وتعتمد حياتهم المعاشية على الزراعة وبعض الصناعات الحرفية وكذلك التجارة، وكانت قبائل البرانس هم أكثر من يسكن هذه المناطق[1].

أما بربر البدو((الظواعن)) فهم أهل الخيام. فينتشرون في الأقاليم الصحراوية ومناطق الهضاب والجبال العالية، ويعتبر التنقل والترحال أهم ميزة لحياتهم. اما الرعي وتربية الماشية فهي من أهم موارد حياتهم المعاشية، كما ان قسماً منهم يقوم بأعمال السلب والنهب وقطع الطريق على القوافل التجارية التي تمر عبر الصحراء، ويعتبر البربر البتر هم أكثر من يمثل هؤلاء. لذلك فان تحالف البتر مع العرب هو لتشابه حياتهم العامة، على العكس من البرانس الذين رفعوا راية المقاومة ضد العرب والمسلمين[2].

هذا التقسيم وان كان صحيحاً بعض الشيء إلا انه ليس أمراً مطلقاً، فالحضارة والبداوة من الأمور المتبادلة في كلا الجماعتين، فبعض قبائل لبرانس تعيش في الصحراء، مثل قبائل صنهاجة ومن بطونها لمتونة ومسوفة[3].

---

(1) اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر ت284هـ / 897م، كتاب البلدان، طبعة ليدن 1892م ص352. مؤنس، فجر الأندلس ص37.

(2) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر – الاسكندرية 1982 ص54.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض ص99. ابن خلدون، العبر ج6 ص89.. مؤنس، فتح العرب للمغرب ص6 وما بعدها.

وقد ذهب ابن خلدون[1] إلى تميز اجتماعي أخر وهو تقسيم البربر إلى((أهل العز)) أو((المعتزون)) وهم أهل الشجاعة والإباء يعيشون في ظل رماحهم، وقسم أخر وهم((المستضعفون)) ومعاشهم عل السائمة، ولم يقتصر ابن خلدون على البربر بل طبقه حتى على العرب.

**الأساس الثاني:** وهذا التصنيف قائم على أساس تقسيم البربر إلى فئتين هما البرانس والبتر، فقد سار النسابة والمؤرخون العرب على نفس المنوال الذي ساروا عليه في إرجاع شجرة نسب العرب إلى عدنانية وقحطانية، ومن ثم إرجاعهم إلى أب واحد، فقد قسموا البربر كذلك إلى برانس وبتر.

فقالوا ان البرانس هم أحفاد برنس بن بر، وقد قال بعضهم الأخر ان البرانس هم أبناء بر بن مازيغ بن كنعان، أما البتر فهم أبناء بر بن قيس عيلان، وقيل انهم من أبناء مادغيس بن بر الذي يلقب بالأبتر[2]، ويرجح بعض المؤرخين المحدثين ان لفظة البرانس والبتر قد جاءت لأسباب اجتماعية منها اختلاف الملابس[3].

### تقسيم قبائل البربر

كما أوضحنا فان البربر تقسم إلى برانس وبتر، ومن المؤكد ان هؤلاء منقسمون إلى أقسام أخرى من القبائل، ومن أهمها:

---

(1) ابن خلدون، العبر ج6 ص98.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص20. الدباغ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري 605-696هـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، اكمله وعلق عليه ابو الفضل القاسم بن عيسى ت839هـ تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح،ط2، مكتبة الخانجي – مصر، بد ج1 ص60.

(3) العبادي، احمد مختار، من تاريخ الأندلس والمغرب، مؤسسة الثقافة الجامعية – الاسكندرية، بد ص16-17

1- **البرانس:** ومن أشهر بطونها هي: ازداجة ومصمودة وآورية وعجيسة وكتانة وصنهاجة[1] وقد إضاف البعض قبائل لمطة وهسكورة وجزولة((كزولة))[2]، وتقسم هذه القبائل إلى فروع أخرى.

2- **البتر:** ومن أشهر قبائلها اداسة ونفوسة وضريسة وبنو لواي وتتفرع هذه إلى أقسام وفروع أخرى[3].

لم يقتصر سكان افريقية والمغرب على البربر فقط، وإنما كان هناك الروم البيزنطيون وهؤلاء في الغالب كانوا مع الجيش الروماني، أو ممن اضطهدتهم الكنيسة الرومانية، وكذلك يوجد هناك الأفارقة، أو عجم افريقية أو الأفارقة الأعاجم[4]، وهو ما يشير إلى انهم غير العرب، وقد يكون هؤلاء خليط من بقايا الفينيقيين والوندال[5]، وقد سكن هؤلاء في المناطق الساحلية أو بعض المناطق الداخلية المهمة حتى عرفت بعض المناطق بعد الفتح الإسلامي مثل مدينة قابس[#] على انها مدينة الأفارقة الأعاجم[6].

---

(1) وقد اعتبر الطبري ان صنهاجة كتانة ترجع إلى فرقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ. راجع الطبري، تاريخ الرسل ج1 ص207.

(2) ابن خلدون، العبر ج6 ص90.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص205. ابن حزم، الجمهرة ص461. ابن خلدون، العبر ج6 ص90.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص170. اليعقوبي، البلدان ص348. البكري، المغرب ص17، ص56. ابن خلدون، العبر ج6 ص219.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص218. البكري، المغرب ص17. الرفاعي، النظم الإسلامية ص195.

(6) اليعقوبي، البلدان ص348. البكري، المغرب ص114.

(#) قابس، احدى مدن افريقية، وهي فيها كدمشق في الشام، ويوجد فيها نهران وينتشر فيها زراعة الموز والحناء بينها وبين البحر ثلاث اميال. راجع في ذلك ابن سعيد المغربي، ابي الحسن علي بن موسى ت673 أو 685هـ كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي ط1 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت 1970 ص144

## ثالثاً: الجغرافية العامة لبلاد المغرب الأقصى

### تسميات بلاد المغرب

لقد عرفت بلاد افريقية والمغرب منذ القدم بعدة أسماء مختلفة، فقد أطلق الإغريق على الجزء الشمالي منها اسم(ليبو)) فيما أطلق اسم بلاد الأحباش على الأجزاء الصحراوية من المنطقة[1]. أما لفظة افريقية فقد أطلقه الرومان على الأجزاء الشمالية من افريقية اليوم، وهذا الاسم أطلقه العرب على كل ما يلي طرابلس[#] من جهة الغرب[2].

أما المغرب فيقصد به الكتاب والجغرافيون العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر حتى سواحل المحيط الأطلسي[3]. أما الاصطخري[4] فانه قسم المغرب إلى قسمين، فمغرب افريقي ومغرب أندلسي. أما عند ابن خلدون[5] فانه اعتبر المغرب بلد واحد، يحده من المغرب البحر المحيط(الأطلسي) ومن الشمال البحر الرومي(المتوسط) ومن جهة

---

(1) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية ج1 ص9-10.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص177. البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا، ط3 مكتبة الجناجي - القاهرة 1417-1996 ج1 ص176. وقال انما سميت بذلك نسبة إلى افريقس بن ابرهة ملك اليمن. مؤنس، فتح العرب للمغرب ص2.

(3) اليعقوبي، البلدان ص302-303.ابن حوقل، صورة الأرض ص64.

(4) الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، المسالك والممالك، تحقيق الاستاذ محمد جابر عبد العال - القاهرة 1961 ص23.

(5) ابن خلدون، العبر ج6 ص104.

(#) طرابلس: وتكتب اطرابلس وهي من مدن افريقية، مدينة ازلية تقع على ساحل البحر المتوسط وتتكون من ثلاث مدن هي حبرة واياس ولبدة، وقد فتحت ايام عمرو بن العاص ﷺ. مجهول، كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية - بغداد بلا ص110.راجع الحميري، محمد بن عبد المنعم 900هـ - 1449م، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط1، مكتبة لبنان - بيروت 1984 ص389-390.

القبلة(الشرق) والجنوب العرق، ويعني بها الصحراء، تمثل سياجاً للمغرب من جهة الجنوب حتى صحراء مصر

أما المغرب الأقصى فانه سمي بذلك لأنه ابعد أقسام المغرب عن دار الخلافة، ويمتد هذا الجزء من وادي ملوية(#) شرقاً حتى مدينة أسفي(#)(#) على المحيط الأطلسي[1]. وتعتبر بلاد المغرب الأقصى أكثر البلاد عزلة، لذلك نجده أقل البلاد تاثراً بالأحداث السياسية الكبرى التي مرت بها البلاد الإسلامية، ومما يميزها أيضاً انها لم تتعرض إلى أي غزو أجنبي[2].

## أهم الأقاليم الجغرافية لبلاد المغرب

1- **الإقليم الساحلي:** وهو الإقليم الواقع على بحر الروم((المتوسط)) والبحر المحيط((الأطلسي)) والممتد من الاسكندرية(#) إلى طنجة(#)(#) (على بحر الزقاق)) ثم إلى أقصى بلاد السوس الأقصى(#)(#)(#) على سواحل المحيط الأطلسي، ومن أهم السهول الساحلية في بلاد المغرب هي سهل الشاوية ودكالة وعبده، وهناك

(1) ابن خلدون، العبر ج6 ص101.

(2) سالم، تاريخ المغرب ص42.

(#) وادي ملوية: بفتح الميم وسكون اللام وكسر الواو، وهو من اعظم انهار بلاد المغرب، يصب في البحر المتوسط ويكون اطرافه ارضاً سهلية خصبة. راجع البكري، المغرب ص89-90. ابن خلدون، العبر ج6 ص102.

(#) اسفي: مدينة قديمة بناها الافارقة، وتعتبر من المراسي المهمة التي تقع على ساحل المحيط الاطلسي، وكانت هذه المنطقة تسكنها قبائل رجراجة ويوجد فيها نحو من مئة دار لليهود وكانوا يمتهنون الصناعة. راجع الادريسي، الشريف ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز ت649هـ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نشر دي غويه، ليدن، 1983م ص76. القلقشندي احمد بن علي ت821هـ. صبح الاعشى في صناعة الانشاء، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1410هـ – 1987 ج5 ص163-164.

بعض السهول التي تكونت حول الأنهار الصغيرة في بلاد المغرب مثل سهل مكناس. ويعد هذا الإقليم من أهم البقاع في بلاد المغرب إذ انه يمثل مركز لجلب الأجناس البشرية بسبب انتشار الأراضي الصالحة للزراعة[1].

2- **الإقليم الصحراوي:** وهو أكبر الأقاليم حيث يمتد من غرب مصر جنوب المغرب الأقصى حيث الجبال التي تعرف عند عرب البادية((العرق))[2] ويكون عبارة عن أراضي مقفرة جرداء عدا بعض الواحات والعيون المنتشرة هنا وهناك،وتكون في الغالب طريق لمرور القوافل التجارية من وإلى بلاد المغرب[3]

---

(1)(#) الاسكندرية: مدينة قديمة بناها الاسكندر المقدوني تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي أكثر مناطق مصر اتصالاً بالمغرب، وفيها ميناء كبير يبلغ طولها أحدى وخمسون درجة وعشرون دقيقة والعرض احدى وثلاثون درجة. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص147-148.

(#) طنجة: احدى مدن المغرب تقع على ساحل البحر وهي مدينة ازلية بينها وبين سبتة ثلاثون ميلاً. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص139. الحميري، الروض المعطار ص 395-396.

(#) السوس الاقصى: اقليم واسع خصب يقع إلى جنوب مدينة مراكش حتى حدود المحيط الاطلسي، يحده من الشرق وادي السوس وتقع فيه عدد من المدينة الكبيرة مثل تارودانت وهي قاعدة بلاد السوس وتزنيت، وتقسم إلى قسمين السوس الاقصى ويشمل الاطلس الكبير والصغير حتى الصحراء والثاني السوس الادنى ويقع على نهر ام الربع. راجع ابن خلدون، ص222. الحميري، الروض المعطار ص320.

(1) سالم، عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1981 ج2 ص131

(2) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص126. ابن خلدون، العبر ج6 ص100.

(3) الاصطخري، المسالك والممالك ص37-38.

3- **إقليم الهضاب:** وتعرف أيضاً بالحمادة، وهي الأراضي الموحشة التي لا عشب فيها ولا ماء وهي أرض صخرية مرتفعة وتنتشر هذه المرتفعات في أجزاء مختلفة من بلاد المغرب[1].

4- **الإقليم الجبلي:** ويتكون هذا الإقليم من سلسلتين جبليتين هما:

1- **السلسلة الشمالية:** وتتمثل في سلسلة جبال التل والريف وتقسم إلى:

أ - **أطلس التل:** وتمتاز بانحدارها التدريجي نحو بلاد المغرب الأوسط والأدنى، وتتكون هناك بعض السهول المحصورة بين تلك الجبال.

ب- **أطلس الريف:** وتمتد من الشمال الغربي من طنجة إلى مليلة[#] وتبدو على شكل قوس تاركا سهلاً ساحلياً ضيقاً في هذه المنطقة، أما ارتفاعها فيكون متوسط لكنها تتصف بالتعقيد من حيث التكوين[2].

2- **السلسلة الجنوبية:** وتمتد هذه السلسلة في جوف الصحراء تسمى بـ((أطلس التل)) وإلى الجنوب من هذه السلسلة توجد هناك سلاسل جبلية من اشهرها جبل درن[#][#]، وتكون أعلى جبال المغرب ارتفاعاً، وتتخللها بعض الممرات

---

(1) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص126.

(#) مليلة: وتسمى مليلية احدى المدن المغربية المطلة على البحر المتوسط عند منتصف المسافة بين سبة ووهران، وكانت تسمى مدينة روسادير أي راس الجرف والتي اسسها الفينيقيون ثم حكمها القرطاجيون والرومان وسماها المسلمون امليلة على وزن سفينة. راجع البكري، المغرب ص88-89. الادريسي، نزهة المشتاق ص111.

(2) الشرقاوي، محمد عبد المنعم،محمد محمد الصياد، ملامح المغرب العربي، مطبعة الاسكندرية – مصر 1959، ص14.

(#) جبل درن في المغرب يعرف بسقنفور وهو جبل عظيم معترض في الصحراء. راجع الحميري، الروض المعطار ص234.

التي تكون حلقة الوصل بين المغرب الأقصى وباقي أرجاء بلاد المغرب[1].
وتقع ضمن هذه السلسلة جبال الاوراس التي تكسوها الغابات[2].

## أهم المميزات الجغرافية للمغرب الأقصى

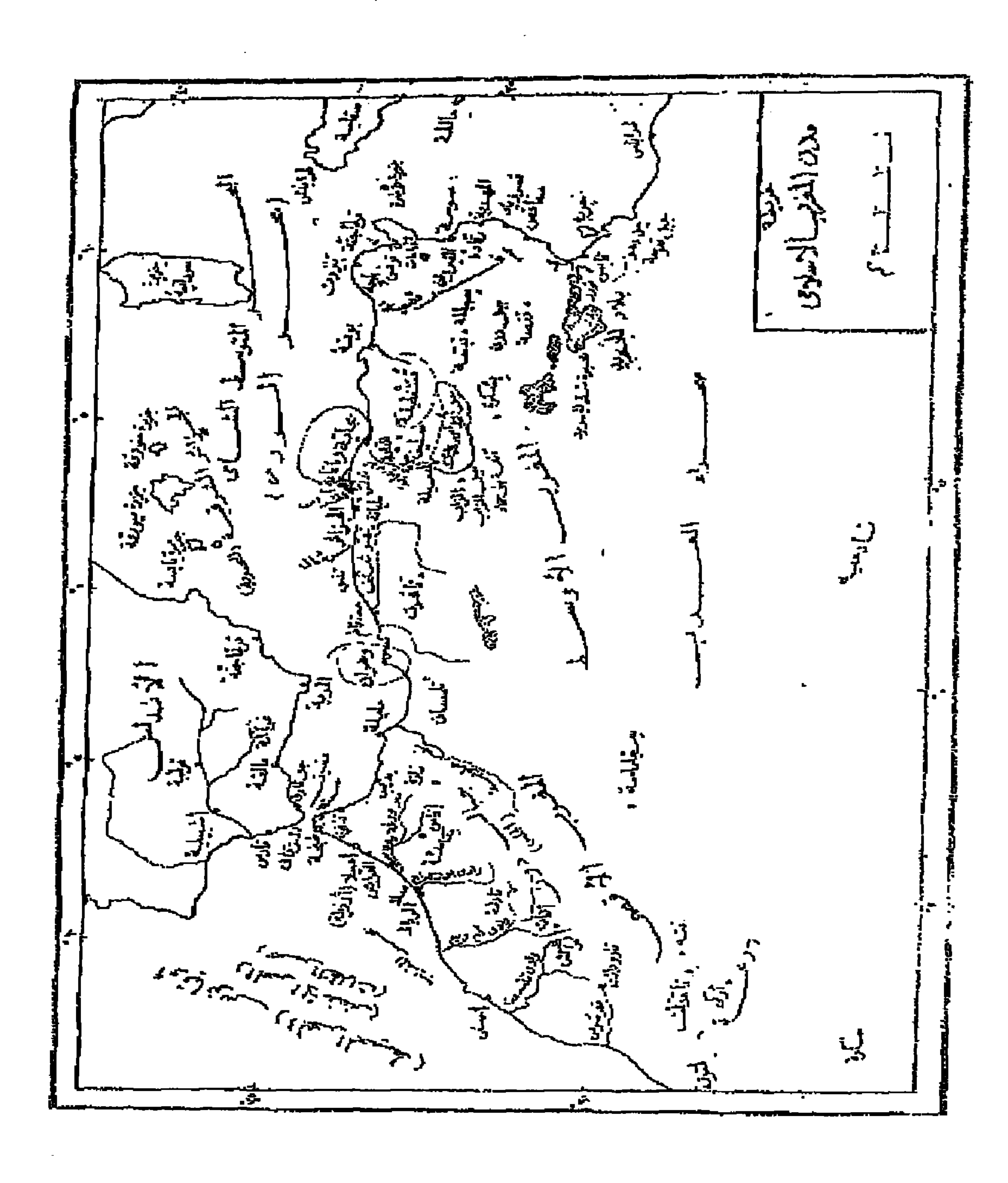
من أهم الأمور التي تميز بلاد المغرب الأقصى انه يشرف على البحر من جانبي البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، كذلك وجود بعض المرتفعات الجبلية مثل جبال الاوراس وغيرها التي كانت إحدى العقبات التي واجهت المسلمين الفاتحين، كما أنها أصبحت فيما بعد احد أهم المراكز التي انطلقت منها الحركات السياسية مثل دولة برغواطة وقيام دولتي المرابطين والموحدين. ومن ثم وجود السهول الخصبة سواء الساحلية منها أو التي تقع على ضفاف الأنهار وهو ما جعل البلاد تكتفي اقتصادياً مع وفرة المياه النهرية بسبب كثرة الأنهار في بلاد المغرب الأقصى[3].

كل هذه العوامل الطبيعية أعطت أهمية كبيرة لتلك البلاد من أرض الدولة الإسلامية.

(1) الشرقاوي، ملامح المغرب العربي ص14.

(2) سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص130.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص205. البلاذري، فتوح البلدان ص229. البكري، المغرب ص100. الادريسي، نزهة المشتاق ص170-171. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص139. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص41.



عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة المعارف العامة – مصر 1979م، ص73

# الفصل الأول

## الحياة السياسية والاجتماعية
## والعلمية والاقتصادية لأهل الذمة



# الفصل الأول

## الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية لأهل الذمة

لو تتبعنا التركية العامة للمجتمع الإسلامي عبر العصور المختلفة لوجدنا انه يتألف من مكونات وأطياف شتى، سواء أكان ذلك على مستوى الاختلاف العرقي أو الطائفي أو الديني، والأخير قد عرفوا عند المسلمين بأهل الذمة.

لم تعرف البشرية ان الأقليات الدينية تحتفظ بكامل حريتها عدا الدين الإسلامي، فقد تمتع هؤلاء بقدر كبير من الحرية والتسامح من قبل المسلمين سواء كان ذلك على مستوى الخلفاء والأمراء أو على مستوى الأفراد، فقد أعطيت الحرية في أمور العبادة والدين، كما تمتعوا بحرية العمل والمسكن في الدولة الإسلامية، حتى اننا نرى ان اغلب المدن الإسلامية يوجد فيها كنائس وأديرة، ولم تشذ عن ذلك سوى مكة والمدينة، وهذا يعود إلى طبيعتها الدينية حيث لم يسمح لهم بالإقامة فيها[1].

عرف أهل المشرق وخصوصاً العراق وبلاد فارس وجود صابئة ومجوس وغيرهم، أما في بلاد المغرب العربي فان الأمر قد يكون مختلفاً بعض الشيء، إذ ان اليهود والنصارى هما الدينان الأبرزان في تلك البلاد، أما فيما يتعلق بالصابئة أو المجوس أو أي

---

(1) عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط2، منشورات ذات السلاسل 1406هـ 1986 ص261. حسن، تاريخ الإسلام ج2 ص397. عاشور، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مج1،ابريل - يونيو 1980 ص96.

(#) اقليم تامسنا: كلمة بربرية من لهجة زناته ومعناها البسيط أو الخالي، وتشمل على الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الاطلسي من الرباط حتى مصب وادي أم الربيع، راجع ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 هامش المحقق ص180. العبادي، من تاريخ المغرب والأندلس ص258.

ديانة أخرى فلم يكن لها ذكر باستثناء ورود بعض الإشارات هنا وهناك عن وجود فرس في إقليم تامسنا(#)(1)

ومدينة فاس(#). وكان لهم بيت للنار يقومون فيه بتأدية الطقوس الدينية(2) لكننا لم نستطع التوصل إلى ان هؤلاء المجوس هم نفس مجوس بلاد فارس ؟ وإذا كان الجواب بنعم فكيف وصلت هذه الديانة إلى تلك الأصقاع، كما وجدت هناك بعض الجماعات الوثنية في بلاد المغرب الأقصى والتي كانت تسكن الجبال العالية(3)، وكانوا يعبدون الكبش وكانت هذه العبادة من عبادات المصريين القدامى(4).

ومما يؤسف له حقاً هو عدم تطرق مؤرخي العرب ورحالتهم إلى طبيعة حياة هؤلاء، فلم يرد ذكر لهم إلا بإشارات عابرة، وحتى العلامة المؤرخ ابن خلدون الذي يعد مؤسس علم الاجتماع، لم يتطرق إلى هذه الأقليات في المجتمع المغربي، وهذا بدوره أدى

---

(1) ا بن الخطيب، أعمال الاعلام ق3 ص192. ابن خلدون، العبر ج 4 ص14.

(#) فاس بالسين المهملة مدينة مشهورة يبلغ الطول فيها عشرة درجات وستون درجة والعرض ثلاث وستون درجة، وهما مدينتان عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين وهي ملاءى بالخيرات البضائع الغريبة، ويقال ان فيها عيون ماء بعدد ايام السنة وهي قطب بلاد المغرب الأقصى ويسكن حولها قبائل البربر ولكنهم يتكلمون العربية. ابن حوقل، صورة الأرض ص89. راجع في ذلك البكري، المغرب ص115. مجهول، الاستبصار ص180. الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت656هـ، معجم البلدان، دار صادر للطباعة، دار بيروت للطباعة والنشر 1374هـ / 1955م، مج4 ص230. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص140 – 141. شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي، ت 727هـ. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في مدينة بطرمسبرخ بمطبعة الاكاديمية الامبراطورية 1281هـ / 1856م ص436. القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص148–152. الحميري، الروض المعطار ص234–135.

(2) الحسن الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بجان ليون الافريقي، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، 1983 ج1 ص364.

(3) البكري، المغرب ص161.

(4) العبادي، من تاريخ المغرب والأندلس ص313.

إلى صعوبة البحث والتعرف إلى طبيعة حياتهم الاجتماعية، ومدى تأثرها أو تأثيرها في المجتمع الإسلامي.

## أولاً : الحياة السياسية لأهل الذمة

منذ بدأ عمليات الفتح الإسلامي للبلاد ونشر الدين الإسلامي، أدى هذا إلى توسع حدود الدولة العربية الإسلامية حتى بلغت أوجها أيام الدولة الأموية التي امتدت من الصين شرقاً حتى الأندلس غرباً، هذا التوسع في المساحة قابله ازدياد في عدد السكان للدولة على مختلف الأصول والأعراق والديانات.

قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1] فخصت النصارى بالمودة فقال الله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2] ويعتبر العصر النبوي مثالاً للتسامح الديني مع أهل الذمة،، حتى اننا لنجد ان رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده أحسنوا معاملة أهل الذمة[3]، وقد حرص خلفاء الدولة الإسلامية على تطبيق المنهج النبوي[4]، فقد سمح لهم بممارسة كافة اعمالهم الدينية والدنيوية، والحفاظ على حياتهم وغيرها من الأمور، وان ما يحدث في بعض الأحيان من تشديد على أهل الذمة ناجم من اجتهادات فردية، أو بفعل أمر قام به أهل الذمة[5].

---

(1) سورة الممتحنة آية 8.

(2) سورة المائدة آية 82.

(3) أبو يوسف، الخراج ص125. ابن القيم، احكام أهل الذمة ص35.

(4) ابن الاثير، عز الدين بن الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني ت 630هـ الكامل في التاريخ، دار صادر – بيروت 1979، ج3 ص159. الخربوطلي، النظم الإسلامية ص147. الرفاعي، النظم الإسلامية ص213.

(5) عاشور، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ص97.

لذلك فاننا نجد ان بعض النصارى وأهل الديانات الأخرى رحبوا بالفتح الإسلامي، وهذا يعود إلى الجور الذي كان هؤلاء يعانون منه، فالنصارى في بلاد المغرب كانوا مضطهدين من قبل الكنيسة الرومانية، وكذا الحال بالنسبة لليهود[1]، وخير دليل على ذلك هو ما قام به يليان حاكم طنجة وسبتة[#] الذي رضي بالنزول على حكم المسلمين وان يبدي النصح لهم، وبالمقابل فان قادة الفتح الإسلامي قد اخذوا بنصيحته[2] وهذا يدل على مدى الثقة التي كانت بين المسلمين وأهل الذمة. فنصارى بلاد المغرب كانوا مضطهدين من قبل الكنيسة الرومانية. حتى أنها قتلت أعداد كبيرة منهم[3]،

---

(1) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج1 ص

(#) سبتة: مدينة عظيمة تقع على الخليج الرومي المعروف بالافاق وهي تقابل الجزيرة الخضراء وهي مدينة حصينة. راجع ابن خرداذبة، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت 300هـ. المسالك والممالك، مكتبة المثنى – بغداد، بلا، ص153. الحموي، معجم البلدان، مج 3 ص182. القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص152. الحميري، الروض المعطار، ص303.

(2) ابن عبد حكم، فتوح مصر والمغرب، ص90. ابن عذاري المراكشي، ابو العباس أحمد بن محمد، ت 695هـ / 1296م، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنال، دار الثقافة – بيروت، بلا، ج1 ص6. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص255 – 269.

(3) جوليان، تاريخ افريقيا، ج1 ص20.

(#) كسيلة بن لمزم بن اعز البرنسي ثم الاوربي كان على دين النصرانية، قاد الجيوش ضد المسلمين فهزمه ابو المهاجر فاسلم ثم ارتد عن اسلامه. راجع ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية 1286هـ، مج 3 ص421. ابن خلدون، العبر ج6 ص216.

(#) عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن امية بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري ولد على عهد النبي محمد ﷺ ولم تصح له صحبة وهو ابن خالة عمرو بن العاص ﷺ وقد ولاه أمر افريقيا وهو الذي فتح افريقيا وابتنى القيروان قتله البربر عام 63هـ اثناء عودته من بلاد المغرب الاقصى. راجع ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص206. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص342. ابن لاثير، الكامل ج3 ص45. ابن الاثير، اسد الغابة مج 3 ص420. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدميري، ط2، الكتاب العربي – بيروت، 1418هـ / 1998م، ص88.

بالإضافة إلى الضرائب الباهظة التي أثقلت كواهلهم وبالرغم من هذا التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه أهل الذمة، إلا اننا نجدهم في بعض الأحيان يثيرون المتاعب للدولة الإسلامية، وقد قاوم بعضهم الفتح الإسلامي، وقد يكون هؤلاء ليسوا أهل البلاد الأصليين، فقام النصارى بمساعدة كسلية[#] احد قادة البربر على تمرد ضد قادة الفتح الإسلامي حتى أدى به الأمر أن قتل عقبة بن نافع الفهري[#][#]، وبعد انتشار الإسلام في البلاد وفي أيام دولة المرابطين قام النصارى المعاهدون بالتواطؤ مع ردمير قائد النصارى، وتقديم التسهيلات لهم في حربهم ضد المسلمين[1] وهو أمر مخالف لعقد الذمة، مما حرى بأمير المسلمين إلى نفيهم إلى بلاد المغرب بعد مشاورة الفقهاء والعلماء، وهو أقل ما يفعله بهم.

أما اليهود فلم يكن لهم اهتمام بأمور السياسة، وهذا أمر واضح فلم يحاول اليهود إقامة كيان سياسي خاص بهم في بلاد المغرب بالرغم من حالة الفوضى التي كان يعج بها المغرب الأقصى، ويبدو ان السبب وراء ذلك هو أن اليهود كانت دوافعهم اقتصادية أكثر مما هي سياسية. لكن د. محمد الغربي[2] ذكر وجود مملكة لليهود في بلاد السودان، وكان لها جيش قوي، وقد قامت هذه المملكة بعيداً عن الأخطار الكبيرة التي تعرض اليهود لها في بلاد المغرب على يد الرومان، ولم يكن موقف القوط بأحسن حال من الرومان، فإنهم

---

(1) مجهول، مؤلف من أهل القرن الثامن الهجري، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية – تونس 1329هـ، ص6. الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ – 897م / 711هـ – 1492م، دار الحكم دمشق – بيروت، دار العلم الكويت – الرياض، 1396هـ – 1976م، ص432-434. حركات، ابراهيم، المغرب في التاريخ، ط1، الدار البيضاء، 1965م، ج1 ص232. الهرفي، سلامة محمد، دول المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، 1405هـ / 1985م، ص30.

(2) الغربي، محمد، بداية الحكم العربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر – الكويت، دار الرشيد للنشر – بغداد، 1982م، ص607-608.

كانوا منبوذين أيضاً، حيث لم يسمحوا لهم بامتلاك العبيد أو غيرهم، كما انهم ابعدوا عن جميع المناصب في الدولة وغيرها من القرارات الجائرة بحقهم[1].

على الرغم من المعاناة الكبيرة التي كان يعانيها اليهود في بلاد المغرب[2] وبالمقابل التسامح الكبير الذي تمتع به هؤلاء من قبل المسلمين لجدهم يثيرون المتاعب للدولة العربية الإسلامية، ففي المشرق الإسلامي ظهرت عدد من الحركات اليهودية، فقد أعلن((شيريم))[3] وهو من يهود بلاد الشام بأنه المنقذ والمخلص لهم مما هم فيه وانه سوف يعمل على انتزاع فلسطين وبيت المقدس من المسلمين وجعلها عاصمة لهم وقد أصبح له أتباع من يهود العراق وفارس والأندلس لكن الأمر انتهى بمقتله، وقد ذكر ديورانيت[4] على انه سير حملة لانتزاع فلسطين ووقوع القائم عليها في الأسر، وهذا يعني حدوث مواجهات بين الطرفين، وبعد ذلك خرج يهودي أخر يدعى (عويديا بن عيسى بن اسحاق الأصفهاني)) الذي حمله اليهود على الخروج ضد الدولة الإسلامية وصار له أتباع كثيرون لكنه قتل في إحدى المعارك مع الجيوش الإسلامية[5]. وفي بلاد المغرب الأقصى كانت هناك المقاومة البربرية بقيادة الكاهنة والتي كانت تدين باليهودية على

---

(1) م.ن ص608.

(2) فعمل أهل فاس على استرقاق أهل الذمة وأدخلوهم اسواق المزايدة وعقدوا فيهم البيع، التلمساني، تحفة الناظر، ص167.

(3) الصلابي، علي محمد محمد، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1426هـ / 2005م، مج 2 ص389.

(4) ديورانيت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ولجنة التاليف والترجمة والنشر، بلا، ج14 ص76-77.

(5) اليوزبكي، توفيق سلطان، أهل الذمة في العراق 12 – 247هـ، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض – السعودية 1403هـ/ 1983 ص309. ديورانت، قصة الحضارة ج14 ص77-78.

بعض الأقوال[1] والذي أدى بدوره إلى تأخير عمليات الفتح وصعوبتها، الأمر المهم الأخر هو تشجيعهم للحركات الانفصالية والتيارات الدينية المتفرقة مثل إمارة برغواطة التي اقتبست الكثير من تعاليم اليهودية وان مؤسسها هو صالح بن طريف البر غواطي الذي يرجع إلى أصول يهودية[2]، وكذا الحال بالنسبة لحاميم المتني[#] وكان قد اقتبس الشيء الكثير من تعاليم صالح بن طريف التي هي بالأصل مقتبسة من تعاليم يهودية، وربما يعود ذلك إلى انتشار الديانة اليهودية في تلك البلاد، وقد بقي أتباعه إلى أيام ابن خلدون[3] حيث يقول((وما زالوا ينتحلون السحر لهذا العهد)) بالرغم من مقتل حاميم على يد احد قادة عبد الرحمن الثاني عام 315هـ في الحروب التي دارت هناك مع قبائل

---

(1) البكري، المغرب ص144. ابن خلدون، العبر ج6 ص214. السلاوي، ابو العباس أحمد بن خالد الناصري ت 1897م، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق ولدي المؤلف جعفر وخالد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، 1954، ج1 ص93.

(2) ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص181.

(#) حاميم المتني ابو محمد حايم بن من الله بن حرير بن عمر بن حنو بن ازروال بن مجكسة وقال ان اسمه مشتق من القرآن الكريم (حاء) و ( ميم) وقد هجاهم عبد الله بن محمد المكفوف الطنجي وقال:

| | |
|---|---|
| افتراء بن حايم مرســــــل | اليهم بدين واضح الحق باهر |
| فلقد كذبتم برد الله شملكم | فما هون إلا عائر وابن عائر |
| فان كان خاتم رسول فانني | بارسال حاميم الأول كافر |

راجع ابن خلدون، العبر ج2 ص446. كنون، عبد الله، النبوغ المغربي في الادب العربي، ط3، دار الكتاب اللبناني، 1395هـ / 1975م، ج2 ص252. بل، الفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازي، 1969م، ص183.

(3) ابن خلدون، العبر ج2 ص446.

مصمودة[1]، كما ان اليهود لعبوا دوراً تخريبياً ضد دولة الموحدين حيث قدموا المساعدة لأحد الخارجين على الدولة من أجل دخول مدينة غرناطة عام 558 هـ، كما جاء بعض تجار اليهود مع جيوش النصارى من أجل شراء الغنائم التي يحصلون عليها بعد انتصارهم في معركة الارك 591هـ لكن انتصار المسلمين في هذه المعركة خيب أمالهم[2].

على الرغم من كل ما مر بنا، نجد ان المسلمين يتسامون فوق كل هذا، وبلغ من تسامح الدولة العربية الإسلامية مع أهل الذمة ان شغل بعضهم مناصب مهمة في الدولة[3]. وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ت 23هـ يكره استخدام اليهود في المناصب الحكومية، إلا ان الخلفاء من بعده استخدموهم في بعض وظائف الدولة وخاصة في أمور الكتابة وجباية الأموال[4]، وكان هؤلاء العمال يقسمون قسمين، وكان هذا في خلافة هارون الرشيد العباسي[#][5].

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص193. ابن خلدون، العبر ج6 ص446. الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص154. بل، الفرق الإسلامية ص187.

(2) الضبي، أحمد بن عيسى ت599هـ / 1202م، بغية الملتمس في رجال الأندلس، ط1، دار الكتاب العربي، 1967، ص45-46.

(3) الصالح، النظم الإسلامية ص365.

(4) الرفاعي، النظم الإسلامية ص67.

(#) هارون الرشيد ابو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ولد بالري، عندما كان ابوه اميراً عليها وعلى خراسان سنة 148هـ وامه ام ولد اسمها الخيزران، كان ابيضاً طويلاً جميلاً مليحاً ن بويع بالخلافة بعد موت اخيه الهادي وبقي حتى وفاته سنة 193هـ بطوس، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ت911هـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي عبد الحميد، ط3، مكتبة الشرق الجديد – بغداد – العراق، دار العلوم الحديثة – بيروت – لبنان 1987م ص283 – 284.

(5) متز، الحضارة الإسلامية ج3 ص87-88.

في أيام دولة المرابطين عين أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين(#) اليهودي أبو أيوب سليمان بن المعلم طبيباً خاصاً به، وفي نفس الوقت منحه لقب الوزير الفخري[1]، وكان لبعض عمال المرابطين في الأندلس كتاب من اليهود ومنهم عامل المرابطين على شرق الأندلس[2]، وقد ورد في بعض الرسائل الرسمية التي أرسلها إلى القضاة والفقهاء يأمرهم بعدم إسناد وظائف لأهل الذمة كانت الرسالة مؤرخة عام

---

(#) علي بن يوسف: ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ولد بمدينة سبتة عام 476هـ وفي رواية 477هـ كانت امه إم ولد رومية اسمها قمر وتكنى أم الحسن وقيل فاض الحسن وتجمع الروايات على انها جارية اسبانيا مسيحية، كان ابيض اللون مشرب بحمرة تام القد، اسيل الوجه أفلج أقنا خفيف العارضين اكحل العينين سبط الشعر وقد تزوج من عدة نساء منهن رياض الحسن، وقد انجبت له ولداً أسمه عمر الصغير واخرى امه سوداء أسمها تاغشين وثالثة اسمها قمر أم ولي عهده وكان له عدة أولاد منهم تاشفين الذي تولى الحكم بعده وابو بكر الذي كان يدعى بيكورة وابو حفص عمر الكبير وابراهيم واسحق وتميم. راجع في ذلك مجهول، الحلل الموشية ص61. ابن عذاري، البيان المغرب، قسم المرابطين، تحقيق احسان عباس، ط1، دار الثقافة – بيروت، 1967 ج4 ص100-101. ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله ت 741هـ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1972، ص107. ابن القاضي، احمد بن محمد المكناسي ت1025هـ / 1613م، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، 1973م ج2 ص459-460. عنان، محمد عبد الله، عصر المرابطين والموحدين، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة – القاهرة، 1383هـ / 1964م، ق1 ص58.

(1) الخالدي، خالد يوسف، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس 92-897هـ / 711-1492م، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الأداب – جامعة بغداد، 1420هـ / 1999م، ص190-191.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص77. السامرائي، خليل ابراهيم، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية والأندلسية وبالدول الإسلامية، دار الشؤون الثقافية – بغداد، 1985 ص397.

538هـ[1] وبالرغم من الأوامر الصادرة بحق أهل الذمة وخصوصاً اليهود في دولة الموحدين نجد ان خازن بيت المال في أيام السعيد الموحدي[(#)(#)] هو ابن شلوخة اليهودي وهو منصب رفيع وذو مكانة مرموقة، ويبدو ان هناك غيره في مناصب أخرى[2].

لم يكن النصارى بأحسن حالاً من اليهود بالرغم من الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه من قبل الدولة البيزنطية، إلا اننا نجدهم قد أجهدوا الدولة بالاضطرابات والثورات، ففي مصر[(#)] التي لاقا الأقباط[(#)(#)] فيها الأمرين من قبل الرومان، وبالمقابل سياسة التسامح من قبل المسلمين، نجدهم يقومون بثورة كبيرة أواخر الدولة الأموية , وقد ساعد هؤلاء العباسيين على توطيد سلطانهم في مصر أملاً منهم في رفع القيود عنهم وتخفيف

---

(1) مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين 520-540هـ / 1126-1145م، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد ع3 س 1945، رسالة رقم 2 ص113.

(#)(#) السعيد الموحدي: ابو الحسن علي بن ابي العلي ادريس بن ابي يوسف المنصور ابن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، امه ام ولد نوبية لقبه السعيد والمعتصم وقيل المعتضد بالله، كان شديد السمرة تام القد معتدل الجسم سبط الشعر مليح العينين، بويع بالخلافة بعد وفاة اخيه الرشيد في صفر عام 640هـ / 1243م، وبقي حتى توفي في صفر 646هـ / 1248م. راجع في ذلك ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب 1406هـ / 1985م ص359. ابن ابي زرع، الأنيس المطرب ص356. مجهول، الحلل الموشية ص126.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين، ص364.

(#) مصر سميت بذلك نسبة إلى مصر ايبم بن حام بن نوح وهي من فتوح عمرو بن العاص ﷺ طولها اربع وخمسون درجة وثلثان وعرضها تسع وعشرون درجة وربع.راجع الحموي، معجم البلدان مج5ص137

(#)(#) القبط يقال انها التسمية العربية لأهل مصر نسبة إلى ملك مصر القديم قبط بن نوح، ويعتقد انها مشتقة من اسم احد المدن المصرية القديمة ويطلق اسم القبط على المسيحين اليعاقبة من أهل مصر. راجع The Encyclopedia of islam , Art , kibt ,vol , 2 , Leyden , London , 1927 , p990

الضرائب والجزية، لكن أمالهم ما لبث ان خابت إذ سرعان ما ظهر تذمرهم من سياسة العباسيين، وفي سنة 133هـ / 750م ثار ايومينا في صعيد مصر، وبعد سنوات قليلة قام الأقباط عام 150هـ / 767م بثورة اعنف تمكنوا فيها من طرد قوات الدولة، ولم يستطع والي مصر يزيد بن حاتم المهلبي من القضاء عليها إلا بعد جهود مضنية[1].

أما في بلاد المغرب فقد بقيت هناك بعض المناطق والتي تقع على سواحل البحر المتوسط بالقرب من مدينة برقة[#] ولم تستطع القوات الإسلامية من فتحها إلا في زمن الخليفة المتوكل[2] ت 247هـ / 861م وربما جاء ذلك وفقاً لسياسة الخليفة المتشددة اتجاه أهل الذمة، والمتعصبة لأهل السنة[3].

لم تقتصر متاعب النصارى عند هذا الحد فقد ظهر تحدي بلاي النصراني للدولة الإسلامية، فقد ذكر المقري[4] ان أول من جمع فلول النصارى في الأندلس بعد غلبة

---

(1) الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ت بعد سنة 353هـ كتاب الولاة والقضاة، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل واحمد فريد المزيدي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1420هـ / 2003م ص87 – 88. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن الاتابكي ت 814هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر 1383هـ / 1963م ج1 ص361.

(#) برقة بفتح اوله والقاف اسم صقيع كبير يشمل ثلاث مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية طولها ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق بينها وبين الاسكندرية مسيرة شهر، تقع في مرج واسع تربته حمراء شديدة الحمرة يشرب اهلها مياه الامطار. راجع اليعقوبي، البلدان ص306. الحموي، معجم البلدان، مج1 ص388-389.

(2) البلاذري، فتوح البلدان ص377.

(3) فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط1 دار الشروق، عمان – الاردن، 1988م ج1 ص305.

(4) المقري، احمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، بد، ج4 ص350.

العرب المسلمين عليها بلاي من أهل جليقية(#) وكان قد هرب من قرطبة(#)(#) أيام الحر بن عبد الرحمن سنة98هـ وقد طردوا عامل الحر وملكوا البلاد، ولما تولى السمح بن مالك سنة 100هـ استطاع حضد شوكتهم، وقد أكمل عبد الرحمن الغافقي ذلك العمل فاستقامت له البلاد[1].

ومن أهم وظائف التي عمل بها النصارى في بلاد المغرب الأقصى هي جباية الضرائب[2]، وكذلك عمل اليهود في هذه الوظيفة، وهذا أمر غاية في الأهمية لأن ميزانية الدولة تعتمد بشكل كبير على الضرائب والجزية وغيرها من الأموال الداخلة في ميزانيتها، كما عمل هؤلاء أيضاً في حماية الأمراء فمنذ أيام يوسف بن تاشفين الذي

---

(#) جليقية تقع شمال اسبانيا وتسمى غاليسيا تقع عند مصب نهر سمورة الكبير حيث الطول خمس درجات ونصف والعرض ست واربعون درجة. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص192. ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص242 هامش المحقق.

(#) قرطبة قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها واثارهم بها ظاهرة وفضائلها ومناقب علمائها أشهر من أن تذكر اعلام البلاد وايان الأندلس، اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي وعلو الهمة وجميل الاخلاق وتجارها مياسير وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً وبين مدينة سور حاجز وفي كل مدينة ما يكفيها من الاسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس. راجع الحموي، معجم البلدان مج6 ص53. الحميري، الروض المعطار ص456.

(1) الصلابي، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار مج2 ص389.

(2) ابن الاثير، الكامل ج3 ص296. محمود، حسن احمد، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1957 ص411. التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة اكاديمية المملكة المغربية 1407هـ / 1987م ج6 ص25. السامرائي، علاقات المرابطين ص399. اشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1359هـ / 1940م ص480.

استجلب أعداداً كبيرة منهم[1]، وأصبح قسم منهم مقرب من الأمراء[2]، وقد برز عدد منهم ولمع اسمه بين المسلمين[3]. ولقد لعب هؤلاء دوراً مهماً في الدفاع عن دولة المرابطين ثم الموحدين[4] وكان يغلب على ألوانهم الشقرة[5] إلا إن هذا العمل كان من أسباب ثورة أهل الأندلس على المرابطين[6].

---

(1) مجهول، الحلل الموشية ص65. الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والإندلس في العصر المريني 610-869هـ / 1213-1465م ط2، دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت 1408هـ – 1987 ص16-17.

(2) مجهول، الحلل الموشية ص65-66. مؤنس، نصوص سياسية ص102. عنان، عصر المرابطين ق2 ص232.

(3) ومن هؤلاء الربيرتير قائد الفرقة الاسبانية، راجع البيذق، ابو بكر الصنهاجي ت القرن السادس الهجري، اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفي بروفنسال – باريس 1928م ص287. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص218-232.

(4) عز الدين، احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، 1403هـ / 1983م، ص107-108.

(5) ابن الاثير، الكامل ج2 ص296.

(6) السامرائي، علاقات المرابطين ص403.

(#) ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القريشي التيمي ويلتقي مع النبي ﷺ في الجد السادس، يكنى بابي بكر ويلقب بالصديق والعتيق، وأمه سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم وتكنى أم الخير، ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات وقيل بسنتين، كان ابيض اللون نحيف البدن غائر العينين توفي يوم الاثنين في الثاني والعشرين من جمادي الاخرة ثلاث عشر للهجرة. راجع في ذلك ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري ت 230هـ / 844م، الطبقات الكبرى، دار صادر – بيروت، 1957 ج3 ص188. ابن الاثير، اسد الغابة ج3 ص210. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي ت 852هـ / 1448م، الاصابة في تميز الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ / 1995م، ج4 ص144-146. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ت911هـ. تاريخ

## ثانياً : الحياة الاجتماعية لأهل الذمة

بدأت الفتوحات الإسلامية منذ أيام عهد الخلافة الراشدة، في خلافة أبو بكر الصديق ﷺ ت13هـ(#) وقد توسعت هذه الفتوح في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ت23هـ(#)(#) حتى فتح الشام والعراق ومصر وبلاد فارس وفتحت بلاد المغرب والأندلس أيام دولة بني أمية، هذا التوسع في حدود الخلافة قابله أيضاً توسع كبير في سكان المجتمع الإسلامي فتعددت الأجناس والأعراق والثقافات، وكذلك المهارات والعادات والتقاليد هذه الأمور جعلت المجتمع الإسلامي عبارة عن خليط من الأجناس، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء بل كانت هناك جماعات أخرى ممن ارتضت البقاء على دينها ومعتقدها وهم ما عرفوا بأهل الذمة، وكانت كل طائفة ترغب في العيش مع أبناء جنسهم متجاورين بعضهم مع البعض الأخر، وقد أجير لهم العيش بجوار المسلمين، ولم يقتصر الأمر على الأحياء فقط بل حتى الأموات يجوز ان يدفنوا في مقابر مشتركة كل على حده[1].

---

الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مكتبة الشرق الجديد، بغداد – العراق، دار العلوم الحديثة، بيروت – لبنان 1987م، ص27-33.

(#)(#) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي يكنى ابا حفص ويلقب بالفاروق امه حنتمة بنت هاشم بن المغيره وقيل بنت هاشم اخت ابي جهل ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وكان ﷺ ابيض امهق تعلوه حمرة حسن الخدين والانف والعينين غليظ القدمين والكفين، استشهد يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 23هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته عشر سنين ونصف. راجع في ذلك ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3 ص265. السيوطي، تاريخ الخلفاء ص108 – 111.

(1) الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص122-123. متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص75.

(#) تلمسان: مدينة مشهورة بالجزائر وتلفظ تلمسين وهي مشتقة من تلمسان وتعني الغدير أو النبع بلغة البربر ويبلغ طولها اربع عشرة درجة وأربعون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتا واربعون دقيقة وهي قاعدة المغرب الأوسط ومدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها اثار الاول تدل على انها

كانت هناك عوامل كثيرة أدت إلى هذا التعايش السلمي، من بينها هو الحرية التي أعطاها المسلمون لأهل الذمة، والأمان والإبقاء بالعهد من ابرز سمات المجتمع الإسلامي، وهو ما افتقدته باقي الأديان حيال الأقليات الأخرى.

بقيت هناك أعداد من اليهود والنصارى في بلاد المغرب منذ أيام الفتح الإسلامي، وقد تركز هؤلاء في القيروان وتلمسان(#) وفاس وسجلماسة(#)(#) بالإضافة إلى مدن أخرى، وبعض القرى المتناثرة في بلاد المغرب، وكان التركز على هذه المدن دون غيرها لتسهيل أمورهم الاجتماعية[1]، وقد تناقص أعداد النصارى في بلاد المغرب الأقصى، وذلك بسبب وجود الدول والإمارات النصرانية القريبة منها، لذلك فان قسماً منهم قد فضل الذهاب والعيش مع أبناء جلدته، ومن ثم فان بلاد المغرب قد شهدت حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، لم يكن هناك كيان سياسي موحد إلا عندما قامت دولة المرابطين ومن ثم الموحدين[2]، لذلك فقد تناقصت أعداد الكنائس والأديرة في بلاد المغرب.

---

كانت دار مملكة لأمم سالفة. راجع البكري، المغرب ص76. مجهول، الاستبصار ص176. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص140. الحميري، الروض المعطار ص135.

(#)(#) سجلماسة: بكسر أوله وثانيه وسكون اللام، مدينة جليلة تقع في صحراء المغرب الاقصى بينها وبين البحر خمسة عشر مرحلة تقع على نهر بربر وهي كثيرة الاعناب والنخيل وهي مدينة محدثة بنيت سنة 140هـ اسسها مدرار بن عبد الله. راجع ابن حوقل، صورة الأرض ص90. الحموي معجم البلدان مج3 ص192. مجهول، الاستبصار ص200-201. شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر ص238. القلقشندي، صبح الاعشى، ج5 ص158. الحميري، الروض المعطار، ص305-307.

(1) عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي ص104-106. الجنحاني، الحبيب، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية 3-4 / 9 – 10، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1977 ص90-91. لوتورنو، روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك 1967 ص41-43. لعيبي، كريم علي، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد 1414-1993 ص53.

(2) عز الدين احمد، المغرب الإسلامي ص104، بل، الفرق الإسلامية ص104.

كان أهم ما تميز به أهل الذمة في بلاد المسلمين هو اللباس الخاص بهم، فقد امتاز هؤلاء بلباس خاص بهم يميزهم عن بقية المجتمع الإسلامي، وكانوا في بادئ الأمر يعملون ذلك من تلقاء أنفسهم، لكن الأمر فيما بعد كان يقوم وفق أوامر الخليفة[1].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ت23هـ قد أمر بتمييز أهل الذمة[2]، وعمل الخليفة عمر بن عبد العزيز ت101هـ[#] الشيء نفسه[3] ويعتبر الخليفة هارون الرشيد ت193هـ هو أول خليفة عباسي من الذين تشدد لأمر أهل الذمة، فقد أمر بهدم الكنائس في الثغور وخاصة التي بنيت بعد الفتح، ثم أمر أهل الذمة في دار السلام بغداد[#][#] بمخالفة لبس المسلمين[4]، وقد أمر الخليفة المتوكل[#][#][#] العباسي ت 247هـ بلبس أهل

(1) الرفاعي، النظم الإسلامية ص217.

(2) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص114-115. التلمساني، تحفة الناظر، ص17. الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية ص144.

(#) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف امه ام عاصم بنت عاصم بنت عمر بن الخطاب ﷺ ولد في المدينة المنورة عام 61هـ كان اسمر اللون رقيق الوجه نحيف الجسم غائر العينين توفي يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة 101هـ بدير سمعان من ارض المعرة بالشام. راجع في ذلك الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر – بيروت 1402هـ، ج5 ص144. السيوطي، تاريخ الخلفاء ص228-232.

(3) الجليدي، كتاب التيسير ص77.

(4) فوزي، الخلافة العباسية ج1 ص309. حتى، فيليب، تاريخ العرب مطول، دار الكتاب، بيروت – لبنان للنشر والطباعة والتوزيع، 1950م، ج2 ص432-433.

(#)(#) بغداد ام الدنيا وسيدة البلاد وفيها خلاف في معنى الكلمة فقيل بستان رجل فباغ بستان وداد اسم رجل وقيل غير ذلك، وتسمى بدار السلام وهي من المدن الحدثة بنيت في خلافة المنصور ياتي إليها التمر من البصرة والارز من البطائح وتصعد اليها المراكب ببضائع الهند في دجلة يبلغ الطول ثلاث وسبعون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وتسع دقائق. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص158. الحموي، معجم البلدان، ج1 ص456.

الذمة طيالس عسلية وشد الزنانير وهدم البيع المحدثة وأخذ العشر من منازلهم ونهى ان يستعان بهم[1]، وفي عام 296هـ أمر الخليفة المقتدر[#] بان لا يستعان بأحد من اليهود والنصارى وان يلزموا بيوتهم واخذوا بلبس العسلي والرقاع[2]، وفي عام 450هـ أمر الخليفة أهل الذمة بلبس الغيار[3]. وفي بلاد المغرب قام البعض بجعل رقاع على أكتاف اليهود والنصارى مكتوب عليها قرد خنزير وجعل على أبواب دورهم ألواح مصور عليها قرد[4] وفي دولة الموحدين أمر الخليفة المنصور الموحدي[#)(#] بتمييز أهل الذمة بلباس

---

(#)(#)(#) الخليفة المتوكل على الله، جعفر ابو الفضل بن المعتصم بن هارون الرشيد ولد سنة 205هـ امه ام ولد اسمها شجاع بويع بالخلافة بعد الواثق سنة 232هـ فاظهر الميل لأهل السنة ورفع المحنة عن القول بخلق القرآن، توفي مقتولاً سنة 247هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء ص346.

(1) ابن الأثير، الكامل ج5 ص285. قاسم، عبدة قاسم، اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 1980 ص7. فوزي، الخلافة العباسية ج1 ص310.

(#) المقتدر بالله، ابو الفضل جعفر بن المعتضد ولد في رمضان سنة 282هـ امه أم ولد روميه وقيل انها تركية اسمها غريب وقيل شغب تولى الخلافة وعمره ثلاث عشر سنة توفي المقتدر مقتولاً في شوال سنة 320هـ. راجع في ذلك السيوطي، تاريخ الخلفاء ص378-379.

(2) ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت 597هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن 1357هـ مج 6 ص32. السيوطي، تاريخ الخلفاء ص379.

(3) ابن الجوزي، المنتظم مج8 ص190.

(4) الجنجاني، الحياة الاقتصادية ص55-56.

(#)(#) المنصور الموحدي: امير المؤمنين عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي لقبه المنصور بفضل الله أمه أم ولد كان ادم معتدل القد اكحل الشعر واسع الاكتاف كان عالماً بالحديث والفقه بويع بالخلافة يوم الاحد التاسع عشر ربيع الاخر سنة ثمانين وخمسمائة 580هـ / 1184م، وبقي حتى وفاته 595هـ. راجع ابن ابي زرع، الانيس المطرب ص217.

خاص يعرفون به وذلك لاتقاء شرورهم فكانت ثيابهم ذات لون كحلي مفرطة السعة[1]. واستبدلت بلون اصفر بعد موته.

فقد ذكر المقري[2] في نفح الطيب لقد شكك بعض المؤرخين بصحة تشدد الإسلام بملابس أهل الذمة، وان الخلافة الإسلامية قد جعلت هذا العمل من أولوياتها، على ان هذا الأمر لم يكن بهذه الدرجة من الأهمية، وذلك لأن كتب التاريخ العربية الأصيلة كالطبري وابن الأثير والبلاذري وغيرهم، لم يذكروها إلا بشكل عابر دون ذكر الإلزام بذلك[3] وقد بلغ تسامح المسلمين مع أهل الذمة ان سمحوا لهم بالتلقب بألقاب عربية وإسلامية مثل أبي الحسن وأبي الفضل وغيرها من الأسماء وان كان هذا مخالفاً للشرع[4]، فمسألة تمييز أهل الذمة هو ليس من أمور العبادة كما فهمه البعض بأنه شيء مسلم به، لقد كان التمييز بين الناس مبيناً لأديانهم أمراً ضرورياً في ذلك الوقت، فلم يكن هناك بطاقات شخصية أو جوازات سفر أو غيرها من الأمور، ثم ان للعرب المسلمين زيهم الخاص بهم، كما ان للنصارى واليهود زيهم الخاص بهم، وللعامة كذلك الملابس الخاصة بهم، ولهذا فان لبس نوع من الألبسة لا يعتبر بأي حال من الأحوال اضطهاداً[5].

---

(1) المراكشي ، المعجب ص308. ابن عذاري، البيان المغرب قسم اموحدين ص228. الزركشي، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم كان حياً سنة 894هـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط3، المكتبة العتيقة – تونس، 1966 ص16.

(2) نفح الطيب ج1 ص208.

(3) الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص84-85.

(4) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص116-117.

(5) الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص132-133. القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص60-61. ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص132-133. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ط1 دار الشروق – القاهرة، 2001 ج3 مج1 ص301.

(#) ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ﷺ ت177هـ امه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومية. راجع ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي ت 658هـ /

من المظاهر الاجتماعية التي سادت في المجتمع الإسلامي هو التزوج من النساء الذميات سواء كن سبايا حرب أو عن طريق الشراء، وكان لهذا العمل أثره في شيوع ظاهرة التسامح، معهم فمنذ أيام ادريس بن عبد الله[#] مؤسس دولة الادارسة الذي تزوج بامرأة قوطية[1] ومن ثم أمراء المرابطين والموحدين، حيث تزوجوا من نساء نصرانيات وقد أصبح لبعض منهم حظاوة ومكانة خاصة لدى الأمراء، كما تقلد اغلب أبناء هؤلاء الناس أمور الخلافة[2]، وقد أجازت الشريعة الإسلامية ذلك الزواج دون ان تجبر الزوجة على ترك دينها والدخول في الإسلام[3]، حيث ان المسيحية واليهودية لم تجز للمرأة ان تتزوج بغير المسيحي واليهودي، كما ان الإسلام لم يجز زواج المسلمة من غير المسلم[4]، ولم يكن تغيير الدين مسموحاً به إلا الدخول بالإسلام[5].

وقد أعطى المسلمون حرية رجوع أهل الذمة إلى قضاة مسلمين أو قضاة من أهل ملتهم وأبناء جلدتهم بالرغم من وجود محاكمهم القضائية الخاصة بهم ، حيث كان رجال

---

1260م، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة 1963 ج2 ص50-53. ابن ابي زرع، الانيس المطرب ص20. الجزنائي، زهرة الاس هامش المحقق ص31. ابن خلدون، العبر ج4 ص12. وقيل انه ادريس بن عبد الله بن الحسين. راجع ابن ابي دينار، ابو عبد الله بن ابي القاسم القيرواني ت1110هـ/ 1698م، المؤنس في اخبار افريقية وتونس تحقيق محمد شمام ط3 المكتبة العتيقة، 1397هـ ص102. الغيلالي، محمد، تاريخ المغرب العربي، طبع في القاهرة الروضة 1377هـ/ 1957م ص34.

(1) الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص220. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج4 ص9.

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب ص137. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص58. السامرائي علاقات المرابطين ص402.

(3) متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص46-47. عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة ص261-262.

(4) الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص88

(5) متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص57-58.

دينهم يقومون بهذه المهمة[1]، وذلك لأن الشريعة الإسلامية لم تكن مطبقة عليهم لكنهم يلجئون إليها في حالة شعورهم بالظلم وعدم الرضا من قضاتهم وهذا الأجراء كان له الأثر الحسن في نفوس أهل الذمة[2].

وكان القاضي في بلاد الأندلس يسمى اودكس، وعند مجيء العرب حل محلها لفظ القاضي، ثم تحولت إلى الكالد أثناء المد النصراني في بلاد الأندلس وهو ما يشبه العمدة في القرى والأرياف[3] ويبدو ان هذه الوظيفة هي أحدى الوظائف العامة لأهل الذمة، وهذا جزء من حقوقهم، وكان الأمير عبد الرحمن الداخل[#] أول من حرص على إعطائهم هذه الوظائف[4].

(1) الخربوطلي، الحضارة العربية ص141. الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص90. الرفاعي، النظم الإسلامية ص214. س.د جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصي، ط1، وكالة المطبوعات الكويتية، دار القلم – بيروت، 1980 ص194. متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص76-77.

(2) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص367.

(3) مؤنس، فجر الأندلس ص462.

(#) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى ابا المطرف وابا زيد وقيل ابا سلمان ويلقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من بني امية ويلقب ايضاً بصقر قريش، امه أم ولد بربرية من سبي المغرب اسمها راح أو رداح، ولد سنة 113هـ / 731م بدير خان وهي من اعمال قنسرين، كان اصهب الشعر خفيف العارضين بوجهه خال نحيف الجسم طويل القامة اعور اخشم له ظفيرتان توفي في قرطبة سنة 171هـ وقيل 172هـ / 788م راجع ابن حزم، جمهرة انساب العرب ص93. الضبي، بغية الملتمس ص12. ابن الابار، الحلة السيراء ج1 ص35.المقري، نفح الطيب ج1 ص333.

(4) الدوري، ابراهيم ياس، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر – بغداد، 1982م ص253.

وأجاز الإسلام مشاركة المسلم لأهل الذمة، والعمل معهم، على ان يتولى المسلم أمر البيع والشراء، وذلك لعدم تورعهم من أكل الربا[1]، كما استثنى الفقهاء أهل الذمة من عقوبة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير لأنهم لا يؤمنون بحرمتها على ان لا يكون ذلك جهاراً[2].

وقد سمح الإسلام بامتلاك أهل الذمة للعبيد، ولكن الإمام الشافعي[3] لم يجز اقتناء العبد المسلم للذمي، بل يجب عليه بيعه لرجل مسلم.

## الحياة الاجتماعية عند اليهود

يكاد يكون اليهود من الجماعات التي تعيش في أدنى درجات المجتمع لذا فهم كما يقول ادم متز[4]((لم يكن لهم قيم اجتماعية ولا نزعات إنسانية ولا حضارة سامية، وكانوا إذا احتاجوا إلى المال باعوا أولادهم الصغار، وكانوا أيضاً يسرقون أولاد النصارى ويبيعونهم للمسلمين كعبيد)) وقد جلبت لهم العزلة السلامة الجسمية، ووحدتهم الدينية[5]، وعموماً فان المجتمع اليهودي قسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية هي:

1- طبقة الأغنياء وتضم كبار التجار والصيارفة، ويتمتع هؤلاء بنفوذ واسع في أرجاء الدولة الإسلامية وغير الإسلامية.

2- الطبقة الفقيرة، وتظم الحرفيين والباعة الجوالين ومن على شاكلتهم[6].

3- الطبقة المتوسطة، وتضم التجار الصغار وتكون هذه الطبقة حلقة الوصل بين الطبقتين.

---

(1) ابن القيم، احكام أهل الذمة ص269.

(2) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص39.

(3) الشافعي، محمد بن ادريس ت204هـ / 819م، الام، مطبعة بولاق – مصر 1325هـ ج4 ص133.

(4) متز، تاريخ الحضارة الإسلامية ج2 ص226.

(5) ديورانت، قصة الحضارة ج14 ص57.

(6) داده، محمد، لمحات عن اليهود في الجزائر منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م، مجلة دراسات تاريخية – جامعة دمشق، س7 214-22 اذار حزيران، 1986 ص225.

لقد تميز اليهود عن النصارى كونهم فئة منبوذة من قبل المجتمع الإسلامي وهذا يعود إلى بعض الأعمال اللاإنسانية واللاخلاقية التي كانوا يقومون بها، وهذه الميزات تتناقض مع القيم العربية والإسلامية[1].

فيما يتعلق بالأمور الاجتماعية كالزواج وغيرها، فإنها كانت قريبة مما هو موجود لدى المسلمين، فالزواج يتكون من ثلاثة أمور هي المهور وهو معجل ومؤجل ((مقدم ومؤخر))، والأمر الأخر هو الكتاب فلا يتم العقد شفوياً، وكذا الحال بالنسبة للطلاق، والأمر الثالث هو رضاء المرأة وموافقتها ويتم بالعلانية.

وحددت الشرائع اليهودية سن الزواج، فبالنسبة إلى الذكور يكون سن الـ 13 سنة هو سن الزواج، أما البنات فان سن الـ 12 هو سن الزواج، وتتمسك الشريعة اليهودية بالمهر، وتلزم الزوج بتأديته للزوجة، ولا يشترط المهر ان يكون أموالاً، بل يجوز ان يكون عملاً كعمل نبي الله موسى عليه السلام أجيراً عند والد زوجته ((شعيب)) عليه السلام مقابل المهر[2].

وقد أجازت شريعة اليهود الطلاق، وقد أعطت المرأة حق طلب الطلاق من زوجها على ان يكون الأمر بالاتفاق بينهما، كما أجازت لهم شريعتهم تعدد الزوجات وان العدد غير محدد في ذلك، وقد أحل لليهودي الزواج بأرملة أخيه بعد وفاته وفي ذلك يقول ديورانت[3] ((ويبدو ان هذا الأمر ليس مبنياً على العطف على الزوجة، وإنما عطفاً على الأولاد)) ويعتبر الزوج هو الوارث الوحيد لزوجته، أما الأرملة فلا يحق لها ان ترث زوجها، كما لم يكن من حق البنات ان يرثن أباهن إذا كان له ذكور[4] وتعد البكارة من

---

(1) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص375-376.

(2) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص376 نقلاً عن العطار، احكام الاسرة عند اليهود والمسيحين ص80 و 147.

(3) ديورانت، قصة الحضارة ج14 ص34-35.

(4) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص377 نقلاً عن لوبون اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص51.

الأمور التي يتفاخر بها اليهود، وإذا ما ثبت للزوج ان زوجته لم تكن عذراء قتلت رجماً وإذا ثبت كذب زوجها الزم بدفع مئة من الفضة ومنع تطليقها.

ومن عادات اليهود الأخرى هو حزنهم على الميت واقامة مأتم للعزاء، وكانوا يضربون صدورهم ويشقون ثيابهم ويمرغون أنفسهم بالرماد[1].

## أعياد اليهود

تعد الأعياد والمناسبات الدينية من أهم أوقات السنة عند كافة الطوائف الدينية، فان لكل مناسبة أو عيد طقوس خاصة به، ولليهود عدة أعياد ويعدون الاحتفال بها من عماد دينهم.

وعند اليهود يوم السبت وليلته، وتعد من أهم أيام الأسبوع، فكانوا يتقيدون بمراسيمه، فكانوا يسبتون عن الكلام ولا يوقدوا ناراً في منازلهم، فكان عليهم استقبال الأصدقاء واحتساء الخمر[2] لذلك فإنهم كانوا يفضلون الأكلات التي لا تحتاج إلى نار، وربما كانوا يقومون بطهيه قبل دخول وقت السبت، وكانت من أهم أكلات اليهود في بلاد المغرب هو الخبز المخلوط بالبيض، كما كانوا يكثرون من أكل الفواكه في هذه الأيام[3].

ومن الأعياد الأخرى عند اليهود هو عيد رأس السنة ويسمونه((عيد رأس هيشا)) أي عيد رأس الشهر ويكون في اليوم الأول من تشرين الأول ويتفق مع الاعتدال الخريفي، ويقولون ان الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده أسماعيل[4]، والعيد الأخر عند اليهود هو عيد((المظال أو المظلة)) وهو ثمانية أيام أول الخامس عشر من شهر تشرين

(1) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص378.

(2) ديورانت، قصة الحضارة ج14 ص26-27.

(3) المسيري، موسوعة اليهود ج3 ص299.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم ج4 ص37. القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص436. قاسم، اليهود في مصر ص59.

الأول، وهو أيضاً يعد حجاً لهم، وكانوا يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخيل وأغصان الزيتون، وسائر الأشجار[1]

وهناك عيد أخر هو عيد((صوماريا)) وهو الصوم العظيم عندهم، ومدته خمس وعشرين ساعة، يبدأ قبل غروب الشمس في التاسع من شهر تشرين وينتهي بعد مضي ساعة من اليوم العاشر، ويسمى كذلك((العاشور)) ويشترطون في الإفطار وجود ثلاثة نجوم، ولا يجوز صيامه يوم الأحد والثلاثاء والجمعة[2].

والعيد الرابع هو عيد((الفطير))، ويكون في الخامس عشر من شهر نيسان، هو سبعة أيام يأكلون فيه الفطير، ويعملون على تنظيف البيوت من خبز الخمير، وهذه الأيام عند اليهود هي التي خلص فيها بني إسرائيل من فرعون وإغراقه في البحر، فيأكلون فيها اللحم والخبز والفطير[3].

العيد الخامس لديهم هو عيد الأسابيع ويسمى عيد((العنصرة)) أو عيد ((الخطاب)) ويكون بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح وتحتفل به اليهود، لتجلى الله عز وجل لموسى عليه السلام على الجبل في سيناء، وفرضت فيه الفرائض وكمل الدين[4].

وهناك بعض الأعياد التي استحدثها اليهود، ولم ترد في التوراة وهما عيد((الفوز)) أو((اليوريهم)) وعيد((الحنكة)) فالأول يكون في الرابع عشر من شهر اذار، وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة، ويزعمون ان موسى عليه السلام ولد في هذا، أما الثاني فهو

(1) المقدسي، احسن التقاسيم ج4 ص37. القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص436. قاسم، اليهود في مصر ص60. ديوارنت، قصة الحضارة ج14 ص28.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم ج4 ص37. القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص436. قاسم، اليهود في مصر ص60.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم ج4 ص37. القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص437. قاسم، اليهود في مصر ص61.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم ج4 ص37. القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص437. ديورانت، قصة الحضارة ج14 ص27.

ثمانية أيام تقع في الخامس والعشرين من شهر تشرين الأول، ويوقدون سراجاً على بيوتهم، وتزداد كل يوم واحداً حتى تصبح ثمانية، وإنما سموه الحنكة ومعناه عندهم التنظيف، لأنهم نظفوا الهيكل من أقذار الجبارين.

## اليهود في المغرب الأقصى

يعود وجود اليهود في بلاد المغرب الأقصى إلى ما قبل الفتح الإسلامي للبلاد، وقد استقروا في بعض المدن والقرى، وكان أكثر تواجدهم في الأجزاء الشمالية والغربية من افريقية فتزامنا مع هروب البربر من التعسف الروماني[1]. وقد ورد في بعض الأخبار ان أصل قبيلة جراوة يرجع إلى أصول يهودية[2]، وهذه الديانة كانت منتشرة في مناطق الصحراء خصوصاً وأن هذه القبيلة كانت تقع مضاربها على الخط التجاري بين فاس واغمات[#] وسجلماسة، فقد استطاع اليهود معايشة البربر[3]، حيث ان لهم القابلية على التكييف مع الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة سواء كان في مجتمع متحضر أم غير

(1) عبد المجيد،محمد بحر، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970، ص88-89. الشاهري، علاوي مزاحم، الاوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرنين 668-759هـ / 1269-1358م، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، 2001 ص57. محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي (( ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا)) دار العودة – بيروت، 1976م، ص214. الغربي، الحكم المغربي ص607

(2) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص35.

(#) اغمات، مدينة بارض المغرب قرب وادي درعة ومعناها بلغة البربر المكان المصبوغ أو الصبغة الحمراء وهي مدينة تاريخية قديمة تقع إلى الشرق من مدينة مراكش وفيها قبر المعتمد بن عباد، وهي مدينتان متقابلتان هما اغمات وريكة، واغمات هيلانه والأولى يسكنها الاعيان والتجار، ويسكنها كذلك اليهود وخاصة التجار منهم لأنهم منعوا من المبيت أو السكن في مراكش. راجع البكري، المغرب ص86 و 152. الحميري، الروض المعطار ص46.

(3) حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ط1، الدار البيضاء، 1965، ج1 ص40.

متحضر[1] وتنتشر الفرقة العنانية في بلاد المغرب والأندلس وبلاد الشام ويسميهم اليهود العراس والمس وهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء[2].

بالرغم من المعاملة الحسنة التي كان المسلمون يعاملون فيها أهل الذمة من اليهود إلا ان المسلمين حرصوا على نشر الإسلام في المناطق التي يسكنها هؤلاء، ويبدو أنهم حرصوا على نشره بين صفوف يهود البربر، لذلك نجد ان ادريس بن عبد الله جهز جيشاً لفتح بلاد تامسنا، حيث ان أكثر أهل هذه البلاد على دين اليهودية والنصرانية[3] وهو الأمر نفسه الذي دعا المرابطين إلى فتح بلاد السوس الأقصى، حيث كان القضاء على اليهود ونشر الإسلام بهذه البلاد من أولوياتها ومن ثم التقليل من سيطرة اليهود على التجارة في هذه المنطقة[4] وبعد سيطرتهم على البلاد دأب المرابطون على تطهير أجهزة الدولة من اليهود، لكن الأمر لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما استرد هؤلاء اليهود نفوذهم[5]، ونرى ان الموحدين عملوا بنفس السياسة التي عمل بها أسلافهم في محاولة تكوين دولة موحدة تخلو من كل ما يشوب وحدتها وتماسكها، لذلك فإنهم شددوا على أهل الذمة أول الأمر، فخيروهم بين الإسلام أو الهجرة من بلاد المسلمين، ومن يتأخر إلى انقضاء الأجل فجزاؤه القتل[6].

بالرغم من المعاملة الحسنة التي عومل بها أهل الذمة من اليهود والنصارى في بلاد المغرب الأقصى، إلا أنهم تعرضوا في بعض الأحيان إلى بعض أعمال السلب والنهب بل

(1) المسيري، موسوعة اليهود ج3 ص425.

(2) ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد الأندلسي الظاهري ت456هـ، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط1، المطبعة الادبية – مصر 1317 ج1 ص48.

(3) ابن الخوجة، محمد الحبيب، يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية 1973 ص24.

(4) محمود، قيام دولة المرابطين ص210.

(5) المسيري، موسوعة اليهود ج3 ص426.

(6) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق1 ص295. جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص228.

إلى حد القتل، وكان لليهود النصيب الأوفر في ذلك، وكان الأمر مقصوراً على التجار تقريباً[1]، وهذا أمر مخالف للشريعة الإسلامية، ففي الحروب التي دارت بين حمامة بن المعز بن عطيه وبين أبو كمال تميم بن زيري عام 424هـ نجد ان تميم بن زيري يعمد إلى قتل اليهود وسبي أموالهم ونسائهم بعد انتصاره في المعركة ودخوله لمدينة فاس حتى بلغ عدد من قتل نحو ستة آلاف يهودي[2]، وفي أثناء الحرب التي دارت بين الخليفة السعيد الموحدي وبين بني مرين انشغل احد القادة المتنفذين في الدولة الموحدية ويدعى كانون بن جرمون فدخل مدينة ازمور[#] فسلب ونهب وعاث بها فساداً كما غرم اليهود المقيمين فيها أموالاً كثيرة[3].

من البديهي ان اختلاف البيئات الاجتماعية والسكانية، يؤدي إلى اختلافات ثقافية وحضارية حتى بين أبناء الدين الواحد، فبعد ان قامت دولة المرابطين والموحدين بتوحيد بلاد المغرب والأندلس، وحصول الهجرات اليهودية من الأندلس إلى المغرب، ظهرت هناك بعض الفوارق بينهم، وهذا يعود إلى التأثيرات المسيحية بالأندلس، وامتزاجها بالمسلمين، لذلك فقد اظهر اليهود الأسبان تفوقاً فكرياً وحضارياً واقتصادياً[4].

---

(1) ابن حوقل، صورة الأرض ص72-73. الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص283-284. جواتياين دراسات في التاريخ الإسلامي ص228.

(2) ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص261. ابن خلدون، العبر ج7 ص73. السلاوي، الاستقصا ج1 ص220-221.

(#) ازمور، تشديد الميم ومعناها الزيتون البري، وهي مدينة صغيرة تقع على شواطيء المحيط الاطلسي على الضفة اليسرى لمصب نهر ام الربيع. راجع ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 هامش لمحقق ص205. ابن عبد الله، عبد العزيز، الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية 1401هـ 1981م، ج1 ص25.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ق الموحدين ص372.

(4) ابن الخوجة، يهود المغرب ص34. داده، لمحات عن يهود الجزائر ص220.

كما أسلفنا فان اليهود في بلاد المغرب الأقصى كانوا يتمركزون في بعض المدن، من بين هذه المدن مدينة سجلماسه وفاس، وهذا لا يعني ان بقية المدن تخلو منهم، حيث لا تكاد تخلو مدينة منهم[1] وقد ارتبط وجود اليهود في بعض المدن منذ القديم، لكن المهم في الأمر هو المدن التي تأسست في عصر الدولة الإسلامية في القرن الثاني للهجرة، ومن هذه المدن مدينة سجلماسة التي تأسست في زمن الدولة الصفرية ((بني مدرار)) عام 140هـ وقد استقر فيها اليهود منذ أيامها الأولى[2] فقد اتخذوا فيها موقعاً متميزاً، وهذا يعود إلى وقوعها على طريق القوافل التجارية بين بلاد السودان وبين بلاد المغرب والشمال الافريقي ومنها إلى ارجاء المعمورة[3]، ولم يقتصر وجودهم في هذه المدينة بل في الأقاليم التابعة لها[#] وعند دخول الفاطميين إلى المدينة اضطهدوهم وقتلوا منهم وسبوا أموالهم، إلا ان هذه المحنة انتهت بانتقال الفاطمين إلى مصر[4] وعاود اليهود ممارسة نشاطهم الاقتصادي حتى أصبح خازن بيت المال في زمن دولة الموحدين رجل يهودي[5]

(1) ذكر الحسن الوزان كثيراً من المدن والقرى التي يقطنها اليهود. راجع في ذلك الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص98-99. ص119، ص180-183، ص325-326.

(2) اسماعيل، الخوارج ص86 و 216.

(3) ابن عبد الله، الموسوعة المغربية ج1 ص121.

(#) وهي منطقة تابليات ويسكن فيها اليهود ويعملون في الصناعة والتجارة ومنطقة المأمون التابعة لسجلماسة ايضاً، وفيها حصن كبير يقطنه تجار اليهود وقد فرض امراء هذه المنطقة الجزية على اليهود، وكان أهل المناطق الواقعة على طريق القوافل يفرضون عليهم مكوساً لقاء عبورهم في اراضيهم بحث بلغ ربع مثقال ذهب على كل جمل. راجع في ذلك الحسن الوزان، وصف افريقيا ج2 ص125-129.

(4) مجهول، الاستبصار ص204. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص153. عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، مطبعة أطلس – القاهرة 1978م ج2 ص596. الجنحاني، الحياة الاقتصادية، ص187-188.

(5) الجنحاني، الحبيب، الحياة الاقتصادية ص189.

ولم يقتصر عمل اليهود على هذه الأعمال بل عملوا أيضاً كنافين وبنائين في المدينة وهي من المهن المحتقرة عند أهل تلك البلاد لكنهم عملوا بها ما دامت تدر عليهم الأموال[1].

أما مدينة فاس فهي أكثر بلاد المغرب يهوداً، ومنها يتفرقون إلى جميع البلدان الأخرى[2] وخير دليل على كثرة اليهود في تلك المدينة هو مقدار الجزية المأخوذة منهم، فقد بلغ مقدارها حوالي ثلاثة آلاف دينار أيام الدولة الأدريسية[3] فقد سمح لهم ادريس بن ادريس بالبناء في الجزء الشمالي من المدينة مقابل دفع الجزية[4]، ومن ثم الخلاف الذي نشأ بين علماء المدينة حول قضيتين أساسيتين هما تجنيد العبيد في الجيش، ومسألة الرسوم التي كان يدفعها اليهود حتى يتخلصوا من الجزية التي فرضت عليهم منذ أيام الادارسة[5] وكان أشياخ اليهود هم الذين يتولون جبايتها[6] وكان اليهود يحرصون على تقديم الهدايا للأمراء بدل الجزية[7].

لقد شكل اليهود حياً خاصاً بهم في تلك المدينة، وقد عرف هذا الحي فيما بعد((بالملاح)) ولم يكن اليهود هم أول من سكن به، فقد كان إلى جانبهم النصارى، وقد أصبح أسم الملاح يطلق في جميع انحاء المغرب الأقصى على الأحياء التي يسكنها اليهود،

---

(1) الحميري، الروض المعطار ص306. الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص188.

(2) البكري، المغرب ص115. الحموي، معجم البلدان مج2 ص230. الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي ص318. عبد محمد، سوادي، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة وزارة التعليم العالي – البصرة، 1989، ص104.

(3) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1 ص39. زغلول، تاريخ المغرب العربي ج5 ص453.

(4) بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين، مراجعة لطفي عبد البديع، مطبعة نهضة، مصر – القاهرة، ص43-45.

(5) التازي، التاريخ الدبلوماسي ج3 ص229.

(6) الشاهري، الاوضاع الاقتصادية، ص188.

(7) الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص11-112.

ويبدو انه كان يطلق أول الأمر على الحي الذي يسكنه النصارى، وإنما سمي بالملاح نسبة إلى النبع المالح[1].

وعندما تولى بني مرين أمر المغرب نقلوا محل سكناهم إلى فاس الجديدة مقابل زيادة الجزية، وإنما فعلوا ذلك بسبب السلب والنهب الذي كانوا يتعرضون له من قبل العامة[2] وعمل أهل فاس على استرقاق أهل الذمة وأدخلوهم في سوق المزايدة من اجل بيعهم كرقيق بعد ان جاهروا ببيع الخمور للمسلمين[3].

كان لهذه الطائفة نظامها القضائي الخاص بها، ولها رجالات دين يحكمون بينهم وفق شريعة موسى عليه السلام[4] وقد وردت بعض الأخبار من ان قضايا اليهود كانت تعرض امام قضاة المسلمين[5].

كان في هذه المدينة زواج بين رجال مسلمين وبين نساء اليهود، وفي الغالب فان حياة اليهود في مدينة فاس لم تختلف كثيراً عن حياة اليهود في باقي أرجاء الدولة الإسلامية[6] فكان لهم زي خاص بهم، وكانوا يمنعون من ارتداء أحذية الجلد بل يلبسون حذاء من القش، ومن أراد ان يلبس فعليه ان يخيط عليها قطعة من ثوب احمر، بينما ذكر بعض المؤرخين ان اليهود في مدينة فاس لم يتميزوا بالملبس[7].

---

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق د. احمد مختار العبادي، مراجعة د. عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية – بغداد، دار النشر المغربية، بد ص34. الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي ص318.

(2) الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص283-284. لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ص35.

(3) التلمساني، تحفة الناظر، ص167.

(4) لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ص112.

(5) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص194.

(6) لوتورنو، فاس في عصر بني مرين ص114.

(7) فروخ، عمر، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى أخر عصر الولاة 138هـ/ 756م، ط1، منشورات المكتب التجاري –بيروت، 1378هـ/ 1959م، ص160.

عندما أراد علي بن يوسف توسيع جامع القرويين قام قاضيه بشراء أراضي ومباني مجاورة للمسجد تابعة لليهود، ولم يبخسهم شيئاً من حقهم[1]، وهذا يدلل على ان اليهود لم يكونوا يسكنون في محلة واحدة وإنهم مجاورين للمسجد ولم يرى المسلمون ضيراً في ذلك، ومن ثم فان اغلب أسواق المدن الإسلامية كانت تقع بالقرب من المساجد والتي كان يعمل في غالبيتها اليهود.

واما في مراكش[#] عاصمة الدولتين المرابطية والموحدية، فلم يكن يسمح فيها لليهود بالدخول اليها إلا نهاراً وينصرفون عند المساء، وإذا ما وجد احد بات فيها اشبع ذمه[2]، وليس في هذا الأمر ما يثير الاستغراب، فان مراكش هي عاصمة الدولة، وكان تأسيسها لتكون مقراً للأمير والوزراء والجيش وتكون دار ملكهم[3]، لذلك لم يرغبوا بدخول الأشخاص الغير مرغوب بهم إليها، وخاصة اليهود فيما عرف عنهم من غدر وخيانة العهود والمواثيق، وأثارت المتاعب للدولة[4]، وكان هذا الإجراء في مراكش دون غيرها من المدن الأخرى، وقد يكون المنع للطبقات الدنيا من اليهود، وقد يكون المنع

(1) ابن القاضي، جذوه الاقتباس ج1 ص68. الهرفي، دولة المرابطين، ص300. ابن عبد الله، الفن المعماري بالمغرب والأندلس الاخذ والعطاء والتراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية – سلسلة الدورات 1412هـ - 1992م ص307.

(#) مراكش: بالفتح ثم التشديد وضم الكاف مدينة عظيمة بالمغرب الاقصى وهي محدثة بنيت ايام يوسف بن تاشفين وقيل انها بنيت ايام أبي بكر بن عمر، ومراكش بلغة المصامدة تعني امشي مسرعاً أو بسرعة لأن موقعها كان مأوى للصوص وقطاع الطرق وتقع على سفح جبل الاطلس الكبير ويمر في شمالها نهر تانسينت وتمتاز بخصوبة تربتها الحمراء ومناظرها الخلابة، ويوجد بها باب يسمى باب الرب. راجع الحموي، معجم البلدان مج5 ص94. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص125. شيخ الربوة، نخبة الدهر ص236.

(2) الحميري، الروض المعطار ص76-77.

(3) السلاوي، الاستقصا، ج2 ص23.

(4) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص115. الخالدي، اليهود في الدولة الإسلامية ص194.

على اليهود الذين فروا من بلاد الأندلس، دون يهود المغرب كونهم عاشوا في تلك البلاد منذ فترة زمنية طويلة مما جعلهم معروفين لدى الدولة.

كان لوجود اليهود بأعداد كبيرة في بلاد المغرب الأقصى، انشأ قسم منهم فنادق خاصة بهم لإقامة اقرأنهم من التجار اليهود القادمين من البلاد الأخرى لتسهيل أمور التجارة وقد عرفت هذه الفنادق باسم فنادق اليهود[1].

## الحياة الاجتماعية عند النصارى

من المؤكد ان الحياة الاجتماعية تختلف من دين لأخر. وقد كانت الحياة الاجتماعية لدى النصارى أفضل مما هي عليه عند اليهود، ويعود ذلك إلى أخلاقهم وطبائعهم المستمدة من كتبهم الدينية كالإنجيل((العهد الجديد)) والذي يقول فيه ابن حزم[2]((والإنجيل إنما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال، فأمكن في ذلك التبديل)) وفي مثل هذا القول قال القلقشندي[3]((ومن النصارى متفقون على إن من الحواريين تصدروا لكتابة الإنجيل)).

ان أسس الحياة عند النصارى تقوم على مبدأ الزواج أيضاً، وتكوين الاسرة والذي هو من الأسس السبعة، إلا ان النصرانية أجازت العزوبية، وعلى هذا نجد ان كثير من الشبان والفتيات يعزفون عن الزواج[4].

وقد حددت شريعتهم سناً مهمة للزواج، إذ لم يجز الزواج إذا كان أحد الزوجين دون سن الخطبة حتى ولو وافق أولياء الأمور، وذلك لأنها تعتبر إجبار للصغيرة أو الصغير على الزواج.

---

(1) العربي، اسماعيل، دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1403هـ / 1983م ص103.

(2) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2 ص14-15.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص273.

(4) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص379، نقلاً عن العطار، احكام الاسرة، ص30.

ويسبق الزواج مراسيم محددة، حيث يقوم الكاهن بإجراء صلاه وطقوس خاصة، يبارك فيها للزوجين وإن سبب اختيار الكنيسة مكاناً لإعلان الزواج أو الخطبة، من أجل تحقيق أهدافاً دينية وتنظيمية، فيتحقق من عدم وجود موانع الزواج الدينية، ويسجل الزواج بسجل خاص بالكنيسة، كما ان الزواج يكتسب صفة العلانية، ويتم الزواج بحضور عشر شهود[1]. وفيما يتعلق بالمهر فلا تعتبر المسيحية المهر ركن مهماً في الزواج ولا يلتزم الزوج بدفعه للزوجة، وعلى هذا فانه يجوز للمسيحيين الزواج بمهر أو بدونه، ولم توجد نصوص في الإنجيل حول هذا الموضوع، ولكن البطاركة والأساقفة هم من وجد هذه الأمور، ولا تتيح شريعتهم انحلال الزواج إلا بالموت، فهي لا تجيز الطلاق إلا بثبوت زنا الزوجة أو بأن يتنافي مع شريعتهم، وقد ذكر ابن حزم[2]، إلا اختلاف النصارى في الطلاق لأن بعض الطوائف أحلته في حالة الزنا أو الارتداد عن الدين بتغيير الدين حيث ان الزوج قد يكون من غير ملتهم.

## المناسبات والأعياد عند النصارى

أما أعياد النصارى، فهي كثيرة أيضاً، وكما هو مدون فان هذه المناسبات تقام في أماكن عبادتهم في الأديرة والكنائس، وبهذا فهي لا تختلف كثيراً عن باقي الأديان الأخرى، وهناك بعض الأعياد مشابهه لأعياد الوثنين كعيد الصوم وعيد القسيس وغيرها من الأعياد[3].

---

(1) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص379.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل ج2 ص21.

(3) متز، الحضارة الإسلامية ج2 ص276.

(#) وتعني بالعربية التسبيح، ويعملونه في سابع احد من صومهم وسنتهم فيه ان يخرجوا بسعف النخيل من الكنيسة وهو اليوم الذي ركب فيه المسيح الحمار في القدس ودخوله وهو راكب والناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. راجع القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص425.

وأول أعياد النصارى هو عيد((البشارة)) يعتقد ان في هذا اليوم دخل جبرائيل على مريم مبشراً بالمسيح، وعيد((الشعانين))(#) وهو من الأعياد الكبيرة عند النصارى وكانوا يحملون فيه أغصان الأشجار وسعف النخيل[1].

ومن الأعياد المهمة لدى النصارى عيد ميلاد المسيح ويجعلونها ليلة يوم الأحد في 25 كانون الأول، وكذلك عيد الشمس الذي يحتفل به في إيقاد النار[2] وعيد رأس السنة عند النصارى من الأعياد المهمة، وقد سماه المسعودي[3] بـ((القلندس)) وهو تمام الأسبوع من ولادة المسيح.

وأما عيد الفصح((الغطاس)) ويسمى بيوم((العماد)) يقع في السادس من كانون الأول، ويعتقد ان يحيى بن زكريا((عليهما السلام)) غمس فيه المسيح بعد بلوغه الثلاثين من عمره[4]، وعيد الفصح ويسمونه((القيامة)) وهو العيد الكبير لديهم وهو عيد الفطر من صومهم ويشعلون فيه المشاعل، ويقع بعد هذا العيد عيد (السلاق)) أو((الصعود)) وانما سمي بذلك لأن المسيح تسلق مصعداً لحو السماء ووعدهم بارسال((الفار قليط)) وهو روح القدس، ويكون بعد عيد الفصح بأربعين يوماً[5].

وهناك أعياد أخرى عند النصارى وهي كثيرة وقد لا يلتزم بها كثير منهم وذلك لأنها تعطلهم عن العمل وممارسة حياتهم اليومية، ومنها عيد((ست النور)) ويقع قبل عيد الفصح بيوم. وعيد((الأحد الجديد)) ويقع بعد عيد الفصح بثمانية أيام، وعيد((التجلي)) ويقولون ان المسيح قد تجلى لتلاميذه بعد ان رفع إلى السماء[6].

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، ج2 ص425.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص416. متز، الحضارة الإسلامية ج2 ص218.

(3) المسعودي، مروج الذهب ج3 ص406.

(4) اليوزبكي، تأريخه أهل الذمة ص290.

(5) القلقشندي، صبح الاعشى ج2 ص426.

(6) م. ن، ج2 ص427.

## النصارى في بلاد المغرب الأقصى

يعود وجود النصارى في بلاد المغرب إلى ما قبل الفتح الإسلامي، عندما كانت البلاد جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، لكنهم اتبعوا مذهباً مغايراً لمذهب الدولة، وقد أدى ذلك إلى اضطهادهم من قبل الرومان[1]. وقد ذكر ابن حزم[2] ان فرقة الملكانية انتشرت في بلاد النوبة والمغرب والأندلس وهي إحدى فرق البربراتية والتي تقول ان عيسى وأمه إلها من دون الله.

ومن المعلوم أيضاً أن أهل الذمة في البلاد الإسلامية قد شكلوا الطبقة الثالثة في المجتمع الإسلامي بعد العرب والموالي[3] ولم تكد تخلو مدينة من وجود كنيسة للنصارى، وفي بلاد المغرب الأقصى وجدت هناك أعداد من النصارى منذ أيام الفتح معاهدين على الذمة ودفع الجزية وكان أكثر هؤلاء في بلاد الجريد[(#)(4)] وقد عقد حسان بن النعمان الغساني[(#)(#)] العهد مع هؤلاء وفرض عليهم الجزية[5]، وقد مثل هؤلاء الطبقة الوسطى في المجتمع المغربي[6] ولكن عددهم تناقص بشكل كبير، فقد تناقص عدد الاسقافيات إلى أربعين بعد الفتح الإسلامي بثلاثمائة سنة، بسبب وجود الدول والإمارات النصرانية

---

(1) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية ج1 ص279.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل ج1 ص48.

(3) حتي، تاريخ العرب المطول ج2 ص300.

(#) بلاد الجريد ويبلغ طولها ست وثلاثون درجة وست دقائق والعرض تسع وعشرون درجة وثمان دقائق ن تشتهر بزراعة النخيل والفستق ويجلب منها الزجاج الصافي والتفاصيل الصوفية. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص126-127.

(4) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص106.

(#)(#) حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن عامر بن عار بن الازر، ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص34-35.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص271. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص381.

(6) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص109.

القريبة منها، ففضل قسم منهم الذهاب والعيش مع أبناء جلدته، خصوصاً وان بلاد المغرب الأقصى قد شهدت حالة من الفوضى وعدم الاستقرار والتي استمرت لفترة طويلة من الزمن[1].

لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً عن طبيعة الوظائف التي انيطت بأهل الذمة من النصارى وكيفية جباية الضرائب منهم، ففي بلاد الأندلس أقام المسلمون على أهل الذمة والنصارى رئيساً منهم ولقبوه بقومس الأندلس أو زعيم النصارى، وكان هذا الشخص محترماً لدى الدولة الإسلامية[2] وفي حقيقة الأمر فان هذا اللقب لم يظهر إلا في أيام عبد الرحمن الداخل ت172هـ وان الوظيفة قديمة وهذا ما يؤكده ابن القوطية[3]((ان عبد الرحمن الداخل قد ولى القمامسة ارطباس فكان أول قومس بالأندلس)) وبنفس هذا المعنى قال ابن الخطيب[4]((سار على أبي الخطار ارطباس[#] قومس الأندلس وزعيم عجم الذمة ومستخرج لأمراء المسلمين وكان هذا القومس شهير العلم والدهاء)) وقد ترك المسلمون للنصارى حرية اختيار حكامهم ومنظمي أمورهم وهو عكس ما كان يفعله القوط، إذ ان ملك القوط هو من يقوم بتعيين القومس، ويبدو ان هناك عدداً من القمامسة، إذ كان هناك قاضي العجم وصاحب المدينة والمشرف وهو موظف يقوم بالشؤون المالية في الناحية وقومس الخزانة وهو مسؤول استخراج الخراج من أهل الذمة،

---

(1) ابن عبد الله، الموسوعة المغربية ج4 ص51-153.

(2) مؤنس، فجر الأندلس ص459.

(3) تاريخ افتتاح الأندلس، ص60.

(4) الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة 1393هـ / 1973م، ج1 ص103.

(#) ارطباس: هو الاسقف أو باس اخو الملك وتيزة وكان مثل يوليان الذي تحالف مع المسلمين ايام عقبة بن نافع ت63هـ وموسى بن نصير 97هـ والقومس ياتي بمعنى الزعيم أو الرئيس، والقوامس هم زعماء النصارى في المدن الأندلسية، ثم تطور الأمر حتى اصبح منصباً ديني يليه مطران أو اسقف يرعى الشؤون الروحية. راجع ابن الخطيب، الاحاطة ج1 ص103 هامش المحقق

وقد كان عدد من أصحاب الوظائف يلقبون أول الأمر بألقابهم اللاتينية ثم عربت إلى العربية بمرور الزمن[1]

ان أعداد النصارى في بلاد المغرب الأقصى أخذت بالتزايد منذ قيام دولة المرابطين، حيث استقدمت اعداداً من جنود النصارى، سواء كان ذلك بالشراء أو كونهم أسرى حرب، وقد أطلق عليهم ((العلوج))[#] وكان منهم أيضا العبيد السودان[2].

عمل المرابطون على تخيير النصارى المعاهدين بين الإسلام وبين دفع الجزية، فاختاروا دفع الجزية[3] وقد أفتى فقهاء الدولة بهدم كنائس المعاهدين، فأرسل يوسف بن

---

(1) مؤنس، فجر الأندلس ص461-463.

(#) العلوج: ومفرد علج اسم يطلق على النصارى الروم الذين يستخدمون في الجيش الإسلامي، وقد يكون المقصود بهم عبيد الروم الذين يتم شراؤهم من بلاد النصارى، وقيل هو الرجل من كفار العجم والمؤنث علجة، ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار. راجع ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت711 هـ، لسان العرب، دار صادر – بيروت، بلا، مج 2 ص326-327.

(2) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص102.

(3) محمود، دولة المرابطين ص418-419.

(#)(#) يوسف بن تاشفين بن ابراهيم ين تورقيت بن منصور بن مصالة بن أمية بن وانصال اللمتوني الصنهاجي ت500هـ وامه بنت عم ابيه فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارنقطين وقد وقع بعض الاختلاف في ترتيب الاسماء. راجع ابن ابي زرع، الانيس المطرب ص136. مجهول، الحلل الموشيه ص12. ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ق3 ص237-238.

(#)(#)(#) غرناطة: مدينة وولاية في الركن الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة ايبيريا، وكانت تسمى بدمشق الأندلس ويشقها نهر حدرة ويطل عليها جبل شلير الذي لا يزول الثلج عنه لا شتاءاً ولا صيفاً، وكانت غرناطة عند الفتح الإسلامي قرية من قرى البيرة وكان يقال لها اغرناطة، يبلغ طولها احدى عشرة درجة واربعون دقيقة والعرض سبع وثلاثون دقيقة. راجع في ذلك ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص167. الحميري، الروض المعطار ص48.

تاشفين ت500هـ[(#)(#)] من يهدم هذه الكنائس ومنها كنيسة غرناطة[(#)(#)(#)(1)]، وقد أشار البعض ان أهل الذمة عانوا من اضطهاد وظلم دولة المرابطين[(2)].

شهد المغرب الأقصى وفود طائفة جديدة من الأسبان المعاهدين، بعد ان أفتى قاضي الجماعة بتغريبهم إلى بلاد المغرب[(3)]، ولم يشمل هذا الأجراء جميع النصارى، فقد أرسل معاهدي غرناطة إلى علي بن يوسف عريضة بينوا فيها سوء معاملتهم من قبل عامل المرابطين، مما أدى إلى استدعائه من قبل الأمير وحكم عليه بالسجن[(4)].

كان المرابطون أول من عمل في بلاد المغرب الأقصى على استخدام النصارى الوافدين إليهم من الأندلس أو الواقعين في أمرهم، فكانوا يستخدمونهم في الجيش أو كحرس للأمير[(5)]، كما عمل قسم منهم في جباية الأموال[(6)]، كان اغلب الخدم في القصور التي يملكها الأمراء من النساء النصرانيات اللاتي يجلبن من اسبانيا والبرتغال، بالإضافة إلى العبيد الخصيان[(7)]، وعمل قسم منهم في الزراعة وقد أضافوا خبرة جديدة في بلاد المغرب الأقصى[(8)] ثم ان أغلب الذين يعملون في الحمامات العامة هم من النصارى[(9)].

(1) محمود، دولة المرابطين ص49. اشباخ، الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص71.

(2) حتي، تاريخ العرب، مطول ج2 ص646.

(3) الحجي، التاريخ الأندلسي ص434.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص34.

(5) الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت – لبنان، 1965، ج1 ص407.

(6) ابن الاثير، الكامل ج8 ص296. التازي، تاريخ الدبلوماسي ج6 ص250.

(7) الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص288.

(8) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص109.

(9) الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص230-231.

انتشرت في بلاد المغرب الأقصى ظاهرة الزواج من روميات، فكانت أم علي بن يوسف رومية اسمها قمر، وقد لعبت دوراً كبيراً في سياسة الدولة، حيث كانت تشارك في أمور الدولة، وكان الأمير يأخذ برأيها[1].

ولم يقتصر الأمر على المرابطين بل ان اغلب أمراء وخلفاء دولة الموحدين هم أولاد نساء روميات[2] لم يقتصر وجود النصارى في بلاد المغرب على الذين استقدمهم المرابطون أو غيرهم، بل ان تسامح المسلمين مع أهل الذمة دفعت قسماً من التجار وغيرهم إلى الإقامة في تلك البلاد، وقد أدى ذلك إلى إقامة علاقات دبلوماسية بين المرابطين والنصارى في بيزه وجنوه ابتداء من عام 527هـ / 1133 م. وكانت الطبيعة التجارية هي أساس تلك العلاقة، وأيضاً من أجل السماح للجاليات النصرانية ممارسة شعائرها الدينية بكل حرية[3]، حيث ان وجود أعداد كبيرة من النصارى في بلاد المغرب الأقصى تتطلب وجود أماكن عبادة لهم، وقد تكللت تلك الاتفاقيات بان يسمح لهم بممارسة عبادتهم الدينية، اذا ما توفرت كنيسة لهم أو تقام في الفندق أو المكان الذي يقيمون فيه، ولكن يمنع ممارستها في المناطق العامة[4]، وفي عام 644هـ وجه البابا اثيوسان الرابع رسالة إلى الخليفة يشكره على حسن معاملته للرعايا المسيحيين وتامين الحماية لهم ولكنائسهم، وفي نفس السنة أصبح أسقف مراكش هو الزعيم الروحي الذي كان يشرف على المسيحيين[5].

---

(1) ابن القاضي، جذوة الاقتباس ج2 ص106. ابن عبد الله، المراة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج6، ع1-2، بد، ص271.

(2) ابو رميله، هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، 1404هـ / 1984م، ص371-373.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص12. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج5 ص219-221. روم، لاند، الإسلام والعرب ترجمة منير البعلبكي، ط2، دار العلم للملايين – بيروت، 1977م، ص144.

(4) التازي، التاريخ الدبلوماسي ج5 ص224.

(5) ابن عبد الله، الموسوعة المغربية، ج4 ص51-53.

وقد استمر النصارى في جهودهم الرامية إلى بناء كنيسة لهم في مراكش حتى تم لهم ما أرادوا في عهد الخليفة المأمون الموحدي، وسمح لهم بدق النواقيس في أوقات الصلاة، ولم يقبل إسلام احد من الروم[1]، وفي عام 629هـ قام عمران بن منصور الموحدي الملقب بالمؤيد أخو الخليفة بهدم الكنيسة وقتل الكثير من النصارى واليهود وسبى أموالهم[2].

كما أسلفنا قبل قليل، فلم تكد تخلو مدينة من وجود نصارى فيها، ففي سجلماسة كان قرب باب القصبة ديراً للنصارى، وكان اغلبهم من مقاتلة النصارى[3]، وذكر ان ادريس الثاني عندما أراد تسمية مدينة فاس سأل راهباً نصرانياً عن أسم المكان فقال ان اسمها كان سافا فقلبها ادريس فصارت فاس، وكان بها باباً يسمى باب الكنيسة، وكان بالقرب منه ديراً للنصارى[4] إلا إننا لم نلاحظ من خلال بحثنا ان النصارى تميزوا بلباس معين كما هو حال اليهود، وربما يعود إلى النظرة العامة للنصارى من ود واحترام، وهناك أمر أخر لتأثير النصارى في فاس، فقد كانت بعض الأعياد التي يحتفل بها في فاس هي أعياد ذات طابع نصراني وهذا من ضمن الأعياد التي خلفها النصارى في البلاد[5] وكانت لهم جاليات كبيرة في مدينة سبتة.

ومما ذكر ان صموئيل الفاسي حبر مراكش الأعظم قد اعتنق المسيحية أيام المرابطين، وقد شغل منصباً مهماً في سجلماسة[6] وهذا الأمر يدل على أمور منها هو وجود اليهود في مراكش وهو ينفي ما ذكر من منع المرابطين لليهود من المبيت فيها، الأمر

---

(1) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب ص253. ابن خلدون، العبر، ج6 ص530.

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص253.

(3) الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص155-156.

(4) ابن ابي زرع، الانيس المطرب ص39. عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ص449. حسن، تاريخ الإسلام ج2 ص389. بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص39-40.

(5) ضيف، شوقي، عصر الدول والامارات (( الجزائر – المغرب – موريتانيا – السودان)) ط1، دار المعارف بمصر 1995، ج1 ص304.

(6) الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص189. ابن عبد الله، الموسوعة المغربية ج1 ص121.

المهم الأخر هو تغير أهل الذمة لدينهم فلا يجوز لذمي ان يتحول إلى دين أخر سوى الإسلام، فلا يجوز ليهودي ان يتنصر أو نصراني ان يتهود[1]، ومن الأمور الأخرى هو تقليد أهل الذمة مناصب مهمة في الدولة، وهذا ينتفي ما ذكره المؤرخين من اضطهاد دولة المرابطين لأهل الذمة[2].

كانت المناطق الساحلية في بلاد المغرب الأقصى هي أكثر المناطق التي يتواجد فيها النصارى لكون أغلب هؤلاء النصارى هم من التجار، وكانت مدينة سلا[#] أكثر المدن التي فيها مراكز تجارية لهم، وكانت إقامة هؤلاء في فنادق خاصة بهم وقسم أخر تملكه الدولة[3]، وكان وجود هؤلاء بأعداد كبيرة في تلك البلاد جعل من وجود قاضي خاص بهم أمراً لا بد منه، وكانت مهمته تقوم على أساس فض النزاعات التي قد تحصل بينهم، وهؤلاء القضاة يتم تعينهم من قبل روما، ونظراً لكثرتهم فان الحمامات العامة كانت تفرغ لهم ليوم واحد في الأسبوع من أجل استحمامهم، كما سمح لهم بإقامة الاحتفالات الخاصة بهم، ولو على نطاق ضيق، كما سمح لهم بتشييع موتاهم بكل حرية واحترام[4].

---

(1) عاشور، تاريخ الحضارة الإسلامية ص262. متز، الحضارة الإسلامية ج5 ص40.

(2) حتي، تاريخ العرب مطول ج2 ص646.

(#) سلا: مدينة رومانية قديمة يفصلها عن الرباط وادي ابي الرقراق ويبلغ طولها سبع درجات وعشر دقائق والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وقد بناها بنو يفرن الزناتيون واتخذوها قاعدة لهم، كما اهتم بها الموحدون واتخذوها قاعدة عسكرية لاساطيلهم. راجع في ذلك البكري، المغرب ص87-172-179. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص138.

(3) التازي، التاريخ الدبلوماسي ص233. هونكة، زنغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضوني وكمال دسوقي، تعليق فاروق عيسى الخوري، ط3، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت، بد ص89.

(4) الحسن الوزان، وصف افريقيا ج1 ص231. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج5 ص288.

## ثالثاً: أثر أهل الذمة في الحياة العلمية والأدبية في المغرب الأقصى

### أولاً: أثر أهل الذمة في الحياة الأدبية والفلسفية:

لقد تركت عمليات الفتح الإسلامي للبلاد تأثيرا كبيراً في حياة المجتمعات والجماعات الموجودة في تلك البلاد، فما من شك ان وجود طوائف وجماعات في المجتمع الإسلامي مهما كان حجمها وتأثيرها، فأن تلك الجماعات كانت تسعى لأن يكون لها وجود في مجتمعات كانت تنظر بعين الاحترام والإجلال إلى الشعراء والأدباء.

ان إقبال أهل الذمة على تعلم اللغة العربية للتقرب من الفاتحين، وهذا بدوره يؤدي إلى الانسجام والتجانس بين أبناء المجتمع الواحد، يقول الخربوطلي[1](كان أهل الذمة مضطرين إلى تعلم العربية لتصلهم بالعرب في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة، كما أدى تعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ت86هـ[#]، وتعريب الثقافة إلى انتشار العربية على نطاق واسع بين أهل الذمة، فقد كان عليهم إتقانها حتى يحتفظوا بوظائفهم في الدولة)).

في مجال الأدب الفلسفة برز دور اليهود في بلاد المغرب الأقصى أكثر من النصارى، فلم نجد ما يذكر عنهم في كتب الأدب والتراجم، أما اليهود فأنهم أتقنوا اللغة العربية لفظاً وكتابة، بل زاد الأمر أن أصبح منهم بعض الشعراء، كما أنهم كانوا في بلاد الأندلس مثل أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد الاشبيلي ت649-658هـ / 1251-1260م،

---

(1) الإسلام وأهل الذمة ص116.

(#) عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة الاموي ويكنى ابو الوليد ولد عام 22هـ تقلد مناصب عديدة قبل خلافته وشارك في فتوحات افريقية كان ناسكاً عابداً ت 86هـ. ابن حزم، الجمهرة، ص187. القلقشندي، صبح الاعشى، ج5 ص117. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1 ص212.

وكان قد اسلم قبل وفاته وظهر غيرهم كثير في مجال الطب والأدب مثل أبو اسحاق ابراهيم بن الفخار اليهودي الذي كان سفير الاذفونش إلى خلفاء دولة الموحدين[1].

كان قد ظهر فلاسفة لهم باع طويل في العلوم والمعرفة قاموا بشرح التلمود، ومن بينهم اسحق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي ت497 هـ وقد ولد في قلعة ابن احمد قرب مدينة فاس عام404هـ - 1013م، وله شرح التلمود في 20 مجلد[2]، وقد درس عدد من فلاسفة اليهود على يديه، حيث تتلمذ على يديه يهوذا بن صموئيل اللاوي ويسكن أبا الحسن اللاوي الذي ولد عام 1086م في لوسانيا درس في اسبانيا المسلمة العبرية آدابها كما درس الطب ومارسه[3] وقد توفي اسحق بن يعقوب أثناء سفره إلى الأندلس[4].

دأب بعض علماء ومفكري اليهود على المحافظة على لغتهم وتراثهم الأدبي والعلمي وذلك خوفاً من ظهور جيل من اليهود لا يتكلم اللغة العبرية، لذلك عمل يهوذا شويج الفاسي في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي على تأليف قاموس لمفردات اللغة العبرية، وقد ضمه مباحث قيمة عن الإنشاء والترقيم باللغة العبرية[5].

لكن مع هذا فلم يكن يرى اليهود في البلاد الناطقة بالعبرية أي شعور من التحرج في استعمالهم اللغة العربية حتى في المواضيع ذات الطابع الديني، وقد ظهر بعد ذلك أسلوب جديد في الكتابة، حيث انهم يكتبون اللغة العبرية بحروف عربية وهذا الأسلوب اتخذ للمحافظة على تراثهم اللغوي[6].

---

(1) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف طبع دار المعارف – مصر، بد، ج2 ص23.

(2) ابن عبد الله، الموسوعة المغربية ج4 ص37.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس ص74.

(4) ابن عبد الله، الموسوعة المغربية ج2 ص37.

(5) اشباخ، تاريخ الأندلس ص499.

(6) شايندلن، ريموند، اليهود في اسبانيا المسلمة، ترجمة مريم عبد الباقي ص309.

ويعد السمؤل بن يهوذا المغربي ت570هـ من أعظم حكماء اليهود وقد ألف كتاباً بين فيه من معايب اليهود، حيث انه اسلم أثناء توجهه نحو الشرق حيث توفي هناك[1]، ومن اشهر الشخصيات اليهودية التي ظهرت في بلاد المغرب هو خلوف اليهودي[#] الذي كان يمثل شيخ التعاليم اليهودية في فاس أيام الموحدين، وقد درس على يديه بعض علماء المسلمين علم المنطق والفنون اليهودية والفلسفية وغيرها من العلوم وفي هذا يتبين براعة اليهود في علم المنطق والفلسفة مما حدى بالمسلمين إلى طلب العلم منهم في هذا المجال الذي يجهله المسلمون، ولم يجدوا حرج في ذلك لأنه أمر غير مخالف للشرع، كما انه يبين مدى التعايش الذي يتم بين أهل الذمة وبين المسلمين، وهناك أمر مهم أخر هو مدى تطبيق الموحدين لأوامر عبد المؤمن بن علي في تخييره لأهل الذمة بين الإسلام أو القتل، وخصوصاً وان وجود شيخ التعاليم اليهودية في فاس يدل على وجود أعداد كبيرة منهم، فإنهم تمتعوا بحرية العيش والتدريس.

أما في مجال الفلسفة فلم تكن هناك فلسفة يهودية بالمعنى الصحيح، ولم تعرض هذه الفلسفة إلا من خلال علماء المسلمين، فقد كانت فلسفتهم عبارة عن اقتباس من الحضارات الأخرى، وفي هذا يقول المسيري[2](لا يوجد هناك ما يسمى ثقافة يهودية أو فن يهودي، لأنه لا توجد هوية واحدة، وانما هي هويات أو ثقافات شتى، حيث ان

---

(1) ابن العبري، غريغوريوس الملطي ت1268م، تاريخ مختصر الدول، وضح حواشيه وعلق عليه الاب انطوان صالحي اليسوع، ط2، المطبعة الكاثولكية – بيروت 1958 ص217. قاسم، اليهود في مصر ص40.

(#) خلوف المغيلي اليهودي الفاسي التجأ اليه العلامة الابلي بعد ان اكرهه عامل تلمسان على العمل معه ففر إلى فاس ولازم شيخ التعاليم، فاخذ عنه فنونها فرحل منها، ثم لحق بمراكش فنزل على ابن البناء ولازمه فدرس عنده علم المعقول والحكمة ثم عاد إلى فاس. راجع السراج، محمد بن محمد الأندلسي الوزير ت1149هـ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الميلة، الدار التونسية للنشر، بلا، ج1 ق3 ص616–617. كنون، النبوغ المغربي ج1 ص208.

(2) موسوعة اليهود واليهودية، ج3 مج1 ص303.

اليهود تأثروا بالبيئة التي يعشون فيها)) ويقول ديورانت[1]((ولم يكن لليهود القابلية الفكرية والعلمية على الإبداع الفكري فحتى التصوف اليهودي تأثر بالزرادشتيه وبالأفلاطونية الحديثة)) لكنهم مع ذلك ساهموا في نشر المؤلفات العربية وخصوصاً في مجال العلوم الطبيعية، فعن طريق هؤلاء انتقلت علوم المسلمين إلى بلاد أوربا المسيحية عن طريق الأندلس[2].

**ثانياً: الطب عند أهل الذمة:**

لقد أتاحت الدولة الإسلامية من شرقها إلى مغربها حرية التفكير والتعليم، فلم تفرض عليها نظاماً خاصاً بهم، أو أن تحرمهم التعلم، وهذا ما شجعهم على البحث والدراسة، فبرع قسم منهم في الطب والصيدلة.

وفي بلاد المغرب اشتهر اليهود في هذا المجال أكثر من النصارى، لذلك فاننا لم نجد ما يشير إلى وجود أطباء نصارى في بلاد المغرب، وهو عكس ما حدث في بلاد المشرق من اشتهار النصارى في هذين المجالين، لأن الحاجة في المجتمع إلى الأطباء تكون ضرورية، وربما يعود ذلك إلى انغلاق هذه الجماعة على نفسها، جعلها تحاول ان تعتمد على نفسها في بعض الأمور ومنها الطب.

لم يكن يهود المغرب هم وحدهم من برع في مجال الطب من أبناء جلدتهم فظهر هناك بعض اليهود في المشرق برعوا في مجال الطب أمثال يعقوب بن كلس380هـ[#] كذلك الحال

(1) قصة الحضارة، ج14 ص110.

(2) ديورانت،قصة الحضارة، ج14 ص110.

(3)#) ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان وزير العزيز نزار بن المعز العبيدي كان يهودي اسلم في مصر من أجل الوصول إلى الوزارة، وبعد اكتشاف امره وكذبه هرب إلى المغرب حتى وفاته عام 380هـ. راجع ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين محمد بن ابي بكر ت681هـ / 1282م، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة – بيروت 1986م، ج7 ص27 رقم الترجمة 831. امين، احمد، ظهر الإسلام، ط4،مطبعة لجنة التأليف والنشر، مكتبة النهضة العربية 1966 ج1 ص84

بالنسبة إلى يعقوب بن اسحاق بن سليمان الإسرائيلي ت320هـ(#)(#) وشيخه اسحاق بن عمران(#)(#)(#) الذي يعد أول من تداول الطب في بلاد المغرب .

في أيام دولة المرابطين عين أمير المسلمين علي بن يوسف اليهودي أبو أيوب سليمان بن المعلم طبيباً خاصاً به، وقد منحه لقب الوزير الفخري، وقد عمل مع طبيب يهودي أخر يدعى إبراهيم بن كامينال في جمع الجزية من اليهود وعمل على تسهيل بعض الأمور لليهود في الدولة عند الضرورة[1].

عند قيام دولة الموحدين التي اتخذت جانب الشدة أول الأمر حيال أهل الذمة، فقد خيرهم عبد المؤمن بن علي بين إحدى ثلاث، الإسلام أو الهجرة أو القتل لمن أبى الإسلام وبقي حتى انقضاء الأجل المحدد من قبل الخليفة[2]، وكان لهذا القرار آثاره

---

(#)(#) اسحاق بن سليمان الاسرائيلي كان طبيباً عالماً بتقاسيم الكلام الف كتاباً في البول وكتاباً في الحميات وله كتب في الفلسفة والمنطق، وعمل في خدمة زياده الله بن الاغلب عام 320هـ / 932م. راجع في ذلك ابن جلجل ابي داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1955 ص187. ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي، عيون الابناء في طبقات الاطباء، شرح وتعليق وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ص479. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص141–142. بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر ، د. رمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر 1975 ج2 ص 286.

(#)(#)(#) اسحاق بن عمران الملقب بسم الساعة، بغدادي الاصل دخل القيروان زمن الاغالبة له مؤلفات كثيرة في الطب منها كتاب في المالخونيا، وكتاب في نزهة النفس، وقد غضب عليه ابن الاغلب فصلبه. راجع ابن جلجل، طبقات الاطباء ص86. ابن ابي اصبعة، عيون الابناء ص478. ابن عبد الله، الموسوعة المغربية ج4 ص36. بن عبد الله، الطب والاطباء في المغرب، المطبعة الاقتصادية 1380هـ – 1960م ص11.

(1) الخالدي، اليهود في الدولة العربية ص190–191.

(2) علام، عبد الله، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف – مصر 1968 ص240.

السلبية، منها تظاهر البعض منهم بالإسلام، وقد أبطن ديانته، وهو الأمر الذي يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1] الأمر المهم الأخر هو هجرة عدد كبير من ذوي الخبرة والعلم، حيث رفضوا اعتناق الدين الإسلامي.

من الذين ارتضوا ترك البلاد بعد اكراههم على الإسلام يوسف بن يحيى السبتي[#] ترك بلاد المغرب الأقصى بعد ان اجبره الموحدون على الإسلام، ورحل إلى مصر حيث استقر هناك[2].

يعتبر موسى بن ميمون ت602هـ اشهر رجالات اليهود الذين ارتحلوا لحو المشرق الإسلامي، واسمه العربي أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي ولد سنة 530هـ / 1153م[3] عرف بكتب التراجم والرجال بالرئيس[4]، وقد كان يعرف في اللاتينية والمسيحية (ميمونيدس))[5] أو(ماميمونيدس))[6] وبالاسبانية Momonrdes،

(1) سورة البقرة الآية 256.

(#) ابو الحجاج بن يحيى بن اسحق السبتي ت620هـ أو 623هـ ويعرف بابن سمعون، كان طبيباً اسرائيلياً من أهل فاس، وكان والده يعمل في الحرف السوقية، درس الحكمة في سبته اشتهر بالطب والهندسة وعلم النجوم ودرس الطب على يد موسى بن ميمون، ثم خرج من مصر إلى الشام وبقي إلى ان توفي. راجع في ذلك القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف، اخبار العلماء باخبار الحكماء، طبعة مصر 1326هـ ص85. ابن عبد الله، الطب والأطباء ص38. المنوني، محمد، العلوم والأداب والفنون على عهد الموحدين ط2 مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط 1397هـ – 1977م، ص30.

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص242.

(3) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص723-724. بالنثيا، الخل، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة عن الاسبانية حسين مؤنس، ط1، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية 1955 ص502-503

(4) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء ص582. الكتبي، محمد بن شاكر ت764 هـ فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت – لبنان 1964 مج2 ص175، رقم الترجمة 538.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس ص88.

(6) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص503.

وقد عرف عند اليهود بـ ((الزعيم))[1] وهو مختصر ((الربي موسى بن ميمون)) وكذلك عرف عندهم بـ((موشية حزمان)) أي معنى الزمان[2]، كان والده رياضياً وفلكياً مشهوراً كما انه كان قاضي اليهود في قرطبة[3]، وهذا يدل على ان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة بهم، حيث أنهم اعرف بأحوال ملتهم، ثم انه ينفي ما تردد من اضطهادهم المسلمين لأهل الذمة في تلك البلاد، عاصر ابن ميمون الطبيبان حسداي بن شيروط والعالم مروان بن جناح القرطبي ويكنى أبو الوليد، وهو من يهود الأندلس من أثاره معجم عبري عربي، وكتاب في صناعة الطب والأوزان[4].

رحل ابن ميمون وأفراد عائلته إلى بلاد المغرب وتحديداً إلى مدينة فاس عام 557هـ وفيها تتلمذ على يد عالم يهودي هناك يدعى يهوذا الكاهن الذي قتل فيما بعد[5] درس الطب في جامع القرويين ولم يجد الناس من ذلك حرج[6]، ومن ثم بدأ يزاول مهنته كطبيب في مدينة فاس[7].

---

(1) العامري، محمد بشير، كشاف عن مشاهير الاطباء الأندلسيين، ومؤلفاتهم المخطوطة المطبوعة، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، ع12، 2001م ص170.

(2) شحلان، احمد، الطب في المغرب العربي حتى نهاية عصر الموحدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس - الرباط، ع5 -6، 1979 ص20.

(3) السامرائي، كمال، تاريخ الطب العربي، وزارة الثقافة والاعلام دار الحرية للطباعة - بغداد 1985، ج2 ص54. شايندلن، اليهود في اسبانيا ص310.

(4) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء ص498.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس ص88. شحلان، الطب في المغرب ص20.

(6) لوتورنو، فاس ص206.

(7) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص53.

تظاهر ابن ميمون بالإسلام، بعد ان اجبرهم الموحدين على ذلك، حتى سنحت لـه الفرصة لمغادرة بلاد المغرب الأقصى متوجهاً نحو مـصر[1]، لكـن هنـاك مـن ينفـي حادثـة إسلامه ويعتبرها كذبة[2] وقد اجبره الموحدون إلى تأليف رسالة في الردة[3].

بعد وصوله إلى مصر عين طبيباً خاصاً لصلاح الدين الأيـوبي وبقـي كـذلك حتـى وفاته عام 602 / 1204[4].

## رابعاً : الحياة الاقتصادية لأهل الذمة

أبـاح الإسـلام والحكـام المسلمون لأهـل الذمـة حريـة ابـرام العقـود التجاريـة والصناعية ومزاولتها، كما أبيح للذمي مشاركة المسلم في أموره التجارية، لكن هـذا الأمـر مشروطاً بوجود المسلم معه حتى يمنعه من تعـاطي الربـا وشـراء وبيـع الخمـور دون علـم المسلم، وقد أدى هذا العمل إلى زيادة الـروابط بـين المسلمين وأهـل الذمـة، فقـد ضـمن الإسلام حرمة ممتلكـاتهم وأمـوالهم وحريـة نـشاطهم الاقتـصادي فـشاركوا المسلمين في حياتهم الاقتصادية[5].

كانت الحياة الاقتصادية فيما مضى بسيطة خالية مـن أي تعقيـد، فقـد كانـت تقـوم على ثلاث محاور هي الزراعة والصناعة وهـي في الأغلـب حرفيـة بـسيطة وتجـارة، ومـن المعروف ان اغلب المجتمعات في ذلك الوقت كانت تعتمد على الزراعة.

---

(1) علام، الدولة الموحدية ص240. بشير، صحراوي، العلاقـات الثقافيـة بـين المغـرب والأنـدلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، 1403هـ / 1983م، ص669.

(2) حتي، تاريخ العرب مطول ج3 ص694.

(3) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص503.

(4) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص723-724. بشير، العلاقات الثقافية ص669.

(5) اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة ص436-438.

مما يثير التساؤل هو عدم امتهان اليهود لحرفة الزراعة، فان اليهودي أينما حل ونزل، حل تاجراً أو حرفياً، وهذا يعود إلى التشريعات اليهودية التي دفعتهم إلى العمل في مجال التجارة والصيرفة، حتى اشتهروا بهذا العمل على سائر الأديان الأخرى[1]، الأمر الأخر الذي جعل اليهود يعزفون عن الأعمال الزراعية هو عدم السماح لهم باستئجار أرقاء من غير طائفة اليهود، وفيما لو حدث ذلك يعني ان هناك يومين في الأسبوع من دون عمل، ان كان العامل مسلماً أو نصرانياً، وهو ما يعني خسارة لصاحب الأرض، كما ان طبيعة الزراعة تجعل الربح غير مضمون، عكس التجارة والصيرفة[2].

ومع ذلك فان اليهود حرصوا على امتلاك الأراضي الزراعية في كثير من البلدان التي حلوا بها[3].

أما النصارى، فكما أسلفنا فان أعدادهم قليلة ويعيشون في جماعات صغيرة في بلاد الجريد، وعندما أفتى القاضي أبو الوليد بن رشد عام 519هـ بتغريب النصارى المعاهدين لتواطئهم مع قائد النصارى الاسباني، وتم نقلهم إلى مكناسة [#] وسلا ومناطق أخرى[4]، وقد عمل هؤلاء بالزراعة، وإنما عملوا بالزراعة دون غيرها من الأنشطة الاقتصادية، فهذا يعود إلى طبيعة عملهم السابق في الأندلس[5].

---

(1) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص139.

(2) عبد الرحمن،د- صباح، النشاط الاقتصادي ليهود العراق 1917-1952م، ط1، بيت الحكمة – بغداد 2002، ص9-10.

(3) عبد الحميد، اليهود في الاندلس ص7.

(#) مكناسة: قبيلة مشهورة من قبائل زناته نزلت عدة اماكن بالمغرب والأندلس فضل اسمها علماً لبعض تلك الاماكن فهناك مكناسة الأندلس التي تقع في الثغر الاعلى في سرقسطة عند ملتقى نهر الابرة ونهر الاشقر أما في بلاد المغرب فهناك مكناسة تازه ومكناسة الزيتون وهي المقصودة بهذا الكلام فهي تقع في شمال مدينة فاس على مقربة من جبل زر هون ويكثر فيها الزيتون والكروم. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص141. الحميري، الروض المعطار ص544.

(4) مجهول، الحلل الموشية ص65-66.

(5) عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي ص109.

أما في مجال التجارة والصيرفة فقد اشتهر فيها اليهود بشكل كبير، فاننا نجد ان اليهود قد عملوا في التجارة منذ مدة طويلة، حتى فاقوا غيرهم بهذا المجال.

لم يوجد هناك أي قانون أوتشريع يمنع ممارسة أهل الذمة من اليهود أو غيرهم من مزاولة أي نوع من الأعمال، بل على العكس من ذلك فقد توفرت لهم الحرية الكاملة في العمل بأي من المهن أو الحرف[1]، إلا فيما عدا بعض الأنشطة التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية كبيع الجمور أو صناعتها وكذلك بيع لحم الخنزير[2].

ومن الأمور التي تميز بها اليهود عن غيرهم من الطوائف الأخرى، انهم أكثر تنظيماً، وهذا يعود إلى قوة الروابط بينهم، وهو الأمر الذي أدى إلى سيطرتهم على التجارة[3]، فمثلاً يوجد في مناطق الشرق الأدنى اليهود المشردون، وقد عمل هؤلاء على توطيد التجارة مع إخوانهم في المغرب العربي وأوربا[4].

يقول المستشرق ديورانت[5]((وقد لجأ اليهود إلى التجارة، وقد احتكروا التجارة فكانت أعمالهم وقوافلهم وسفنهم تجتاز الصحراوات والجبال والبحار، وكانوا حلقة الاتصال التجاري بين بلاد المسلمين والمسيحيين، وكانوا هم القائمين بمعظم تجارة الرقيق، وكان يعينهم على النجاح في التجارة مهارتهم في تعلم اللغات وتعاون الجماعات اليهودية بعضها مع بعض حتى يجد اليهودي له موطناً أينما حل)).

---

(1) متز، الحضارة الإسلامية، ج1 ص68-69.

(2) عبد الرحمن، النشاط الاقتصادي ليهود العراق ص17.

(3) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط1، مطبعة ذات السلاسل، 1408هـ / 1988م، ج2 ص334. الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص90-91. ابن الخوجة، يهود المغرب ص26

(4) هونكة، شمس العرب ص28.

(5) قصة الحضارة، ج14 ص60-61.

اشتهر اليهود في بلاد المغرب بتجارة الذهب والفضة والنحاس، حتى أصبحوا ذووا أموال وجاه[1]، وقد حظي هؤلاء اليهود بمكانة مرموقة لدى الأمراء[2] أصحاب الشأن في المناطق التي كان يقطنونها، وهذا يعود إلى نفوذهم التجاري الواسع وجلبهم الهدايا عوضاً عن الجزية[3]، ولم يكن هذا الأمر مقتصراً على يهود المغرب بل حتى في بلاد المشرق الإسلامي، وهذا يعود إلى انتشارهم في اغلب المدن الإسلامية[4].

تركز وجود اليهود في بلاد المغرب في المدن الرئيسة ليسهل ذلك عمل المتاجرة، ففي مدينة القيروان كان لهم فيها سوق خاص تعرف بسوق اليهود، ولم يكن هؤلاء يتورعون عن التعامل بالربا والتحايل على الناس[5]، وقد تعامل اليهود بالربا لأن أسفار موسى والتلمود قد حرمت التعامل بالربا بين اليهود أنفسهم ولكن لم تحرمه بين اليهود وغير اليهود[6].

وفي بلاد المغرب الأقصى كان وجودهم في مدينة سجلماسة وفاس، والتي ارتبط وجودهم فيها منذ نشأتهما أما الأولى فكان سبب اختيارهم لهذه المدينة هو وقوعها على طريق القوافل بين الشمال الافريقي وبلاد المغرب من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، خصوصاً وإنهم كانوا مفضلين على غيرهم في هذا المجال، وذلك لإتقانهم أكثر

---

(1) عز الدين، النشاط الاقتصادي ص110. جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص276-277.

(2) ا. ي بليايف، العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية د. انيس فريحة، مراجعة محمود زايد ط1، الدار المتحدة للنشر، بيروت – لبنان، 1973م، ص295.

(3) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1 ص129.

(4) هونكة، شمس العرب ص26.

(5) مجهول، الاستبصار ص202. الجنحاني، القيروان عبر العصور ازدهارها الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص137. الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص67 ص90. لعيبي، كريم، اسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري اطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الاداب – جامعة بغداد، 1418هـ / 1997م، ص130.

(6) ديورانت، قصة الحضارة، ج14 ص62.

اللغات المعروفة انذاك[1]، ومن ثم وجود مناجم الذهب في مدينة درعة ووفرتها ساعدت على استقرارهم في تلك المنطقة[2]، كما أنهم عملوا كنافين وحرفيين وساهموا مع الجماعات الأخرى في تطوير المدينة[3].

أما اليهود في فاس فانهم عملوا في التجارة والصناعة، وقد برعوا في استخدام الحيل من اجل كسب المال، وكانت لهم علاقات تجارية واسعة مع يهود مرسيليا[4].

كان للتجار اليهود نشاط بارز في حوض البحر المتوسط وكان يطلق عليهم باليهود الراذانية أو الرهدانية[#]، وقد لعب هؤلاء دوراً هاماً في نقل البضائع من المغرب إلى المشرق وبالعكس، وكان يبحر هؤلاء على متن سفن من جنوه وبيزة، ومن ثم نقل البضائع من المغرب إلى المشرق وبالعكس، ومن ثم تنقل بضائعهم إلى الشرق أو بلاد السودان أو أي جهة أخرى، ومن الأمور التي يقوم بها هؤلاء اليهود، انهم لا يسافرون إلا مع أبناء جنسهم، حتى يتسنى لهم إقامة شعائرهم الدينية أثناء سفرهم، ثم ان أيام عطلهم ومناسباتهم تكون واحدة[5]، حتى لا يؤثر ذلك على سير القوافل التجارية، مما

---

(1) اسماعيل، الخوارج ص216. الغربي، بداية الحكم المغربي ص608.

(2) مجهول، الاستبصار، ص202. اسماعيل، الخوارج ص216.

(3) مجهول، الاستبصار ص202. الحميري، الروض المعطار ص305-307.

(4) التازي، التاريخ الدبلوماسي ج5 ص228-232. لورتورنو، فاس ص53-54. لعيبي، اسواق بلاد المغرب ص131.

(#) الراذانية: اليهود الذين يتكلمون العربية والفارسية والرومية والفرنجية والصقلية، يجلب هؤلاء البضائع من المغرب إلى المشرق وبالعكس. راجع ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت سنة 300هـ المسالك والممالك، مكتبة المستثنى – بغداد ص153. الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح حتى غزو النورمندي، دار الرشيد – بغداد، بلا ص164.

(5) الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص90. جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص199.

يدل على تطور التجارة في بلاد المغرب وهو ما ورد في وثائق الجنيزة(#) فقد ورد ان تاجراً يهودياً من سجلماسة يدعى أبو زكري كوهين السجلماسي، وكان هذا يمثل وكيلاً لتجارة الفسطاط وسجلماسة، وكانت له علاقات تجارية مع الهند، وتاريخ هذه الوثائق مؤرخة بين عام 1132م – 1148م[1].

وهذا التاريخ يقع ضمن فترة قيام دولة المرابطين في بلاد المغرب 1091–1147م، كما وردت في هذه الوثائق أسماء أخرى من يهود المغرب مثل عروس بن يوسف، ويعد هذا من اكبر تجار البحر المتوسط[2].

ومن الأمور التي أهتم بها تجار اليهود والنصارى هي تجارة الرقيق، ولكن اليهود كانوا ابرع وأشهر منهم، فقد كانت تجارة الرقيق تجارة واسعة ومربحة، وكان هناك سوق خاص للرقيق يعرف بسوق((النخاسين))[3]، كما اشتهر اليهود بتجارة الخصيان، وكانت هذه التجارة رائجة في اغلب البلاد الإسلامية، وكان أكثرهم من الصقالبة ويتولى اليهود عملية الخصاء[4]، ويعمل هؤلاء في خدمة الأميرات في اغلب الأحيان، واشتهر اليهود بتجارة فراء القندس ويأتون به من بلاد المغرب وأوربا نحو المشرق، وبالمقابل فإنهم يجلبون من المشرق المسك والكافور والبهارات[5].

---

(#) الجنيزة، مخبأ ضخم للمخطوطات والجذاذات التي يعود تاريخها إلى القرن العاشر الميلادي ويستمر إلى العصر الحديث، وجدت هذا الوثائق في احدى الكنائس في القاهرة في القرن التاسع عشر. راجع شانيدلن، اليهود في اسبانيا ص303.

(1) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص261.

(2) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص261.

(3) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط1، دار الكتاب العربي – بيروت، بد، ج1 ص83.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض ص106. المقدسي، احسن التقاسيم ص242.

(5) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص153. بلياييف، العرب والإسلام ص294.

أما النصارى فان نشاطهم التجاري بقي محدوداً، لكنهم في بلاد المغرب عرفوا بتجارة الزيت ولم تشر المصادر إلى طبيعة أعمال النصارى الأخرى، إلا ان وجود نصارى في بلاد المغرب أدى إلى قيام علاقات تجارية مع روما منذ أيام المرابطين.

وفي مجال الصناعة لم يحاول المسلمون فرض أي نوع من الحرف والمهن على أهل الذمة سواء كانوا يهوداً أم نصارى، بل حدث العكس تماماً، حيث أعطتهم الدولة الإسلامية الحرية المطلقة في اختيار نوع المهنة التي يرغب بها الذمي، باستثناء ما ينافي الدين الإسلامي كصناعة الخمور والمتاجرة بها.

لقد كانت هناك جملة أسباب وراء ذلك، فطبيعة الدين الإسلامي التسامح مع بقية الأديان الأخرى جعلهم يعطونهم حرية العمل، كما أعطوهم حرية العبادة وإلا كيف سيدفع هؤلاء ما بذمتهم من الأموال المترتبة عليهم كجزية، ان لم يكن هناك مصدر يتكسبون منه، ومن ثم انشغال المسلمين بالفتح من جهة أخرى، وعدم اجادتهم العمل في بعض هذه الحرف من جهة أخرى، جعلهم يوكلون مهمتها إلى أهل الذمة[1]، كما ان طبيعة المجتمعات العربية التي كانت ترفض العمل في بعض المهن التي يعدونها محتقرة، وان من يعمل بها يعد شخصاً وضيعاً في المجتمع، وكما هو الحال بالنسبة لمهنة البناء في سجلماسة، ومن ثم فان العرب كانوا يفضلون مهنة الرعي والزراعة على سائر المهن الأخرى[2].

وكما برع اليهود في المجالات الأخرى من تجارة وغيرها فإنهم اشتهروا بكثير من الصناعات الحرفية، وقد عمل هؤلاء على احتكار أسرار بعض هذه المهن حتى أصبحت حكراً عليهم، وكان هذا نابع من شعورهم بأنهم أقلية في البلاد، وان احتكارهم لهذه

---

(1) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص167. متز، الحضارة الإسلامية، ج1 ص68-69. بليايف، العرب والإسلام ص216-217.

(2) الحميري، الروض المعطار ص306. لوتورنو، فاس ص139. عبد محمد، سوداي، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثالث الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري، مجلة آداب المستنصرية، ع 13 س 1406هـ / 1986م ص333-334.

الصناعات يقوي موقفهم حتى لا يستطيع المجتمع أو الدولة الاستغناء عنهم[1]، ومن الأمور التي اشتهروا بها اليهود صناعة الزجاج، كما برعوا في صناعة الذهب والحلي، وأنهم برعوا في استغلال مناجم الذهب في إقليم درعة التابع لمدينة سجلماسة[2] حيث كانوا يقومون باستخراجه وتصنيعه ومن ثم المتاجرة به إلى البلاد الأخرى[3]، ومن الصناعات التي برعوا بها صناعة الأحجار الكريمة، حيث حضيت باهتمام واسع، ويعود ذلك إلى رغبة الأمراء باقتنائها[4]، وفي مجال الصناعات الأخرى اشتهر اليهود بصناعة القناديل وزخرفتها، وصناعة الماشط سواء كان للاستخدام البشري أم المشط الحرفي أو غيره من المواد[5].

لم يقتصر نشاط اليهود الصناعي على الصناعات الحرفية الدقيقة، بل تعداها إلى نسج الاقمشة الحريرية ابتداءً من مراحله الأولى وحتى بيعه في الأسواق أو نقله إلى مناطق أخرى، بينما اقتصر عمل النصارى على الصناعات الكتانية وفي مراحله الأولى فقط، بينما عملية تسويقه والمتاجرة به في الأسواق كانت من اختصاص اليهود، ولم تكن جميع هذه المنتجات الحريرية والكتانية هي ما اقتصر عليه اليهود، بل تعدتها إلى المنتجات القطنية والصوفية، وذلك يعود لارتباطها بصناعات أخرى، حيث ارتبطت بها بشكل مباشر أو غير مباشر، منها ما يخص تلوين هذه الملابس والأقمشة ونقشها وزخرفتها، وهذا بدوره يقودنا إلى استخدام الأصباغ، في ذلك وقد برع اليهود في تصنيعه فقد ذكر ان النساء كن يعدن وضوؤهن كلما لمسن أصباغ اليهود[6].

---

(1) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص168-169.

(2) اسماعيل، الخوارج ص91.

(3) مجهول، الاستبصار ص202. مصطفى، المدن في الإسلام، ج2 ص374-375. عبد محمد، الاحوال الاجتماعية ص336.

(4) جواتياين، التاريخ الإسلامي ص168.

(5) لوتورنو، فاس ص139. لعيبي، اسواق المغرب ص118.

(6) العيبي، النشاط الاقتصادي ص124.

برع اليهود بأمور الحياكة وصناعة السجاد ونقشه[1]، وقد عمل هؤلاء في صناعة العطور والأدوية والمتاجرة بها، كونها كانت سلعاً مرغوبة في جميع المناطق ولجميع الناس ومختلف الأديان[2]، وقد عمل قسم من اليهود في أمور الحدادة والخياطة والتي غالباً ما تكون هذه الحرف لتيسير أمور الفلاحين وأهل المناطق البعيدة[3]، واشتهر اليهود في بعض مدن المغرب الأقصى بصناعة الأحذية، وعملوا أيضاً في صناعة الخمور[4].

أما النصارى فبالرغم من قلة أعدادهم في بلاد المغرب، وعمل قسم منهم في أعمال الزراعة والأرض فان هناك بعض الجماعات منهم عملت في بعض الحرف الصغيرة، وتعد هذه الأعمال مكملة للأعمال الزراعية، فعملوا في طحن الحبوب وبعض الأعمال البسيطة الأخرى، كما مارس قسم أخر منهم عملية التجارة ولو بشكل بسيط[5].

---

(1) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي ص168-169.

(2) م. ن، ص168-169.

(3) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1 ص98، 140-141.

(4) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1 ص105-106. ضيف، عصر الدول والامارات، ج10 ص304

(5) عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، ط2، مكتبة المنار – تونس 1972، ق2 ص53.

# الفصل الثاني

# الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى

# الفصل الثاني

# الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى

## أولاً: بدايات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى

تعود البدايات الأولى لفتح بلاد المغرب إلى أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ 13 – 23 هـ عندما أرسل الجيوش لفتح البلاد وتحرير العباد من نير الاحتلالين الفارسي والروماني. ومن تلك الجيوش التي أرسلها الخليفة كانت إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص ﷺ ت 43هـ وبعد ان استطاع فتح مصر سنة 22 هـ عمل على تنظيم شؤونها الإدارية والمالية، وقد اقر أهل البلاد إما على الإسلام أو الجزية، وقد عهد إلى القبط جباية الأموال عن أبناء ملتهم[1].

كانت برقة هي المحطة الأخرى بعد مصر وقد دخلها المسلمون صلحاً[2] وأعطوا أهلها الأمان مقابل دفع الجزية وقد بلغ مقدار الجزية ثلاثة عشر ألف دينار[3]. وقد أجاز لهم بيع أبنائهم أو نسائهم إذا أرادوا هم ذلك، ويعد ابن العاص أول من فرض الجزية في أفريقية[4]. وقد أرسل عمرو بن العاص ﷺ كتاباً إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يخبره انه

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص 206، ابن خلدون العبر ج6 / ص198. دنيا، عبد العزيز حافظ، موسى بن نصير حياته وعصره الدار القومية للطباعة والنشر، بد ص92، الصلابي، فصل الخطاب في سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط1، دار ابن كثير دمشق بيروت 2003 ص390.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1ص8. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص75. ابن ابي دينار، المؤنس ص23.

(3) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص342. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص75.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1964 ص29، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص229. البلاذري، فتوح البلدان ص231 – 232. لقبال، موسى، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات

وجه عقبة بن نافع الفهري ت63 هـ إلى بلاد المغرب وقد أدى مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم على الجزية وانه وضع عليهم ما رأى أنهم يطيقونه[1]. ويتضح من هذا ان الفاتحين المسلمين قد اخذوا بنظر الاعتبار القدرة المالية لأهل البلاد، سواء الذين دخلوا في الإسلام أم لم يدخلوا.

حاول ابن العاص ﷺ اقناع الخليفة باستكمال الفتح في بلاد افريقية والمغرب، إلا ان الخليفة رفض ذلك قائلاً((لا انها ليست بأفريقيا، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها احد ما بقيت))[2]

**ولاية عبد الله بن أبي سرح ت36 هـ.**

كان رفض الخليفة باستمرار عمليات الفتح إيذاناً بمرحلة جديدة، فقد استغل جرجير[#] توقف الفتح مما أتاح له الفرصة والوقت الكافيين من اجل تحصين حدوده الشرقية، وأيضاً ارتدت بعض القبائل عن الإسلام مما جعل مهمة ابن ابي سرح صعبة[(#)(#)][3].

---

الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981 ص140. سالم، المغرب الكبير، ج2 ص143.

(1) البلاذري، فتوح البلدان ص232، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص342 – 343.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والاندلس ص33. حقي، احسان، المغرب العربي، منشورات دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، بد ص31.

(#) جرجير القائد الروماني في بلاد أفريقيا والمغرب ويعرف ايضاً بجرجيس استخلفه هرقل على تلك البلاد لكنه انفصل عن الدولة وكان سلطانه يمتد من طرابلس إلى طنجة. راجع ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص35.

(#)(#) ابن ابي سرح: عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القريشي العامري اخو عثمان بن عفان ﷺ بالرضاعة اسلم قبل الفتح وكان من كتاب الوحي ثم ارتد عن الإسلام فهدر رسول الله ﷺ دمه يوم فتح مكة فأستأمن له عثمان بن عفان فأمنه رسول الله ﷺ فاسلم وحسن اسلامه، وقد ولاه عثمان بن عفان ولاية أفريقية ولم يوله كونه اخاه ولكنه كان الاكفأ بين اقرانه لأنه رافق فتوح مصر والمغرب منذ ايامها الاولى، راجع ابن الاثير اسد الغابة مج3 ص173. الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1424هـ - 2003م ص315.

(3 ) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والاندلس ص35. الصلابي، عثمان بن عفان ص314.

كان ابن أبي سرح يرسل المسلمين(#) في جرائد الخيل فيصيبون من الروم، وكان جرجير قد اتخذ من سبيطلة(#)(#) مقراً له ليكون قريباً من البربر[1].

بعد التقاء الجانبين الإسلامي والروماني وجهاً لوجه تجلت روح الإسلام لدى المسلمين الفاتحين، فدعا ابن أبي سرح القائد الروماني إلى إحدى ثلاث، أما الإسلام أو الجزية أو الحرب، وقد اختار جرجير الحرب[2]، وما علم انها ستدور عليه، والتقى الطرفان في موضع يعرف ((عقوبة)) أو ((بعقوبة))[3] وانتهت هذه المعركة بمقتل جرجير، وعقد المسلمون الصلح مع أهل تلك البلاد على ان يدفع هؤلاء ثلاثمائة قنطار(#) من الذهب كجزية سنوية للمسلمين، وان ما أخذه المسلمون قبل الفتح فهو لهم، وما أصابوه بعد الفتح فيرد لهم، وان يخرج المسلمون من بلادهم[4].

---

(#) يعرف هذا الجيش بجيش العبادلة وانما سمي بجيش العبادلة لكثرة من خرج فيه ممن اسمه عبد الله وكان ابرزهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهم. راجع النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب 677هـ - 733هـ نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الاهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1403هـ - 1983م، ج24 ص7 – 8. مؤنس، فتح العرب للمغرب ص81.

(#)(#) سبيطلة: مدينة عظيمة يسكنها الروم وفيها ملكهم جرجير، تقع على بعد سبعين ميلاً من موضع القيروان وتتصف باتساع مساحتها وكثر مياها وطيب هوائها وكثر بساتينها. راجع الحموي، معجم البلدان ج3 ص187. شيخ الربوة، نخبة الدهر ص238.

(1) سالم، المغرب الكبير ج2 ص12. السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، تاريخ المغرب العربي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل 1408هـ / 1988م، ص56.

(2) ابن الاثير، الكامل ج3 ص45. النويري، نهاية الارب ج24 ص12. ابن ابي دينار، المؤنس ص26

(3) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص344. النويري، نهاية الارب ج24 ص12.

(#) القنطار يساوي ثمانية الاف واربعمائة دينار. راجع قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص244.

(4) البلاذري، فتوح البلدان ص235. ابن الاثير، الكامل ج3 ص46. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص12.

كان من نتائج هذه المعركة، انهيار النفوذ البيزنطيني، وان بقى محتفظاً بشيء من قوته لكن ابن أبي سرح أثر العودة إلى مصر، وقد أطلت بعد ذلك الفتنة بوجهها القبيح، فلم تكن هناك غزوات في بلاد أفريقية بين المسلمين والروم باستثناء معركة ذات الصواري 34هـ[#][1]، وفيها ظهر المسلمون كقوة بحرية لا يمكن إغفالها أو إسقاطها من حسابات البيزنطيين.

**ولاية معاوية بن حديج السكوني عام 45 هـ.**

بعد وفاة عمرو بن العاص ﷺ عام 43هـ تولى أمر افريقية معاوية بن حديج السكوني[#] وكان هذا التعيين نظراً للخدمات الجليلة التي قام بها ومن ثم قابليته العسكرية وخبرته في هذه البلاد[2].

استمر ابن حديج في زحفه حتى وصل إلى قمونية أو تونية ودارت هناك معركة مع الروم كانت فيها الغلبة للمسلمين. وذكر ابن الحكم[3] ان هذه لم تكن الغزوة الأولى لهذا الوالي. غزا أفريقيا ثلاث غزوات كانت الأولى عام 34هـ والثانية عام 50هـ فالغزوة الأولى لم يذكرها أحد من المؤرخين. ويعد ابن حديج أول من فكر باتخاذ مقر ثابت

(1)# وانما سميت ذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص255 – 258. ابن الاثير، الكامل ج3 ص58. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص80، وموقع المعركة يقع غرب الاسكندرية بالقرب من مرسى مطروح حالياً. الصلابي، عثمان بن عفان ﷺ ص208–209.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4 ص288.

(2)# معاوية بن حديج بن جفنة بن قشيرة السكوني الكندي يكنى ابا عبد الرحمن له صحبة. راجع ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص51. الذهبي، سير اعلام النبلاء ج3 ص4

(2) الكندي، الولاة والقضاة، ص39 – 40.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص194. وأنظر أيضاً الصلابي، معاوية بن ابي سفيان شخصيته وعصره، ط1، دار المعرفة، بيروت – لبنان 1427هـ / 2006م، ص356.

للجيش الإسلامي فاختار موضعاً يعرف بالقرن أو جبل ممطور(#)(#)، ومع ذلك فإنه اثر الانسحاب نحو مصر بالرغم في حالة الضعف التي كان يمر بها الرومان[1].

**ولاية عقبة بن نافع سنة 50هـ وبداية الفتح المنظم للمغرب الأقصى.**

في الحقيقة ان الأعمال التي قام بها المسلمون في بلاد أفريقية والمغرب لم تكن سوى غزوات طويلة يقوم بها المسلمون ثم يعودون إلى قاعدتهم في مصر، ولو بقي الأمر كذلك لما فتحت بلاد المغرب[2]. وكان سبب اختيار عقبة بن نافع لهذه المهمة للفترة الزمنية الطويلة التي قضاها في تلك البلاد، كما ان حنكته وخبرته العسكرية في حروب الروم والبربر اهلته لهذا المنصب[3] ويعد عقبة بن نافع اللبنة الاساسية في فتح بلاد المغرب.

ابتدأ عقبة بن نافع حملته بان قاتل قبائل لواته(#)(#) التي أسلمت ثم ارتدت عن الإسلام وافتتح كورا من كور السودان[4]. وكان سبب انتصاراته هي معرفته سبب

---

(1)#)(#) جبل ممطور جاءت هذه التسمية من مطر غزير اصاب معسكر المسلمين في هذه المنطقة فقال ابن حديج (( ان جبلنا هذا لممطور)) فسمي من ذلك الحين بهذا الاسم، ويقع هذا الجبل بالقرب من قمونية. راجع المالكي، رياض النفوس ج1 ص18. ابن الاثير، اسد الغابة مج3 ص221.

1 مؤنس، فتح الغرب للمغرب ص127.

(2) مؤنس، فتح العرب للمغرب ص130. عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، ط2 مكتبة المنار – تونس 1972، ق1 ص43.

(3) ذنون، عبد الواحد ذنون ، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والاندلس، دار الرشيد للنشر 1982 ص119.

(#)(#) لواته: من اشهر قبائل البربر التي كانت في ايام الفتح الإسلامي تسكن برقة وهي من اكبر بطون البربر البتر، وينسب هؤلاء إلى لو الاصغر ابن لو الاكبر، وعند الجمع صارت لوات. راجع ابن حزم، جمهرة انساب العرب ص 498.

(4) البلاذري، فتوح البلدان ص230. ابن الاثير، الكامل ج3 ص465.ابن الابار، الحلة السيراء ج2 ص323. النويري، نهاية الارب ج24 ص22. الجمل، شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، ط2، المكتب المصري للتوزيع 1997 ص7.

إخفاق من سبقه من الولاة. وقد ذكر النويري[1] انه خطب في الناس قائلاً((ان أفريقية إذا دخلها إمام تحرموا بالإسلام فإذا خرج منها رجع من كان اسلم منهم وارتد إلى الكفر، وأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة لجعل بها عسكراً وتكون عز الإسلام إلى آخر الدهر)) وقصته في بناء مدينة القيروان معروفة.

ولم يكن الجانب العسكري هو الأهم في بناء مدينة القيروان وانما كان نشر الدين الإسلامي هو الغاية الأسما للمسلمين الأوائل، وقد لخص ابن الأثير[2] ذلك بقوله((ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت واتسمت خطة المسلمين، وقويت من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأخوا واطمأنوا فثبت الإسلام فيها)).وبدأ عقبة بن نافع بإرسال الجيوش إلى مختلف الاتجاهات، فجلبوا الغنائم واخذوا الجزية، ودخل قسم منهم في الإسلام[3].

## ولاية أبو المهاجر دينار سنة 55 هـ/ 675م

عين أبا المهاجر دينار عام 55هـ وهو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري[#] ت 62هـ الذي لعب دوراً في توليته هذا المنصب[4].

(1) النويري، نهاية الارب ج24 ص22.

(2) الكامل ج3 ص466.

(3) ذنون، الفتح والاستقرار ص122.

(4) (#) مسلمة بن مخلد بن صامت بن تيار بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعده بن كعب بن الخزرج بن حارثة الصحابي الانصاري أول من جمعت له مصر والمغرب ت سنة 62هـ. الكندي، الولاة والقضاة ص32. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص132. القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص117.

لعل ابرز الأعمال التي قام بها أبا المهاجر هي تحريره لبلاد المغرب الأوسط، بعد سلسلة من المعارك، وكان الأهم في ذلك هو قتاله الروم في قرطاجنه(#)(#)، واستمر في قتاله حتى عقدوا معه الصلح[1]. ولم تذكر لنا المصادر طبيعة ذلك الصلح.

ومن الأمور التي تحسب له هي نجاحه في تفكيك التحالف البربري الرومي، وذلك بكسبه زعماء قبائل البربر إلى جانبه، وقد استخدم سياسة اللين معهم وهذا ما فعله مع كسيله بن لمزم زعيم قبيلة اوربة كما انه صالح عجم افريقية[2]، وربما كان المقصود بهم اليهود والنصارى من أهل تلك البلاد، وربما يكون هؤلاء عبدة الأوثان، وهذه تحتاج إلى وقفة بسيطة، فعلى ماذا صالح أهل هذه البلاد ؟ غير الجزية خصوصاً وان شروط عقد الذمة والجزية توضع بعد موافقة أهل الذمة على دفعهم للجزية.

**ولاية عقبة بن نافع الثانية 62هـ / 681م وفتحه لبلاد المغرب الأقصى**

استمرت ولاية أبا المهاجر لسبع سنوات 55 – 62هـ، لكن الأمور تغيرت بموت الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ 60هـ ومن ثم موت مسلمة بن مخلد الأنصاري ﷺ 62هـ الذي كان سبباً في تولية أبا المهاجر أمر أفريقيا، وبهذا يكون قد فقد الشخص الذي كان يدعمه في ولايته، وقرار العزل وان لم يتم في أول خلافة يزيد بن معاوية ت 64هـ كونه كان منشغلاً بأمر الخلافة[3] وخاصة رفض الإمام الحسين بن علي ﷺ ت61هـ ومبايعته

(#)(#) قرطاجنه: بالفتح ثم السكون، مدينة قديمة كان اسمها قرطا واضيف اليها جنة، ولطيبها ونزهتها فصارت قرطاجنه، طولها اربع وثلاثون درجة وعرضها خمسة وثلاثون درجة وكانت بها العصور العظام أسوارها من الرخام الابيض. راجع الحموي، معجم البلدان مج4 ص323.

(1) خليفة، ابو عمرو خليفة بن الخياط العصفوري ت 240هـ / 804م، تاريخ خليفة، تحقيق وتصحيح اكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الاداب – بغداد 1967م، ج1 ص196، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص152، مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص173.

(2) الدباغ، معالم الايمان ج1 ص46.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج5 ص400، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص132.

ومن ثم خروجه من الحجاز إلى العراق لتصحيح المسار الذي انتهجته السلطة الأموية مما أدى الأمر إلى استشاده في كربلاء عام 61هـ[1].

يعد عقبة بن نافع هو الفاتح الحقيقي لبلاد المغرب الأقصى، فبعد ان أعيد توليته لولايته ثانية، سار مسرعاً وحث الخطى في الوصول إلى بلاد المغرب يصحبه جيش كبير فيهم عدد من الصحابة[2]، وكان عقبة بن نافع يحمل ثأراً لأبي المهاجر يجب الأخذ به.

عند وصوله إلى بلاد المغرب عرفه أبا المهاجر بحال كسيله وانه حديث عهد بالإسلام إلا انه تجاهل الأمر ولم يهتم به، وقد أساء معاملته[3]، وما ذنبه إلا انه صاحب أبي المهاجر، ووضع أبا المهاجر في السجن ومن ثم اصطحبه معه في فتوحاته وهو مكبل اليدين[4]، حيث انه أراد ان يتحرك بسرعة لملاقات البربر، وترك جيشاً في القيروان[5]، وجعل عليه زهير بن قيس البلوي[6].

وفي رواية عمر بن علي القريشي[7]، لاقى عقبة بن نافع البربر في مدينة باغية[#] فهزمهم، واستمر في توجهه غرباً لا يقف بوجهه شيء وقد التجأ الروم والبربر إلى القلاع وقد أصاب منهم غنائم كثيرة[8].

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص265. الجمل، المغرب العربي ص7.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص265. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص27.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص29. السلاوي، الاستقصا ج1 ص83.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص189. الدباغ، معالم الايمان ج1 ص43.

(5) ابن الابار، الحلة السيراء ج2 ص329.

(6) خليفة، تاريخ خليفة ج1ص245. ابن الاثير،الكامل ج4 ص105. النويري، نهاية الارب ج24 ص26

(7) الرقيق القيرواني، أبو اسحق ابراهيم ت417هـ / 1026م تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، مطبعة الوسط - تونس 1967 ص46.

(#) باغايه: مدينة كبيرة تقع في اقصى بلاد افريقية تقع بين مجانة وقسنطينة. راجع الحموي، معجم البلدان مج1 ص235.

(8) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص41. فروخ، العرب والإسلام ص65.

كانت لتحركات عقبة السريعة أثرها الكبير لدى الروم والبربر، فقد أربكت خطوط دفاعهم فقرر قسماً من البربر الانسحاب خوفاً من الهزيمة[1] وهذا ماسهل الأمر على المسلمين من الوصول إلى طنجة وهناك التقى بيلبان أو جوليان[2]، وهنا نقف عند هذه الشخصية المثيرة للجدل، فمنهم من قال انه ملك[3]، وهناك رأي يقول انه عامل القوط في هذه المنطقة[4] وثمة رأي يقول انه من بربر غماره يعتنق النصرانية[5] أما ابن الأثير[6] فذهب إلى انه بطريق من الروم يدعى يلبان، وقيل انه كان نبيلاً[7]، وهذا ما صعب الأمور، لكن عند مجيء عبد الله بن أبي سرح ﷺ وقاتله جرجير. وذكرت المصادر انه ملك وان سلطانه يمتد من طرابلس إلى طنجة[8] ، فإذا كان سلطانه يمتد كما ذكرت المصادر فأين يكون ملك يليان. وإذا أخذنا بالرأي الذي يقول انه كان ملكاً فليس من المعقول ان يكون بلا جيش يدافع به عن نفسه وملكه، وأما القول بأنه من قبائل غماره البربرية أو زعيمها فلن تقف هذه القبائل مكتوفة الأيدي لنصرة زعيمها، ثم إذا كان بطريقاً من الروم لما توانا عن طلب النجدة من الروم، وقد ذكر د. حسين مؤنس[9] بانه ليس رومي ولا بربري وانما هو رجل من القوط معين من قبل ملكهم في اسبانيا، ولكن

(1) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص138 – 139.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والاندلس ص71. النويري، نهاية الارب ص27.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص88، ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص25.

(4) فروخ، العرب والإسلام ص66.

(5) ابن خلدون، العبر ج4 ص399. السلاوي، الاستقصا ج1 ص181 – 182. دبوز، تاريخ المغرب ج2 ص44.

(6) ابن الأثير، الكامل ج3 ص308–309.

(7) جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية ج2 ص20.

(8) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص246، البلاذري، فتوح البلدان ص235.

(9) فتح العرب للمغرب ص197.

حتى هذا الرأي لا يخلو من شك، فلماذا لم يستعن بملك القوط في اسبانيا خصوصاً وان المسافة قريبة جداً بينهم.

هناك أمر آخر يسترعي التساؤل والتوقف عنده، هل ان يليان أو جوليان الذي التقاه عقبة بن نافع في طنجة هو نفسه الذي التقاه موسى بن نصير ت97هـ وطارق بن زياد بعد ثلاثين عاماً؟ فقد ذكر ابن القوطية[1] ان يليان الذي التقاه المسلمون بقيادة موسى بن نصير هو تاجر من العجم، ومنهم من قال ان يليان هو حاكم سبته المسيحي[2]، وكانت له قوة وبأس، وذهب محمود شيت خطاب[3] إلى انه قائد عسكري، وذكر د. حسين مؤنس[4]، ان حاكم طنجة يلقب بيليان كما هو الحال بالنسبة لملوك فارس حيث لقبوا بكسرى، ومصر بالمقوقس والروم بهرقل، وكذا الحال بالنسبة لحاكم طنجة، وهذا دأب العرب في تسمية ملوك العجم.

الأمر المهم الآخر هو نزول يليان على حكم عقبة، يلزم المسلمين الذين أتوا من بعده، فليس هناك مبرر لعقد صلح جديد ما لم ينقضه الطرف المقابل، فعلى هذا فليس بالضرورة ان يكون هو نفسه[5]، وهناك من قال بأنه نفس الشخص[6].

لم يكن اللقاء الذي تم بين عقبة بن نافع وبين حاكم طنجة عادياً، فهو أول حاكم في بلاد المغرب الأقصى يقبل بدفع الجزية للمسلمين ويتجنب الحرب، حيث أثقله هذا

---

(1) تاريخ افتتاح الاندلس ص33 – 34.

(2) مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحرب الواقعة بينها وبينهم، طبع في مدينة مجريط بمطبعة ربنذير 1867م ص4. ذنون، الفتح والاستقرار ص142.

(3) خطاب، قادة فتوح المغرب العربي ج1 ص101 – 102.

(4) فتح العرب للمغرب ص193 – 194.

(5) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص194.

(6) ابن ابي دينار المؤنس ص30.

بالهدايا الثمينة وقبل بالنزول على حكم عقبة[1] مقابل الاحتفاظ بمنصبه، وهو متأكد ان الحكم سوف يكون عادلاً وبعيداً عن التعسف والظلم، وهو ما يضمن مصالحهم، ويحفظ حقوقهم، ويبدو ان عدل المسلمين وتسامحهم مع أهل الذمة وغيرهم قد وصل إلى تلك البلاد قبل وصول الجيش الإسلامي، الأمر المهم الثاني في هذا اللقاء هو أخذ عقبة بن نافع بنصيحة بيليان بشأن البربر فدله على مواطن ضعفهم، وقد استفاد عقبة بن نافع من هذه النصيحة بان استطاع القضاء على مقاومة البربر[2]، وقد استمر في تقدمه حتى وصوله إلى مدينة درعه[#][3] وقد ذهب محمد عزه دروزه[4] ان الذي عقد الصلح مع بيليان هو أبا المهاجر بعد ان اقتتل الطرفان.

كما أسلفنا سابقاً من إساءة عقبة بن نافع معاملة كسيلة ويبدو انه أظمرها له حتى استطاع تجميع البربر ضده، كما يبدو أيضاً انه ارتد عن الإسلام[5]، وفي اثناء عودة عقبة إلى القيروان قام بإرسال اغلب الجيش إلى القيروان ولم يبق معه إلا نفر قليل من الرجال،

---

(1) ابن الاثير، الكامل ج3 ص308، لقبال، المغرب الإسلامي ص141. جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية ج2 ص20.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص26 – 27. النويري، نهاية الارب ج4 ص27.

(#) درعه: مدينة في جنوب المغرب الاقصى تمتاز بخصوبتها ويخترقها نهر طويل، كانت محطة تجار في العصور الإسلامية. راجع البكري، المغرب ص155 – 156. ابن خرداذبه، المسالك والممالك ص88 القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص165.

(3) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص39.

(4) ولم يشر إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة. راجع دروزه، تاريخ العرب في الإسلام ص224.

(5) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص45، سالم، المغرب الكبير ج2 ص227.

(#)(#) تهودة: ارض لقبيلة من عرب المغرب هم تهودا وهي من بلاد الزاب قرب بسكرة. راجع الحموي، معجم البلدان مج2 ص64. مجهول، الاستبصار ص174. الحميري، الروض المعطار ص142.

فاستغل كسيله هذه الفرصة فالتقى الطرفان الغير متكافئان قرب تهودة(#)(#) فكان استشهاد عقبة وصحبه بمن فيهم أبا المهاجر الذي اصطحبه معه في فتوحاته[1].

مؤنس، حسين: اطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للعلام العربي – القاهرة، 1407هـ 1987م ص130. خارطة 66.

**ولاية زهير بن قيس البلوي 69هـ / 688م.**

كان لمقتل عقبة بن نافع الأثر البالغ في نفوس المسلمين، فقد كان له دوراً كبيراً خصوصاً بعد زحف كسيلة وجنوده لحو القيروان((فانقلبت افريقية ناراً وعظم البلاء على المسلمين))[2] فلم يبق في هذه المدينة من المسلمين إلا ذوي الأثقال والعجزة من الناس بعد انسحاب المسلمين منها لحو برقة[3].

عندما تولى عبد الملك بن مروان ت 86هـ استمر في سياسة توطيد الأمور فاخذ يعد العدة لاستعادة السلطة العربية على بلاد المغرب وتخليص القيروان فكان اختياره لزهير بن قيس البلوي عام 67هـ[4] وقيل 69هـ[5]، وقد تولى زهير بن قيس عدد من المناصب كان آخرها نائباً لعقبة بن نافع على مدينة القيروان[6]، فضلاً عن كونه من

---

(1) المالكي، رياض النفوس ج1 ص27. ابن خلدون، العبر ج4 ص186. السلاوي، الاستقصا ج1 ص84. الجنحاني، القيروان ص38.

(2) المالكي، رياض النفوس ج1 ص28. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص31.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص200. الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص46. النويري، نهاية الارب ج24 ص32.

(4) القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص117.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص30. سالم، تاريخ الغرب في العصر الإسلامي ص148 . ذنون، الفتح والاستقرار ص131.

(6) المالكي، رياض النفوس ج1 ص55.

العابدين الزاهدين[1] فقد انيطت اليه مهمة القضاء على كسيلة[2]. وتوجه زهير إلى ظاهر مدينة القيروان وتجنب دخولها، واستطاع المسلمون فتح بلاد المغرب مرة أخرى[3]، وكان كسيلة قد تحصن في مدينة ميمس أو ممس[#] من اجل لقاء المسلمين هناك،وقد رافقه إلى بلاد الغرب جيش كبير، وقد يكون هذا الجيش من مصر وذلك لانشغال الخلافة بأمر ابن الزبير[4]، وأبدى المسلمون بسالة فائقة في القتال واستطاعوا القضاء على كسيلة ودخلوا عدداً من المدن[5] مثل مدينة وليلي[#] وباجه[#][#] وغيرها من المدن.

(1) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص52. المالكي، رياض النفوس ج1 ص29. الدباغ، معالم الايمان ج1 ص57.

(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص52. المالكي، رياض النفوس ج1 ص53 . ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص31.

(3) المالكي، رياض النفوس ج1 ص53. النويري، نهاية الارب ج24 ص33. سالم، المغرب الكبير ج2 ص339.

(#) ميمس: قرية عامرة اهله بالسكان طيبة الثمار فيها عدد من الآبار. راجع البكري، المغرب ص146.

(4) سالم، المغرب الكبير ج2 ص234.

(5) ابن خلدون، العبر ج6 ص147. السلاوي، الاستقصا ج1 ص91.

(#) وليلي: مدينة قديمة تقع على سفح جبل زرهون ويسميها المغاربة قصر فرعون، كانت تسكنها قبائل اوربة والتي اوت ادريس بن عبد الله راجع البكري، المغرب ص114-115 . الحموي، معجم البلدان مج4 ص941.

(#)(#) باجه: مدينة قديمة مشهورة بأثارها الكثيرة وهي مشهورة ايضاً بزراعة الحبوب وبعض الغلال الأخرى راجع مجهول، الاستبصار ص160. القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص105.

تعد معركة ميمس من المعارك المهمة في بلاد المغرب فقد أخمدت مقاومة البربر ولو مؤقتاً وخضدت شوكة الروم[1]، لكن اللافت للنظر عدم بقاء كسيلة في القيروان لملاقاة المسلمين وفضل الانسحاب منها وربما كانت هناك أسباب منها:

1- وجود أعداد كبيرة من المسلمين في مدينة القيروان كانوا يشكلون قوة لا بأس بها، وهذا مما يشكل خطر على جيشه في حالة قيام المعركة[2].

2- توفير المياه اللازمة للجيش خصوصاً وان قواته كانت كثيرة العدد[3].

3- ان الموضع الذي اختاره كسيله يسهل له عملية الكر والفر والمناورات في حالة تعرضه للهزيمة[4].

4- ان البربر كانوا يجيدون القتال في المناطق المفتوحة أكثر من غيرها[5].

لم يبق زهير بن قيس طويلاً في بلاد المغرب، وذلك خوفاً من زينة الدنيا وبهرجها[6]. ويبدو هذا غريباً لأن أرض المغرب هي أرض المرابطة والجهاد، وربما يعود السبب في ذلك ازدياد الضغط الروماني على برقة وسواحل أفريقية بسبب عدم وجود أسطول عربي فيها، أو قد يكون السبب في ان مهمته قد انتهت باسترداد القيروان وقتل

---

(1) يقول الرقيق القيرواني: ففي تلك الواقعة هلك رجال الروم والمشركين من البربر وفرسانهم وأشرافهم. راجع الرقيق، تاريخ أفريقية والمغرب ص52. السلاوي، الاستقصا ج1 ص91.

(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص46. ابن الاثير، الكامل ج4 ص108. الدباغ، معالم الايمان ج1 ص55.

(3) سالم، المغرب الكبير ج2 ص239.

(4) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص50.

(5) سالم، المغرب الكبير ج2 ص239.

(6) المالكي، رياض النفوس ج1 ص30. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص32. النويري، نهاية الارب ج24 ص33.

كسيله[1]، وكانت نهايته الأليمة في أثناء عودته نحو المشرق في برقة عام 71هـ[2]. وقيل إنها كانت 69 هـ[3].

### ولاية حسان بن النعمان الغساني 74 – 85 هـ

بعد مقتل زهير بن قيس البلوي، ارتأت الخلافة تولية حسان بن النعمان الغساني والياً على المغرب، ويعد أول والي يلي أمر أفريقية والمغرب من أهل الشام[4] ويرى محمد عزه دروزه[5] انه تولى أمر أفريقيا زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة 57هـ.

رافق حسان بن نعمان جيش كثيف[6]، وكانت ستراتيجيته تتمحور في القضاء على عاصمة الروم في بلاد المغرب، وهي قرطاجنه، وكان بها عدد كبير من الروم، فاستطاع دخولها بعد ان قتل منهم الكثير، ومن ثم أمر بهدمها بعد ان تجمع الروم فيها[7]، بعد الانتصار الكبير الذي حققه في بلاد المغرب وقضاؤه على أحلام الرومان في العودة إلى تلك البلاد.

---

(1) سالم، المغرب الكبير ج2 ص237.

(2) ذنون، الفتح والاستقرار ص132.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى ج5 ص117. الذهبي، تاريخ الإسلام ص404. الجنحاني، القيروان عبر العصور ص39. الذهبي، تاريخ الإسلام ص404.

(4) المالكي، رياض النفوس ج1 ص31. الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص70.

(5) ولم يذكر دروزه المصدر الذي اخذ عنه، تاريخ العرب ص224.

(6) المالكي، رياض النفوس ج1 ص34. الجمل، المغرب الكبير ص9.

(7) المالكي، رياض النفوس ج1 ص35. ابن الاثير، الكامل ج4 ص31–32. ابن الابار، الحلة السيراء ج2 ص331. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص35. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص157. فروخ، العرب والإسلام ص69 – 72. دروزه، تاريخ الإسلام ص225 – 226. الجنحاني القيروان ص41.

اصطدم حسان بعقبة جديدة قد عكرت صفوة الانتصار، فقد عادت مقاومة البربر ولكن هذه المرة على يد امرأة تعرف بالكاهنة[1]، كما عرفت أيضاً بالمتنبئة لأنها تعرف الغيب[2] كما يدعون.

كما هو متعارف فقد اختلف المؤرخون في اسمها، فقال قسم منهم انها دامية بنت تيفان[3]، وقيل دهيا بنت ماتية تيفان[4]، وذكر آخرون ان اسمها داهيا بنت ماتيابن تيفان[5]، وأطلق عليها البعض دهيا بنت ثابت بن تيفان[6]، وكانت من قبيلة جراوه البربرية، التي كانت تعتنق اليهودية[7]. وقيل انها كانت على الوثنية، وتشير بعض المصادر إلى انها كانت تحتفظ بصنم كبير مصنوع من الخشب يرافقها أينما تحل[8]، وكانت متزوجة من رجل مسيحي ومن ثم اخر بربري[9] وقد عاشت ما يقرب من مائة وسبعة وعشرين عاماً،

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص200، المالكي، رياض النفوس ج1 ص32. ابن الاثير، الكامل ج4 ص320. ابن خلدون، العبر ج6 ص106. النويري، نهاية الارب ج24 ص32.

(2) بلياييف، العرب والإسلام ص236. جوليان، تاريخ افريقيا ج2 ص25.

(3) ابن ابي دينار، المؤنس ص34.

(4) ابن خلدون، العبر ج6 ص208، عبد محمد، في تاريخ المغرب ص21.

(5) دبوز ، تاريخ المغرب ج2 ص73.

(6) الجمل، المغرب العربي ص9. الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، بيروت – لبنان، 1965 ص93.

(7) البكري، المغرب ص144. ابن خلدون، العبر ج6 ص214. السلاوي، الاستقصا ج1 ص93.

(8) الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص65. الحميري، الروض المعطار ص66. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص62.

(9) ذنون، الفتح والاستقرار ص134. دبوز، تاريخ المغرب ج2 ص74، الجيلالي، تاريخ الجزائر ص197.

وحكمت البلاد خمساً وثلاثين عاماً[1] وقد نسب كسيله بن لمزم اليها وأطلقوا عليه ابن الكاهنة[2].

في بداية المعارك التي نشبت بين الطرفين كانت الغلبة فيها للكاهنة، والتي أجبرت الجيوش الإسلامية على الانسحاب من بلاد المغرب وأسرت جماعة من أصحاب حسان، إلا انها أطلقت سراحهم وأبقت واحداً[3]، ولم تحاول دخول مدينة القيروان، وفي هذه الفترة استخدمت الكاهنة سياسة الأرض المحروقة، لكن هذا الأمر عجل في نهايتها، إذ ان ذلك العمل اسخط عليها النصارى والأفارقة[4]، وجعلهم يستجيرون بالمسلمين لتخليصهم من الكاهنة[5] وفي هذا دلالة على ان النصارى كانوا يعيشون تحت امرتهم، أو أنهم من نصارى البربر كما إن توجههم إلى المسلمين نابع من إيمانهم بعدالة المسلمين وعدم ظلمهم لأحد.

بعد الهزيمة التي لحقت بالمسلمين آثر حسان بن النعمان الانسحاب والانتظار فترة من الزمن في منطقة عرفت فيما بعد بقصور حسان[6]، وقد عدها البعض إنها الحملة الثانية[7] لحسان، وقد ذكر ابن عذاري[8] ان قسماً من البربر قد انظموا إلى جيش حسان

(1) ابن خلدون، العبر ج6 ص17.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص198 – 199.

(3) الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص64. ابن خلدون، العبر ج6 ص17. ابن ابي دينار، المؤنس ص34. الجيلالي، تاريخ الجزائر ص197. دروزه، تاريخ العرب ص226. عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب ص21.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس ص63، ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص35. ابن ابي دينار، المؤنس ص21. سالم، المغرب الكبير ج2 ص245. ذنون، الفتح والاستقرار ص135. بلياييف، العرب والإسلام ص338.

(5) النويري، نهاية الآرب ج24 ص37.

(6) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص76، ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص36.

(7) سالم، تاريخ المغرب ج2 ص249.

(8) البيان المغرب ج1 ص38، وذكر المالكي انهم من البتر، المالكي، رياض النفوس ج1 ص36.

بعد ان استأمنوا اليه، فلم يعطهم الأمان إلا بعد ان قبض منهم الرهان، وان ينظم إليه اثنا عشر إلف رجل يقاتلون معه، وهذا يؤكد على عدم ثقته بالبربر بعد ان قاتلوه أول الأمر.

ما ان تواردت الأنباء عن حجم الإمدادات التي وصلت للمسلمين من اجل إكمال الفتح حتى سارعت الكاهنة إلى الانسحاب نحو جبال الاوراس[1]، ودارت هناك معارك كبيرة كانت الغلبة فيها للمسلمين، وقد تمكن حسان من قتلها واحتزاز رأسها في منطقة بئر الكاهنة[2] وبذا يكون حسان قد قضى على آخر معقل للمقاومة في بلاد المغرب، ومن ثم عاد إلى فتح مدينة قرطاجنه بعد عودة الرومان اليها، بعد هزيمته أمام الكاهنة أول الأمر[3] وأثناء عودته إلى بلاد الشام اعترضه عبد العزيز بن مروان واخذ ما معه من أموال وغنائم والتي كان يحملها للخليفة في دمشق وكان هذا مما اسخط حسان ورفض العمل مع بني امية[4].

**ولاية موسى بن نصير 85 هـ / 704م**

من الأمور الغامضة التي رافقت موسى بن نصير ت97هـ[#] وسيرته هي عدم معرفة صحة نسبه وكل ما عرف هو أن والده من سبي عين التمر في العراق، فقد يكون

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص201، الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص61 – 64. المالكي، رياض النفوس ج1 ص350 – 36. ابن الاثير، الكامل ج4 ص371 – 372. الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص65 – 67. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص37 – 38. النويري، نهاية الأرب ج24 ص37. ابن خلدون، العبر ج4 ص401. ابن ابي دينار، المؤنس ص35.

(2) البكري، المغرب ص37 – 38. المالكي، رياض النفوس ج1 ص37.

(3) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص64. ابن خلدون، العبر ج6 ص110.

(4) خليفة، تاريخ خليفة ج1 ص416. ابن الابار، الحلة السيراء ج2 ص332. النويري، نهاية الأرب ج24 ص38. الجنحاني، القيروان ص42.

من قبائل بكر التي ترجع إلى قبائل ربيعة العدنانية[1] وذكر ابن عذاري[2] انه من لخم، فيما ذكر ابن بطوطة[3] انه من وادي القرى من الحجاز، وقد روى الحديث عن الصحابي تميم الداري(#) [4]ﷺ.

وكما كان الاختلاف في نسبه كان هناك اختلاف في سنة توليه أمر افريقية والمغرب فهناك من جعلها عام 77هـ[5] ومنهم من يجعلها عام 88 هـ[6] وقسم يذهب إلى انها كانت سنة 89 هـ[7] الأول غير وارد لأن حسان بن النعمان عزل من الولاية سنة 85هـ.

---

(#) موسى بن نصير ابو عبد الرحمن اهله من وادي القرى في الحجاز، ت 97هـ. ابن بطوطة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: تحفة الناظر في غرائب الابصار وعجائب الاسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية 1417هـ - 1997م مج4 ص217.

(1) دنيا، موسى بن نصير حياته وعصره ص97. العدوي، ابراهيم احمد، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، دار الكتاب العربي 1967 ص13.

(2) البيان المغرب ج1 ص35، وقيل انه لخمي بالولاء وهو من التابعين. راجع ابن خلكان، وفيات الاعيان ج5 ص319.

(3) تحفة الناظر مج4 ص217.

(#) تميم الداري هو تميم بن اوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار بن هاني بن حبيب بن نمازه بن لخم بن عدي ينسب إلى الدار وهو بطن من لخم يكنى ابا رقية بابنة له تسمى رقية لم يولد له غيرها، كان نصرانياً وكان اسلامه سنة تسع من الهجرة وكان يسكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ سنة 35هـ. ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد ت463هـ تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1412هـ ج1 ص193.

(4) المقري، نفح الطيب ج1 ص267. ابن ابي دينار، المؤنس ص37.

(5) ابن الاثير، الكامل ج4 ص54.

(6) المقري، نفح الطيب ج1 ص25.

(7) النويري، نهاية الأرب ج24 ص39.

رافق موسى بن نصير جيشاً كبيراً أمده به والي مصر، وعند وصوله إلى بلاد المغرب عبأ جيشه من جديد، حيث أناط إلى طارق بن زياد قسماً من الجيش، وقسماً آخر انيطت قيادته إلى أبنائه، وقام موسى بقتال البربر حتى استطاع من فتح زغوان(#) وبقي يقاتلهم حتى اجزلوا له واسترهن أبنائهم[1]، وقد تعامل مع القبائل التي رفضت الإسلام بقوة، وأرسل قائده عياش بن أخيل إلى قتال قبائل هوارة وزناتة فسبى منهم وقتل منهم الكثير وأرغمهم على الصلح[2]، واستمر طارق بن زياد في فتوحاته حتى وصل إلى طنجة التي استعصت عليه ولكنه فتحها عنوة واسلم أهلها وكذلك استعصت سبته على موسى بن نصير بسبب تدبير صاحبها الداهية يليان النصراني حتى وقع بينهما الصلح[3].

عمل موسى بن نصير بعد استكماله للفتح على نشر الإسلام في بلاد المغرب حيث ابتنى عدد من المساجد وأرسل الدعاة إلى المناطق البعيدة لتعليم الناس الإسلام، وهكذا تم للمسلمين ما سعوا لاستكماله سنوات طويلة، إلا ان إسراف موسى بن نصير في استخدامه للقوة ضد البربر أدى إلى حقد البربر على العرب حتى تأصل في نفوسهم وهذا مما أدى إلى تقبلهم للأفكار الصفرية والخارجية[4].

مؤنس: اطلس تاريخ الإسلام، ص131، خارطة 67

## ثانياً: معاملة الفاتحين لأهل الذمة في المغرب الأقصى

ان النظرية السياسية للدول الإسلامية، لم تضع عقبات أمام رعاياها من غير المسلمين، وعلى مختلف الجوانب سواء كان ذلك في الحياة الاجتماعية من عبادة وعادات

---

(1)(#) زغوان: جبل بافريقية بالقرب من تونس وهو جبل كبير يرى من مسيرة ايام تكثر فيه القرى الاهله وتكثر فيه المياه والثمار. الحموي، معجم البلدان مج3 ص394.

ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص41. سالم، المغرب الكبير ج2 ص254 – 255.

(2) سالم، المغرب الكبير ج2 ص254.

(3) المقري، نفح الطيب ج1 ص214 – 215.

(4) مؤنس، فجر الأندلس ص47 وما يليها. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص174.

وغيرها، ويقع عبأ المحافظة على أسلوب الحياة في الدولة الإسلامية الممثلة بالخلافة على الولاة والعمال، وعموماً فقد حددت العلاقة بين المسلمين الفاتحين للبلاد وأهل الذمة في ظل تعاليم الإسلام التي اتسمت بالتسامح والتعايش مع الأديان الأخرى.

ومما يحز في النفس ويعقد مهمة الباحث ويصعبها، هي سكوت المصادر العربية التي دونت الأحداث التاريخية والفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب العربي عموماً والمغرب الأقصى خصوصاً عن ذكر طبيعة العلاقات القائمة بين المسلمين وبين أهل الأديان الأخرى، وهو عكس ما حدث في تدوين الأحداث، وتعامل الفاتحين مع أهل البلاد وأهل الذمة في بلاد الشام والعراق، حيث ان المصادر لم تشير إلى المعاهدات والاتفاقات التي عقدت بين المسلمين وبين أهل البلاد المفتوحة إلا من طرف خفي مثل ورود بعض الألفاظ مثل استأمن وأمنهم ونزل على حكمه وغيرها من الألفاظ التي تشير إلى الأمان والعهد، إلا انها لم تذكر تفاصيل تلك الاتفاقات.

عمل عمرو بن العاص ﷺ ت 43هـ إلى استدعاء كبير القبط في مصر من الصحراء حيث كان يختبئ من الرومان، بسبب الخلاف المذهبي بينهما[1]، وقد أعطاه جزءاً من غنائم الجيش حتى يصلح بها حاله[2]، كما أمر الأقباط بجباية الأموال من طوائفهم[3]، وقد بلغ مقدار الجزية أربعون درهماً أو أربعة دنانير على أهل الذهب[4]، وعمل أيضاً على تعيين قاضي قبطي لكل إقليم لفض النزاع بين أهل ملتهم لأنهم اعرف بحالهم من المسلمين[5]. وهو أمر جائز في الشريعة لكون الإسلام غير منزل عليهم، فهم غير ملزمين بالأخذ به، لكنهم في الوقت نفسه كانوا يتقاضون عند قضاة المسلمين إذا ما وجدوا ظلماً

(1) قاسم، اليهود في مصر ص5.
(2) ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص44.
(3) الصلابي، عمر بن الخطاب ص390.
(4) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص338. الرفاعي، النظم الإسلامية ص116 – 117.
(5) ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص191.

من قضاتهم، وهذا الأسلوب من التعامل الذي استخدمه عمرو بن العاص ﷺ يدلل على عظيم الإيمان الذي كان يتمتع به المسلمون، وان نشر الإسلام هو غايتهم الاسما.

من المعروف ان المسلمين لم يعملوا بازدواجية المواقف أي ان نظرتهم واحدة لكل الشعوب والأديان، فلم يكن هناك فرق بين نصراني أو يهودي، وان اختلف المكان، فعند فتح عمرو بن العاص ﷺ برقة صالح أهلها على الجزية مقابل الأمان[1]، وقد بلغت ديناراً على كل حالم، وقد اعفى منها النساء والأطفال والشيوخ والعجزة ومن على شاكلتهم، وقد خيرهم في بيع أبنائهم أو نساءهم إذا أرادوا هم ذلك[2]، و ذكر البلاذري[3] ان عمرو بن العاص ﷺ قد كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ت23هـ يعلمه انه وجه عقبة بن نافع إلى بلاد المغرب وقد أدى مسلمهم الصدقة، واقر معاهدهم على الجزية، وقد وضع عليهم ما رأى انهم يطيقونه. وفي هذا دليل قاطع على ان الفاتحين الأوائل عملوا على تطبيق مبادئ الإسلام ونهجه في الرحمة والتراحم والعدل والمساواة بين البشر وان اختلفوا في الدين والعقيدة، وقد طبق المسلمون في بلاد المغرب النظم المالية نفسها، فيما يخص الجزية وغيرها بنفس الطريقة والأسلوب الذي استخدمه أهل المشرق مع فارق بسيط بسبب اختلاف العادات والتقاليد، كما ان التعامل في بلاد الغرب كان بالسكة الرومية التي ضربت أيام جرجير، وبقي التعامل بها إلى حين قيام الدولة الأموية بتعريب الدواوين وتوحيد السكة[4].

ان الجزية عند المسلمين تحدد بعاملين أساسين هما الحالة المعيشية والمالية للفرد، حيث يتم بموجبها تحديد المبلغ الذي سيدفعه الذمي، والأمر الأخر هو الحالة الاقتصادية للإقليم أو الولاية التي يقطنها الذمي، فلا يقاس إقليم غني فيه زراعة

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص8.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص229. البلاذري، فتوح البلدان ص231. ابن الاثير، الكامل ج3 ص12-13.

(3) فتوح البلدان ص233.

(4) لقبال، المغرب الإسلامي ص138 – 139.

وتجارة بإقليم فقير[1]. وهذه من الأمور التي خالف بها الإسلام جميع الأديان التي سبقته والأمم التي ظهرت قبله، فكانت عندهم الجزية تفرض على الأمم المغلوبة بدافع الانتقام والثأر، كما انها تفرض حتى على النساء والأطفال والشيوخ ولا يعفى منها أي شخص. والفرق بين المسلمين وغيرهم كونهم اعتبروا الأمور المالية من غنائم وجزية ليست من أولوياتهم، وهذا الأمر ساعد على انتشار الإسلام بين الشعوب بسرعة كبيرة[2].

ذكر ابن عبد الحكم[3] ان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ت 23 هـ قد أرسل كتاباً إلى جميع عماله في الأمصار ومنهم عمرو بن العاص ﷺ ت 43هـ وقد أمره بان يختم رقاب أهل الذمة بالرصاص وان يجز نواصيهم وليس في هذا بأس فانه ليس من باب الأهانة أو التجريح، وإنما هي طريقة كانت متبعة لمعرفة الأشخاص الذين أدوا ما عليهم من جزية، وكان هذا في فترة محدودة من السنة[4].

من عوامل قوة الدولة وعظمتها وسر حيويتها، هو استمرار قادتها ومنظريها في خط ثابت فيكمل الخلف ما بدأه السلف، وهنا تكمن عظمة الإسلام والمسلمين، ومتى ما انحازت الأمة عن ثوابتها وطغيان روح التسلط والأنانية، وغلبة المصالح الشخصية على المصلحة العامة تبدأ الدولة بالتخلخل والانهيار ومن ثم الاضمحلال، ان أحداً من هذه الأمور لم تحدث في بداية نشوء الدولة الإسلامية، وأثناء عمليات الفتح، فقد كانت الدولة الإسلامية والممثلة بالخليفة حريصة على تعيين الولاة الذين يمتازون بالتقوى والورع بالإضافة إلى الشجاعة وحب الجهاد.

حاول عبد الله بن أبي سرح ﷺ جاداً في إقناع الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ت 35هـ باستمرار عمليات الفتح في بلاد افريقية والمغرب كونه أراد العمل بسياسة الخليفة عمر

(1) الصلابي، عمر بن الخطاب ص311.

(2) السباعي، مصطفى، نظام السلم والحرب في الإسلام، ط3، دار الوراق ودار النيرين للطباعة والنشر والتوزيع، 1442 – 2001 ص204-205.

(3) فتوح مصر والمغرب ص204-205.

(4) حسن، التاريخ الإسلامي ص544.

بن الخطاب ﷺ القاضية بتوقف الفتح في تلك البلاد، بعد موافقة الصحابة على الاستمرار بعمليات الفتح[1] وتجهيزهم لهذا الجيش المتوجه غرباً ضم ابن أبي سرح ﷺ عدداً من الأقباط إلى جيشه[2] من أجل معرفة هؤلاء بطبيعة المنطقة الجغرافية ولغة البربر وعاداتهم ولم يكن هؤلاء مقاتلين، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فانه عرض على جرجير إحدى خصال ثلاث، فقد خيره بين الإسلام أو الجزية أو الحرب[3] وهذا يذكرنا بما فعله قادة الفتح الإسلامي في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس، فالصورة واحدة، وان اختلف أبطالها، فلا عجب وهم جيل الرعيل الأول من الصحابة، وهذا العمل لم يكن ليأتي من فراغ بل من إيمان راسخ، فطلبه هذا للبطريق لم يكن بدافع الخوف أو الجبن، بالرغم من قلة جيشه، ولو كان ذلك صحيحاً لفضل الانسحاب من أرض المعركة مؤثراً السلامة، ولكنه كان أقوى منه في العزيمة وأجرأ على القتال.

بعد الانتصار الكبير الذي حققه المسلمون في بلاد المغرب على الرومان ومقتل قائدهم وجد أهل البلاد أنفسهم في مواجهة الجيش الإسلامي، فهل فعل الجيش الإسلامي كباقي الجيوش التي حكمت العالم قبله من سبي وقتل وانتهاك الحرمات ؟ ان شيئاً من ذلك لم يحدث بل حدث العكس تماماً، فعندما طلب أهل هذه البلاد الصلح استجاب المسلمون لطلب الصلح وهم من موقع القوة والاقتدار، وتم الصلح بشروط عدة أرضت الطرفين منها إعطاء المسلمين مبلغ ثلاثمائة قنطار من الذهب في السنة[4] وهي أقل مما كانت تفرضه عليهم الدولة البيزنطية[5]، كما نص الاتفاق ان يخرج الجيش

---

(1) المالكي، رياض النفوس ج1 ص8-9.

(2) م. ن، ج1 ص10

(3) ابن الأثير، الكامل ج3 ص45.دنيا، موسى بن نصير ص97. لقبال، المغرب الإسلامي ص140-141

(4) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص344. وقد ذكر ان كمية الذهب بلغت مائة قنطار من الذهب. راجع الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص44.

(5) جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية ج1 ص205-206.

الإسلامي من بلادهم وان ما أصابه المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد الفتح فيرد لأهل البلاد[1]، وبالرغم من النجاح الذي حققه المسلمون إلا انهم اثروا الانسحاب من تلك البلاد والعودة إلى قاعدتهم في مصر، لالتزامهم ببنود الاتفاق بين الجانبين بالرغم من حال الضعف والفوضى التي كان يعاني منها الرومان في تلك الفترة، وهذا غاية النبل والإيثار إذ لم يسبق لأي أمة في العالم ان تقوم بما قام به المسلمون بالرغم من كون هذا العمل يؤخر عملية الفتح لتلك البلاد، فلو انه أقام في البلاد أو ترك حامية فيها لسهل عملية الفتح الإسلامي لمن جاء بعده[2]، لكنه بالمقابل حبب الإسلام إلى قلوب أهل هذه البلاد بعدما رأو من حسن المعاملة واحترام للعهود.

لقد أبدى ابن أبي سرح ﷺ روح التسامح والتعايش مع أهل الذمة، فلم يتوانى من الاستفادة من خبراتهم في المجالات التي يجهلها المسلمون، فعن كيفية وطريقة التفاهم مع البربر، فانه قد اصطحب معه رجلاً قبطياً يقوم بمهمة الترجمة بين العرب المسلمين وبين البربر سكان البلاد الأصليين[3] أو انه استخدمهم كإدلاء للجيش الإسلامي، وقد يكون هؤلاء هم الذين جلبهم معه من مصر أثناء توجهه نحو المغرب، وهذا ليس بالأمر الهين والسهل أن يعتمد على أهل الذمة في بلاد يجهلها المسلمون.

## ولاية عقبة بن نافع

بعد تولي عقبة بن نافع ت63هـ مهام الولاية في المغرب، نجد ان شخصية القائد الإنسان تتجلى عند هذا القائد الفاتح، فقد حدثتنا الكتب بما نقلته لنا من صور مشرفة عن تعامله مع أهل البلاد المفتوحة، فنجد ان سياسته كانت تتمركز في اتجاهين هما الجانب الحضاري والفكري والجانب العسكري.

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان ص234. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص12. حقي، المغرب العربي ص32. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج3 ص258.

(2) مؤنس، فجر الأندلس ص37.

(3) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية ص62-63.

أما فيما يتعلق بالجانب العسكري فنجد ان فيها اختلافاً كبيراً، فقد رافقت بعض عمليات الفتح معاملته السيئة والقاسية في بعض الأحيان، كما هو الحال بالنسبة لملك ودان(#) الذي جدع انفه لكنه لم يفعل ذلك اعتباطاً ولا انتقاماً، لأن هذا الملك نقض الصلح الذي ابرمه مع بسر بن أبي ارطاه(#)(#) ﷺ، وكان قد فرض عليهم ثلاثمائة راس وستين رأساً[1]. ويعد رفضهم اعطاء الجزية المتفق عليها نقضاً للصلح والعهد الذي تم بينهم فاوجب عليهم الحرب. كذلك بالنسبة لمدينة شالة(#)(#)(#) إذ إنها ارتدت عن الإسلام وعادت إلى نصرانيتها[2]، ومع هذا فاننا نجد انه قد أسرف في بعض الأحيان، وهذا ما حصل مع احد ملوك فزان، وقد أساء معاملته، وقد فرض عليه ثلاثمائة عبد

---

(1)#) ودان: مدينة بأفريقية افتتحها عقبة بن نافع تبعد عن سرت خمس مراحل ويكثر فيها النخيل. راجع اليعقوبي، البلدان ص98. البكري، معجم ما استعجم ص137. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص127 الحموي، معجم البلدان مج5 ص365. الحميري، الروض المعطار ص608.

(#)(#) بسر بن ارطاة وقيل ابن ابي أرطاة: واسمه عمرو بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيس بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة يكنى ابا عبد الرحمن قيل انه ولد قبل وفاة النبي بسنتين وقال يحيى بن معين واحمد بن حنبل توفي رسول الله ﷺ وهو صغير شهد الصفين مع معاوية بن ابي سفيان ﷺ توفي بالمدينة ايام خلافة معاوية وقيل توفي في الشام ايام خلافة عبد الملك بن مروان وقيل انه مات في خلافة الوليد. ابن الاثير، اسد الغابة، ج1 ص270. ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج1 ص289.

1 ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص51. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص194.

(#)(#)(#) شالة: مدينة اثرية قديمة يفصلها عن مدينة سلا وادي ابي رقراق وقد كانت مقراً لدولة برغواطة، وقد تحول عنها اهلها ايام الموحدين وتحولت إلى مقبرة ايام بني مرين. راجع في ذلك البكري، المغرب ص92. اسماعيل، عثمان عثمان، تاريخ شالة الإسلامية،دار الثقافة – بيروت 1395-1975 ص15.

(2) اسماعيل، تاريخ شالة ص34.

وستين عبداً، وقطع اصبع ملك كوار[#] بعد أن جاءه طائعاً[1]، وأيضاً إثخانه القتل في قبائل صنهاجة اللثام وكان هؤلاء يدينون بالمجوسية[2]، فقد اعتبر المسلمون ان البربر هم امتداد للعرب بسبب تشابه العادات والتقاليد، وبما ان العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل فان الأمر نفسه ينطبق على البربر.

إن ما قام به عقبة بن نافع له تفسيران منها: انه إنسان معرض للخطأ والصواب، ومن ثم ان قبائل البربر قد اشتهرت بعدم التزامها بالعهود والمواثيق أولاً وارتدادهم عن الإسلام ثانياً. وفي كلتا الحالتين يتوجب عليهم الحرب والقتل ما لم يتوبوا[3]، ويعود السبب في ارتداد بعض قبائل المغرب عن الإسلام إلى[4]:-

1- عدم رغبة البربر في التقيد بشريعة أو دين يحدد تصرفاتهم ويقيد تحركاتهم وهذا من وجهة نظرهم.

2- الرغبة في التخلص من الحكومات المركزية لأنهم يعدونها نوعاً من الأهانة.

3- وقوع البربر تحت حكم الرومان لمدة طويلة جعلهم ينفرون من كل داخل جديد، وان المسلمين ما جاءوا إلى تلك البلاد إلا لنهب خيراتهم كما فعل بهم الرومان من قبل[5].

الأمر المهم الآخر ان الأعمال التي قام بها عقبة بن نافع عندما كان احد قادة الجيوش الإسلامية التابعة لوالي مصر، ولم يقم بهذه الأعمال عندما تولى أمر الولاية

---

(1)#) كوار: وتسمى كاوار اقليم في بلاد السودان جنوب فزان افتتحها عقبة بن نافع. راجع الحموي، معجم البلدان مج4 ص486.

ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص52.

(2) اشباخ، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين ص67.

(3) الكاساني، بدائع الصنائع ج7 ص113. مجموعة باحثين، الموسوعة الفقهية ج7 ص139.

(4) بل، الفرق الإسلامية ص104-105.

(5) دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص38.

بنفسه. وعموماً فقد رأى د. عبد الواحد ذنون[1]، ان هذه الروايات منسوبة اليه، فقد عمل إلى دعوة أهل فزان إلى الإسلام صلحاً فاسلموا، ولم نره فعل هذا في ولايته الثانية، إلا بما فعله مع كسيلة وكان لذلك ظروفه وملابساته الخاصة وخلاصة القول فان الإسلام لا يتجسد بشخص.

اما الجانب الحضاري والفكري، فبالرغم من خروج العرب المسلمين من مجاهل الصحراء تجد ان قادة الفتح يفكرون بعقلية الإنسان المدرك للأمور المتبصر بها، فأنشؤا مدناً جديدة كالكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها، ولذلك فاننا نجد ان عقبة بن نافع قد وضع لنفسه ستراتيجة بعيدة المدى، وهي انشاء تجمع ثابت للمسلمين في تلك البلاد ويستقر به المسلمون ومنها ينتشر الإسلام إلى باقي أجزاء أفريقية والمغرب[2]، لم تشر المصادر إلى ان سكان القيروان كانوا من المسلمين فقط، دون سواهم من باقي الأديان الأخرى، فقد ذكر د. عبد الواحد ذنون[3] ان كسيلة عندما أراد دخول مدينة القيروان وجد فيها قلة من الناس من أصحاب الأثقال والعذر، كما وجد بها بعض النصارى الذين ارتضوا العيش مع المسلمين[4]. ومن المؤكد ان هؤلاء النصارى لو لم يجدوا معاملة طيبة حسنة، تحفظ لهم كرامتهم وتضمن حقوقهم وتؤمن على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، لما ارتضوا العيش مع المسلمين، ومن المؤكد ان هذه الجماعة كانت تدفع الجزية للمسلمين، لكن المصادر العربية لم تذكر عن ذلك شيء ولا عن طبيعة الأعمال التي يعملون بها، لكن د. حسن حسني عبد الوهاب[5] ذكر ان هناك أقلية مسيحية ارتضت

---

(1) الفتح والاستقرار ص120.

(2) ابو دياك، صالح فياض، تعريب المغرب ابان الفتوحات الإسلامية إلى نهاية بني الاغلب، مجلة المؤرخ العربي ع30 سنة 1407-1986 ص129.

(3) الفتح والاستقرار ص130.

(4) الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص55.

(5) ورقات عن الحضارة العربية ق2 ص52-53.

البقاء تحت حكم المسلمين اثناء الفتح وبعده، وقد عمل هؤلاء في تجارة الحبوب والزيت وبعض الصناعات اليدوية.

بخصوص اليهود فان بناء مدينة القيروان، وخضوع بلاد الشمال الافريقي والمغرب للحكم الإسلامي، فان أعداد اليهود اخذت بالتزايد في تلك المدينة منذ أيامها الأولى، وكانت هذه الجماعة على اتصال بيهود مصر واسبانيا، وعن سبب تواجدهم في هذه المدينة في وقت مبكر هو لاضطهاد الرومان لهم، وأيضاً اضطهادهم من قبل القوط[1]. ولم يقتصر الأمر على اليهود القادمين اليها، بل كان هناك قسماً منهم من يهود البربر، وقد اختص اليهود في هذه المدينة بصياغة الحلي ونقل البضائع.

لم تقتصر أعمال عقبة بن نافع عند هذا الحد، بل سعى جاداً على نشر الإسلام في بلاد المغرب، وقد ابتنى عدداً من المساجد في البلاد المفتوحة[2]، وانه كان يعرض الإسلام على القبائل والمدن قبل دخوله اليها، كما أرسل عدداً من الدعاة إلى بلاد المغرب الأقصى لنشر الإسلام، وتعليم من اسلم القرآن والإسلام[3]، ونظم البلاد حسب حكم الشريعة الإسلامية ففرض الخراج والاعشار على من أسلم ووضع الجزية على أهل الذمة ممن ارتضوا البقاء على دينهم والعيش تحت حكم المسلمين[4]. ومن اشهر الاتفاقات التي عقدها ذلك الاتفاق الذي ابرمه مع يليان حاكم طنجة[5] اذ انه يكشف لنا ان سمعة الإسلام بالعدل والمساواة قد وصلت إلى تلك البلاد قبل ان تطأ أقدامهم أرضها. وهذا الذي أعطى يليان ثقة كبيرة بان حكم المسلمين سوف يكون عادلاً ومنصفاً له، لذلك قرر النزول على حكم المسلمين الفاتحين مقابل ابقاؤه في منصبه كحاكم لتلك المدينة،

---

(1) دسوقي، فاروق أحمد، اوضاع اليهود في الدولة العربية، بحث منشور على شبكة الانترنيت، موقع الوطن.

(2) زيتون، محمد محمد، الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، مجلة المؤرخ العربي ع16 س1981 ص70.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص26.

(4) بل، الفرق الإسلامية ص92-93.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص26.

ومن ثم اخذ عقبة بن نافع بنصيحة بيليان فيما يخص البربر، فأخذه على محمل الجد ولم يساوره الشك في صحة كلامه.

**ولاية أبو المهاجر دينار 55هـ / 675م.**

التجأ أبو المهاجر إلى سياسة المهادنة، والصلح مع البربر لكنه استخدم سياسة الحرب مع الروم، وهذا نابع من إيمان أبو المهاجر بان البربر هم أهل البلاد وهم مادة الإسلام في المستقبل، فيجب معاملتهم بالحسنى حتى يحبب اليهم الإسلام، أما الروم فهم غرباء محتلون للبلاد لكنه مع ذلك قاتل قبائل اوربة البربرية التي كانت تربطها علاقة قوية مع الروم[1] لكنه عامل هذه القبائل معاملة طيبة وحسنة، وحارب أبو المهاجر الروم واستخلص منهم جزيرة شريك[(#)(2)].وهذا حسب الاتفاق الذي تم عقده بين الطرفين، ولم تذكر لنا المصادر بنود الاتفاق الأخرى، وإذا ما اخذ منهم المسلمون أموالاً.

يبدو أن أبا المهاجر أراد التفرغ للبربر، وذلك لخشيته من معاودة الحرب مرة أخرى، لذلك نجده يبدأ بأسلوب جديد إذ عمد إلى تأليف قلوب البربر، ونشر الإسلام بين صفوفهم، وصالح قسماً منهم، كما انه صالح عجم أفريقية[3]، ويبدو انهم الروم أو غيرهم ممن هم ليسوا بالبر، ويبدو ان هذه الفئة بقيت على دينها، ولم تشر المصادر إلى الكيفية التي تعامل بها أبو المهاجر معهم، لكن سياسته هذه لم تأت ثمارها، إذ نجد ان قبائل أوربة سرعان ما ترتد عن الإسلام، وتتصدر قبائل البربر لقتال المسلمين، بعد مقتل

(1) مؤنس، فتح العرب للمغرب ص166.

(#) جزيرة شريك: تقع ما بين تونس شمالاً وسوسة جنوباً، وهي جزيرة اهلة بالسكان. البكري، المغرب ص45. الحميري، الروض المعطار ص76.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص152.

(3) الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص46. عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة ق1 ص51.

عقبة بن نافع، وبقوا على ردتهم حتى استطاع زهير بن قيس البلوي من القضاء على كسيلة وأتباعه[1] لأنه يعد مرتداً عن الإسلام وهذا حكمه في الشريعة الإسلامية.

## ولاية حسان بن النعمان الغساني 74هـ - 85هـ

كما أسلفنا فان استنجاد النصارى بحسان بن النعمان من أجل تخليصهم من ظلم الكاهنة[2] وتعسفها خصوصاً بعد ان استخدمت سياسة الأرض المحروقة[3] لهو دليل واضح على عدالة المسلمين، وان الإسلام كان موجوداً في تلك البلاد، وإلا لماذا اختار هؤلاء المسلمين ولم يستنجدوا بالبيزنطيين أو القوط ؟ بالرغم من كونهم يمثلون ديناً واحداً على الأقل.

عند دخول المسلمين لقرطاجنة وجدوا بها عدة مؤسسات كان الرومان يستخدمونها في تسيير أمور حياتهم اليومية، مثل دار السكة التي كان الرومان يستخدمونها في سك النقود، فأبقى المسلمون هذه الدار لأنها تخدم مصلحة المسلمين وأهل الذمة على حد سواء كونها تمثل حلاً للمشاكل المالية المترتبة والمتعلقة بهم، وقد استخدم المسلمون البيزنطيين المحليين وموظفيهم في الإدارة الجديدة وجيشها[4]، لأنهم أكثر خبرة في هذا المجال من المسلمين، وتفرغهم التام لهذه الأمور مقابل انشغال المسلمين بأمر الفتوح والجهاد، ويدل هذا على تسامح المسلمين مع أهل البلاد المفتوحة سواء اسلموا أم لم يسلموا، وشمل هذا الأمر الرومان أيضاً والذين هم ليسوا من أهل البلاد وإنما هم محتلون لها، إلا ان وجود عبارة البيزنطيين المحليين ربما تعني الأشخاص الذين لم يكونوا في الجيش وإنما عملهم كان مقتصراً على الأمور الإدارية.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص27. ابن خلدون، العبر ج6 ص297. السلاوي، الاستقصا ج1 ص80. دنيا موسى بن نصير ص105. دبوز، المغرب الكبير ج2 ص49.

(2) وقد بلغ هؤلاء ثلاثمائة رجل. راجع الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص61. سالم، المغرب الكبير ج2 ص245. دنيا، موسى بن نصير ص112. زيتون، الفتح الإسلامي ص87.

(3) بليايف، العرب والإسلام ص338.

(4) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة ق1 ص400.

بعد ان أتم حسان بن النعمان القضاء على الكاهنة، عمل على تنظيم البلاد فصالح البربر على شروط تضمن للطرفيين حقوقهم وكرامتهم، وفرض الجزية على النصارى الذين ارتضوا العيش مع المسلمين[1]. وكانت الجزية على الرقاب وجبيت هذه الأموال بكل احترام دون خدش لكرامة الشخص المقابل. وان لم تذكر لنا المصادر عدد هؤلاء وكمية الأموال المتحصلة منهم، كما ان ورود لفظة بربر أفريقية تدل على انهم أهل البلاد الذين ارتضوا البقاء على دينهم سواء كانوا على اليهودية أم النصرانية، فقد ذهب ابن خلدون[2] إلى ان أهل المغرب كانوا يدينون بالنصرانية ، أما محمد علي دبوز[3] فذكر ان اليهودية كانت منتشرة في هذه البلاد وان المسيحية تتركز في مناطق السواحل، فيما ذهب آخرون إلى ان المجوسية هي الديانة المنتشرة وأياً كان الأمر فان المسلمين لم يفرقوا بينهم لأنهم في الحكم سواء، وكانت بعض المدن التي فتحت صلحاً في أيام حسان بن النعمان لم يتدخل المسلمون في أمورها ولم يهدموا أسوارها، بل اكتفى المسلمون بان اخذوا منهم الجزية[4].

بالرغم من النجاح الذي حققه حسان بن النعمان على الروم، وتهديمه لمدينة قرطاجنة، فان هاجس الخوف من عودتهم ظل ملازماً له، فقرر إنشاء ميناء صغير بالقرب من قرطاجنة[5]، وكانت نواة مدينة تونس[#] والتي توسعت فيما بعد، ولم يقتصر الأمر

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص201، الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص64. المالكي، رياض النفوس ج1 ص35-36. الدباغ، معالم الإيمان ج1 ص65. ابن خلدون، العبر ج6 ص219-220.

(2) العبر، ج6 ص15-16.

(3) المغرب الكبير ج2 ص73.

(4) الحسن الوزان، وصف أفريقيا ج2 ص142. اشباخ، تاريخ الأندلس ص67. حركات، ابراهيم، الاوضاع العالمية عند ظهور الإسلام، مجلة دعوة الحق ع5-6 س13 1390هـ1970م ص61.

(5) مؤنس، فجر الأندلس ص45. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص165.

عند هذا الحد، فانشأ دار لصناعة السفن وقد بدأ عمله هذا بان أرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يعلمه بذلك، وان يرسل له بعض القبط من أجل الاستعانة بخبرتهم في هذا المجال، فأمر الخليفة والي مصر بان يرسل له ألف قبطي مع عوائلهم[1] وبهذا فان لأهل الذمة الفضل في بناء الأسطول العربي في بلاد المغرب.

حرص المسلمون على نشر الإسلام في الشمال الافريقي والمغرب الأقصى وإلى حسان بن النعمان يعود الفضل في ذلك، فقد عمل على نشر الإسلام في تلك الأرض، وهذا الأمر مقروناً بتعلم اللغة العربية[2] فاوجب تعلمها على المسلمين وغيرهم، ان إقدامه على هذا العمل دفعه اليها عدة عوامل، فان القرآن الكريم انزل باللغة العربية ولا يمكن فهمه ولا فهم السنة النبوية إلا بتعليم اللغة العربية، وإنما أوجب تعلمها على غير المسلمين من أهل الذمة حتى تسهل عملية التعامل معهم خصوصاً وان تدوين الدواوين لا يكون إلا باللغة العربية، والأمر الآخر هو إن قبائل المغرب الأقصى كانت تجهل أمور الكتابة مما استوجب تعليمهم إياها[3].

---

(#) تونس: قاعدة المغرب الادنى وأفريقية وهي دار ملك بني الاغلب يبلغ طولها اثنان وثلاثون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة واحدى وثلاثون دقيقة تقع على بحيرة مالحة.راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص143.

(1) المالكي، رياض النفوس ج1 ص38. ابن ابي دينار، المؤنس ص35. سالم، السيد عبد العزيز، العبادي، أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت – لبنان 1969 ص30–31، الجمل، المغرب الكبير ص10. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج3 ص268. دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص116. عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ص186

(2) اسماعيل، الخوارج في المغرب ص34. دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص114. لقبال، المغرب الإسلامي ص142. كنون، النبوغ المغربي ج1 ص48. بلياييف، العرب والإسلام ص238. ابو دياك، تعريب المغرب ص130

(3) اشباخ، تاريخ الأندلس ص67.

من الأعمال الأخرى التي قام بها حسان بن النعمان هي انه عد ارض المغرب قد فتحت صلحاً[1] لأن هناك خلافاً قد حصل في حكم أرض المغرب فمنهم من قال انها أرض صلحية، ومنهم من قال أنها فتحت عنوة، هناك من رأى ان سهولها عنوية وجبالها صلحية، فالأرض بأيدي اصحابها وهذه المسألة لها أهمية كبيرة، إذ ان أحكام الأرض تختلف إذا كانت الأرض مفتوحة صلحاً أو عنوة وذلك من أجل تقدير الأموال والخراج وغيرها من الأمور المترتبة عليها[2].

لقد رافقت عمليات الفتح في أيام حسان بن النعمان 74-85هـ مسألة تدوين الدواوين وتعريبها[3]. وكان هذا تماشياً مع سياسة الدولة في بلاد الشام والعراق وغيرها من أقاليم الدولة، فانشأ ديوان الجند وسجل فيه أسماء المقاتلة وأرزاقهم وأمور أخرى متعلقة بهم، وانشأ ديوان الخراج والذي يهتم بالأمور المالية، ومنها الجزية التي يدفعها أهل الذمة، وقد جعل على خراج أفريقية والمغرب رجل يدعى ابراهيم النصراني وكان مقره في برقة[4].

ومن الأمور التي تحسب لحسان بن النعمان انه قطع علاقة الكنيسة في المغرب ببيزنطة وجعل مرجعيتها إلى الكنيسة المرقصية الاورثوذكسية في مصر وذلك خوفاً من روح الانفصال عن الدولة الإسلامية من خلال بث روح التفرقة عن طريق الكنيسة[5].

وقد امتاز حسان ببعد النظر وحسن المعاملة ومرونته في تطبيق القوانين، وان الولاة الذين أتوا من بعده أكملوا ما بدأه.

---

(1) ابو دياك، تعريب المغرب ص130.

(2) التلمساني، تحفة الناظر ص157. السلاوي، الاستقصا ج1 ص9. مؤنس، فتح العرب للمغرب ص276.

(3) الحميري، الروض المعطار ص66. الجمل، المغرب الكبير ص30.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص271.

(5) دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص120.

## ولاية موسى بن نصير 85هـ / 704م

بعد استعفاء حسان بن النعمان من منصبه، انيطت أمور الولاية إلى موسى بن نصير الذي أكمل ما بدأه أسلافه، حيث ابتدأ بإخماد قبائل البربر الثائرة أو المرتدة، فلما رأى البربر عزمه على محاربتهم استأمنوا عنده وبذلوا الطاعة[1]، وهذا يكون أما بدفع الجزية أو إعطاء رهائن وغيرها من الأمور.

من الملاحظ أن كل قادة الفتح الإسلامي الذين تولوا ولاية أفريقيا أو المغرب قاتلوا البربر، ولم يكن هذا العمل نابع من كرههم للبربر، وإنما اعتاد هؤلاء على حياة الفوضى، وألفوا التمرد والعصيان، وما ان يركن هؤلاء إلى الصلح حتى نجد ان المسلمين ينسحبون من مدنهم وقراهم ويعاملونهم بالحسنى، ومع هذا فان المسلمين يلجئون إلى قبض رهون منهم[2].

ما ان وصل موسى بن نصير إلى سبته حتى دعا حاكمها النصراني الذي قبل أن يدفع الجزية[3] والنزول على حكم المسلمين، ولم تشر المصادر كعادتها إلى مقدار الجزية التي قبل بدفعها، إلا ان مجرد قبوله دفع الجزية يدلل على أنه حقن ماله ودمه، وان المسلمين قد خيروه بين أحدى ثلاث منها دفع الجزية[4]. وقد ذكر د. عبد الواحد ذنون[5] ان احد بنود الاتفاق هو ان يبقى جوليان بمنصبه كحاكم لهذه المنطقة وان يعترف بسلطان المسلمين عليها، لذلك فان المسلمين لم يدخلوها إلا صلحاً بعد موته[6]، وربما ان عقد الصلح مع الحاكم الجديد كان من شروطه دخول المسلمين إلى المدينة.

---

(1) السلاوي، الاستقصا ج1 ص96. سالم، المغرب الكبير ج2 ص154.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص43. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص198.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص49. ابن خلدون، العبر ج6 ص437. لقبال، المغرب الإسلامي ص142.

(4) المقري، نفح الطيب ج1 ص245.

(5) الفتح والاستقرار ص142.

(6) ابن خلدون، العبر ج6 ص438.

من خلال سير الأحداث في بلاد المغرب نجد ان العرب المسلمين لم يكن غرضهم من تلك الحروب سوى نشر الإسلام لذلك فاننا نجدهم متسامحين مع أعدائهم، فقد ذكر ابن القوطية[1] ان موسى بن نصير عامل نصارى الأندلس كما أمر الدين الإسلامي، فقد أمرهم بدفع الجزية وأبقى الأرض بأيديهم، ان هذا يفيدنا في معرفة طريقة تعامل موسى بن نصير مع أهل الذمة في بلاد المغرب الأقصى، وان اختلف المكان فالشخص واحد وطريقة تعامله بالتأكيد تكون متشابهه فليس من المعقول ان يعاملهم في الأندلس باحترام ويعاملهم في المغرب بقسوة، ومع هذا فقد ورد انه أمر بهدم بعض الكنائس أثناء فتحه للأندلس[2] وقد ذكر ابن القوطية[3] ان عبد العزيز بن موسى بن نصير قد تزوج بامرأة قوطية وقد سكن معها في كنيسة وهي من المآخذ التي أخذت عليه وكانت سبباً في مقتله.

بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها موسى بن نصير في بلاد المغرب رغب أهلها بالصلح فصالحهم[4] وهادنهم وانضم قسم منهم إلى جيوشه[5].

كما أسلفنا فان حسان بن النعمان قد أبقى دار السكة في قرطاجنة إلا أن موسى بن نصير قد أنشأ دار لسك النقود في بلاد المغرب[6]، وهذا يعود لاهتمامه الكبير بالشؤون المالية في تلك البلاد، وقد راعى أول الأمر شكل الدينار المشابه للدينار البيزنطي، على ان يكون موافقاً للدين الإسلامي، كحذف الصليب وصورة قيصر وغيرها من الأمور التي لا تتناسب مع روح الإسلام[7].

---

(1) تاريخ افتتاح الأندلس ص25.

(2) ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص48.

(3) تاريخ افتتاح الأندلس ص36. وانظر كذلك ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص84

(4) البلاذري، فتوح البلدان ص238. ابن الاثير، الكامل ج4 ص112. دروزه، تاريخ العرب ص227.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص43-44.

(6) ابو دياك، تعريب المغرب ص129. عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة ق1 ص56.

(7) عبد الوهاب، ورقات عن تاريخ الحضارة ق1 ص401.

فيما يتعلق بالتنظيمات العسكرية وتكوين الجيش ذكر د. عثمان اسماعيل[1] ان موسى بن نصير جعل يوم السبت راحة للجنود اليهود، والأحد يوم راحة للنصارى، إلى جانب يوم الجمعة الذي هو يوم استراحة المسلمين، وهذا الأمر يدلل على أمرين مهمين وأساسيين منها، وجود اليهود والنصارى في الجيش الإسلامي وهو أمر لم يكن منتشراً في الجيوش الإسلامية، وربما يكون هؤلاء ليسوا مقاتلين بل ان مهامهم تكون هامشية وبعيدة عن ساحات القتال، وقد يكون هؤلاء عملوا في الجيش رغبة منهم في عدم دفع الجزية، لكن المهم في الأمر هو احترام المسلمين لمشاعر أهل الذمة داخل مؤسسات الدولة، بان منحوهم الراحة في أيامهم المقدسة، وقد ذكر صاحب المؤنس[2]، انه بنهاية القرن الأول للهجرة لم يبق في بلاد المغرب إلا مسلم دافع للصدقة أو معاهد دافع للجزية، لكن بقيت هناك بعض القرى العامرة بالكفر، وبقيت إلى القرن الثالث والرابع الهجريين

بالرغم من تسامح الفاتحين مع أهل البلاد الأصليين وأهل الذمة إلا ان سياسة موسى بن نصير تجاه البربر وإسرافه في القتل أدت إلى غرس عوامل الحقد والكراهية للعرب، وهذا ما جعلهم يتقبلون الأفكار الخارجية وغيرها[3]، وربما كان ذلك من باب التودد لإرضاء الخليفة الذي لم يكن راضياً على ولايته[4].

## ثالثاً: عصر الولاة في المغرب الأقصى ومعاملة أهل الذمة

لم يكن سليمان بن عبد الملك ت99 هـ راضياً عن تصرفات موسى بن نصير في بلاد المغرب والأندلس، ولعل هناك أسباب أخرى أدت إلى الاستغناء عن خدماته، لكنه مع ذلك أبقى ولده عبد العزيز على ولاية الأندلس، وكان ذلك ايذاناً ببدء عصر الولاة والذي استمر إلى قيام دولة بني مدرار والدولة الرستمية وغيرها من الدول.

---

(1) تاريخ شاله ص139.

(2) المؤنس ص138.

(3) مؤنس، فجر الإسلام ص47 وما بعدها.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص86.

من أهم ما يتميز به عصر الولاة، هو كثرة الولاة الذين مارسوا السلطة باسم الدولتين الأموية والعباسية،ومن الأمور الأخرى التي يتميز بها هذا العصر:

1- لم يكن هناك أسلوب موحد في اختيار وتنصيب ولاة المغرب، فلم يكن للخليفة دور كبير في ذلك إلا في بعض الأحيان، وفي بعض الأحيان كان يتدخل سكان البلاد في تعيين ولاة المغرب.

2- عدم وجود سياسة ثابتة للولاة، فقد تراوحت بين العدل والمساواة وبين التعسف والظلم.

3- ظاهرة تغيير الولاة باستمرار، فلم يكد يستقر والي جديد ويقوم بأعماله حتى يعفى من منصبه.

4- تخلل العصر كثير من الاضطرابات والفتن لا سيما بعد مقتل يزيد بن أبي مسلم.

5- انتشار الأفكار الخارجية الصفرية والاباضية في تلك البلاد[1].

وفي هذا البحث سوف نتناول تلك الفترة على ثلاثة أقسام: القسم الأول ويمتد منذ انتهاء عمليات الفتح حتى وفاة عمر بن عبد العزيز 101 هـ، والثاني يمتد إلى نهاية الدولة الأموية، أما القسم الثالث فيكون من نهاية دولة بني أمية وحتى ظهور الدولة المستقلة.

**أولاً: عصر الولاة منذ انتهاء عمليات الفتح حتى وفاة عمر بن عبد العزيز.**

بعد اكتمال عمليات الفتح في بلاد المغرب، وعبور الجيوش الإسلامية إلى الأندلس من أجل نشر الإسلام في تلك البلاد، ولذا قد يكون اجتمعت لموسى بن نصير ولاية المغوب والأندلس، ومما يؤخذ على ولاة المغرب أنهم اعتبروا بلاد المغرب دار حرب، حتى بعد انتهاء الفتح واعتناق قسم كبير منهم الإسلام، وبقيت هذه السياسة إلى

(1) السامرائي، تاريخ المغرب ص106-107.

حين مجيء الخليفة عمر بن عبد العزيز 99-101 هـ حيث عادت الأمور إلى نصابها[1] خصوصاً وان هناك أقليات يهودية ومسيحية في بلاد المغرب الأقصى، ارتضت العيش تحت حكم المسلمين، وقد كان اليهود في هذه المنطقة أكثر من النصارى بسبب الحرية التي تمتع بها هؤلاء في ظل الدولة العربية الإسلامية وهو الشيء الذي افتقدوه في بلاد النصارى لكنهم تعرضوا لبعض الظلم من ولاة بني أمية في المغرب، وهذا العمل يتنافى مع تعاليم الإسلام خصوصاً وانهم كانوا معاهدين[2].

كان أول ولاة المغرب هو محمد بن يزيد القرشي 97-99هـ وكان خلفاً لعبد الله بن موسى بن نصير والذي كانت سياسته قائمة على القسوة في معاملة سكان البلاد من البربر وغيرهم، وقد أمره الخليفة سليمان بن عبد الملك ت99هـ بتقوى الله في أهل المغرب.

استغل محمد بن يزيد فترة ولايته فقام بفتح المناطق الداخلية من بلاد المغرب الأقصى وبعض الجزر القريبة من السواحل[3]، وقد نشر الإسلام في تلك الربوع من الأرض وكان لسياسته الحكيمة ان دخلت أفواج جديدة من البربر في الإسلام[4]،وكان يوزع الغنائم بالعدل والمساواة بين العرب وأهل المغرب[5] إلا إن ما يؤخذ عليه هو ملاحقته لآل موسى بن نصير ومواليهم، واستصفاء أموالهم وعدم رضاه على سياستهم،

---

(1) اسماعيل، الخوارج ص19-30.

(2) زيدان، تاريخ التمدن ج2 ص17. متز، الحضارة الإسلامية ص63-64. بليايف، العرب والإسلام ص217.

(3) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب ص96. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص47. مجهول، اخبار مجموعة ص22.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص47. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص289. ذنون، الفتح والاستقرار ص354. ابو دياك، تعريب المغرب ص132.

(5) سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص289.

ومحاولة محو اثارهم، وقد ذكر ان كل هذه الأعمال تمت بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك[1].

انتهت سياسة الأمويين في بلاد المغرب هذه بمجيء عمر بن عبد العزيز إلى سدة الحكم 99-101هـ، فإليه يعود الفضل في نشر الإسلام في بلاد المغرب، وكانت أولى أعماله تغيير سياسة الدولة تجاه رعاياها، فعزل عامل سليمان بن عبد الملك، وقد دأب عمر بن عبد العزيز على تعيين ولاة اشتهروا بالعدل والمساواة بالإضافة إلى التقوى والورع، فعين على المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر 100-102هـ مولى بني مخزوم، وقد ورث عن جده الحزم والحكمة وحسن التدبير[2]، كما أرسل معه عشرة من التابعين من أجل تفقيه البربر في الشريعة[3].

اتبع عمر بن عبد العزيز سياسة جديدة تجاه أهل الذمة , فقد رفع الجزية عمن اسلم من أهل الذمة[4]، حيث ان الحجاج بن يوسف الثقفي[#] ت 95هـ أبقى الجزية على

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص44-45. النويري، نهاية الأرب ج24 ص54. الجنحاني، القيروان ص45.

(2) البلاذري، فتوح البلدان ص239. قدامه بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص346. ابن الاثير، الكامل ج3 ص21. ابن خلدون، العبر ج4 ص403. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ص38-39. ابن الابار، الحلة السيراء ج2 ص335. مجهول، اخبار مجموعة ص22. السلاوي، الاستقصا ج1 ص101. ذنون، الفتح والاستقرار ص354. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص203. دروزه، تاريخ العرب ص151.

(3) المالكي، رياض النفوس، الجزء الخاص بترجمة هؤلاء ص64-76.

(4) الخربوطلي، الحضارة الإسلامية ص294. حتي، تاريخ العرب مطول ج2 ص202-203. اليوزبكي، دراسات في النظم العربية والإسلامية ص126-127.

(#) الحجاج بن يوسف: ابو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل الثقفي وامه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي تولى مناصب عدة في عهد الدولة الأموية اصبح أميراً على العراق والمشرق ت عام 95هـ بمرض الاكلة في البطن. راجع ابن خلكان، وفيات الاعيان ج2 ص29 رقم الترجمة 149.

من أسلم منهم، وربما يعود ذلك إلى الانتقاص منهم وهذا يتنافى مع الشريعة الإسلامية، وقد يكون تظاهر قسم منهم بالإسلام هو السبب وراء ذلك، وقد أدى العجز في ميزانية الدولة إلى اتخاذ مثل هذا القرار[1]، ومهما كانت الأسباب فان ذلك يعد من الهفوات التي سقط بها الحجاج بن يوسف.

اصدر عمر بن عبد العزيز قانوناً أمر بموجبه أهل الذمة بلبس الزنانير والتميز بلباس خاص بهم، وعدم تقليدهم مناصب حساسة في الدولة، وعدم رفع أصواتهم في الصلاة وغيرها من الأمور التي صدرت بحق أهل الذمة[2]، وهذه القوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، لكننا لم نعرف مدى الجدية في تطبيق هذا القانون في بلاد المغرب، وعمل على استخدام المسلمين عوضاً عن اليهود والنصارى في أجهزة الدولة، إلا انه لم يستمر طويلاً إذ انتهى العمل به بمجرد موته[3].

أما بخصوص إسماعيل بن عبد الله، فقد ساهم على نشر اللغة العربية وسار في البربر بسيرة جده أبا المهاجر، ولم يبق في تلك البلاد سوى جماعات من الروم واليهود[4]. ولم تذكر لنا المصادر عن طبيعة حياتهم ولا الأعمال التي كانوا يمارسونها إلا ان المسلمين قد أحسنوا معاملتهم في المغرب والأندلس[5]، أما في القيروان فقد ألفوا عدداً لا بأس به، وقد كان لهم فيها سوق خاص عرف بسوق اليهود وعمل النصارى في تجارة الزيت، وكان كلاً من اليهود والنصارى لا يتورعون عن التعامل بالربا، وكان اليهود فيها

(1) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص113-114. ر. دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي وجمال محرز و د. مختار العبادي، دار المعارف 1963 ج1 ص138. فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ص270. ابو دياك، تعريب المغرب ص132.

(2) الجيليدي، التيسير في احكام التسعير ص77. حتي، تاريخ العرب مطول ج2 ص303.

(3) قاسم، اليهود في مصر ص7.

(4) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص204، بل، الفرق الإسلامية ص103.

(5) حسن، تاريخ الإسلام ج1 ص53.

منظمين أكثر من النصارى[1] فلم تسن الدولة الإسلامية قانوناً يحضر أو يمنع أهل الذمة من ممارسة أي نوع من النشاطات الاقتصادية المختلفة[2]، إلا فيما يتعارض منها بالدين الإسلامي، فقد أبقى العرب المسلمون أصحاب المهن والحرف على ما هم عليه لانشغالهم بداعي الجهاد، وأيضاً قلة خبرتهم في هذا المجال، ومن ثم فان العرب لم يكونوا يجيدون العمل في بعض الحرف لأنهم كانوا يعدونها مهناً وضيعة، لذلك فاننا نجد ان اغلب الحرفيين والصيارفة كانوا من أهل الذمة[3].

كانت حرية العمل والتجارة وغيرها من الأنشطة مشروطة بدفع الجزية[4] بل إن الدولة الإسلامية في عهد بني أمية استعانت بأهل الذمة من اليهود من أجل توحيد الوزن والعملة، فاستعان الحجاج بن يوسف برجل يهودي يدعى سميسر الصنج[5] أو سمير من أجل سك العملة الموحدة ومنع الغش والتزوير والتي عرفت بالدراهم السميرية[6].

لم تدم فترة خلافة عمر بن عبد العزيز طويلاً، فقد عاجلته المنية بدير سمعان سنة 101هـ وتم عزل عامله إسماعيل بن عبد الله عن ولاية المغرب، وبذا انطوت صفحة من صفحات العدل والمساواة.

(1) الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص90-91.

(2) متز، الحضارة الإسلامية ج1 ص68-69.

(3) بليابيف، العرب والإسلام ص216-217.

(4) بل، الفرق الإسلامية ص104.

(5) ابن الاثير، الكامل ج4 ص53.

(6) الخربوطلي، الحضارة الإسلامية ص318.

**ثانياً: عصر الولاة في بلاد المغرب منذ وفاة عمر بن عبد العزيز إلى نهاية الدولة الأموية 101 – 132 هـ.**

ان مما يؤخذ على بعض ولاة الدولة العربية في العصر الأموي هو عدم تمسكهم بنصوص الشريعة الإسلامية، فبعد وفاة عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة من بعده يزيد بن عبد الملك ت 105هـ، وكان لا يقر بسياسة التسامح واللين التي اتبعها سلفه، وكان يرى ان سياسة الترهيب والقوة هي الأجدى، وان تحول البربر نحو الإسلام أدى إلى ضياع مورد هام من موارد بيت المال وهو الجزية[1]، فبادر إلى عزل عامل افريقية إسماعيل بن عبد الله وتولية يزيد بن مسلم[#] عام 102هـ، والذي كان عامل الحجاج وصاحب شرطته[2] ليطبق على البربر سياسة الحجاج في أهل العراق[3]، وكما اشتهر إسماعيل بن عبد الله في بلاد المغرب بالعدل والمساواة والإحسان اشتهر يزيد بن أبي مسلم بالظلم والطغيان، فسار بأهل المغرب كما سار الحجاج بأهل العراق[4]، فاتبع سياسة الترهيب في البربر، فرأى ان إسلام أعداد كبيرة منهم أدى إلى نقص في واردات بيت المال خصوصاً بعد توقف الفتح الإسلامي فأبقى الجزية على أهل الذمة حتى في

---

(1) سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص293.

(#) يزيد بن ابي مسلم دينار يكنى بابي العلاء وكان رجلاً قصيراً قبيح الوجه عظيم البطن. راجع ابن خلكان، وفيات الاعيان ج6 ص309.

(2) ابن عبد لحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص78. البلاذري، فتوح البلدان ص239. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص346. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص46. ابن ابي دينار، المؤنس ص39. ذنون، الفتح والاستقرار ص350. الجنحاني، القيروان ص45. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص208. ضيف، عصر الدول والامارات ج10 ص264. بل، الفرق الإسلامية ص105.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج5 ص103. ابن الاثير، الكامل ج4 ص182.

(4) ابن الاثير، الكامل ج4 ص182، ابن ابي دينار، المؤنس ص39.

حالة إسلامهم[1]، بالرغم من كونه يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، كما انه سبى نسائهم، وقد أسرف في معاملته للبربر حتى أوغرت صدورهم على العرب[2] وقد شجع هذا العمل إلى ظهور الميول الانفصالية عن جسم الدولة العربية[3].

لم يقتصر تعسفه على البربر وحدهم أو على أهل الذمة، بل حتى العرب من اتباع عبد الله بن موسى بن نصير ومواليهم، لم يسلموا من هذا الظلم والتعسف، وأيضاً محمد بن يزيد القرشي والي المغرب سابقاً لم يسلم من أذاه[4]. إن هذه السياسة القائمة على القهر والظلم كانت نابعة عن قناعة بان الأمور لا تسير إلا بهذه السياسة.

لقد تجاوز ظلمه وغطرسته كل ما هو متوقع، حتى شمل خاصته وحرمه، فقد رأى ان يقوم بوشم أصحابه وحرسه كما يفعل ملوك الروم[5]. وهذا الأمر ان صدق فلة جانبين سلبيين، الأول منها الظلم الذي وقع على أصحابه وحرسه، حيث انه أراد تمييزهم عن العامة من الناس، الأمر الثاني محاولته التشبه بملوك النصارى وأمرائهم، وهو أمر منهي عنه شرعاً، فقد نهى رسول الله ﷺ التشبه باليهود والنصارى.

لم يستسغ البربر هذه الأعمال، فاجمع حرسه على قتله، فلما تم ما أرادوا ولوا عليهم محمد بن يزيد مولى الأنصار[6]، وقد أرسلوا إلى الخليفة يزيد بذلك،)إنا لم نخلع

---

(1) ابن الاثير، الكامل ج4 ص182، ابن خلدون، العبر ج4 ص403. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص208. لقبال، المغرب الإسلامي ص144، ضيف، عصر الدول ج10 ص264. بل، الفرق الإسلامية ص105.

(2) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص208.

(3) بل، الفرق الإسلامية ص105.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص87-88. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص208. الجنحاني، القيروان ص45.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص89. البلاذري، فتوح البلدان ص239. قدامه بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ص346.

(6) ابن الاثير، الكامل ج4 ص182 وقيل انهم ولوا محمد بن اوس قائد الاسطول. راجع ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص289. الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب ص100.

أيدينا من طاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه)) فكتب اليهم يزيد((اني لم ارض ما صنع يزيد بن أبي مسلم))[1] واقر محمد بن يزيد على عمله[2].

هذا الأمر جعل الخليفة يتحرز من البربر، فرأى من الأصوب تغير سياسته تجاههم، فأقام عليهم بشر بن صفوان الكلبي 102 – 109هـ الذي كان والياً على مصر[3]، ويرى د. عبد الواحد ذنون[4] ان هذه الروايات غير صحيحة أو ان فيها شيئاً من المبالغة، لكون الفترة التي قضاها يزيد بن أبي مسلم في بلاد المغرب كانت قصيرة لا تتسع لكل هذه الأعمال كما انها تتعارض مع شرائع الدين الإسلامي ومع عادات وتقاليد العرب، وقد ذكر ابن عبد الحكم[5] ان الذي قتل يزيد بن أبي مسلم هو عبد الله بن موسى بن نصير وكان ذلك هو سبب قتله من قبل بشر بن صفوان بأمر الخليفة.

كان لمقتل والي المغرب آثره في نفسية الوالي الجديد الذي اتعظ من سياسة ومصير من سبقه فاستخدم سياسة التهدئة مع البربر، وتوخى العدل والمساواة بين العرب والبربر[6] وحمل نصارى أفريقية والمغرب على دفع الجزية مضاعفة[7] إلا انه مع ذلك سعى لاستعادة الخلافة هيبتها في البلاد حتى يشعر أهل المغرب ان سيادة الدولة ما زالت قوية كما كانت، كما انه أرسل جيشاً لفتح سردينية[#] بقيادة يزيد بن مسروق، وهو احد

---

(1) ابن الاثير، الكامل ج4 ص182. ابن خلدون، العبر ج4 ص403.

(2) السلاوي، الاستقصا ج1 ص103.

(3) الكندي، القضاة والولاة ص53. ابن ابي دينار، المؤنس ص38.

(4) ذنون، الفتح والاستقرار ص355.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس ص90.

(6) خليفة، تاريخ خليفة ج2 ص276. الكندي، الولاة والقضاة ص54.

(7) بل، الفرق الإسلامية ص103.

(#) سردينية: جزيرة مشهوره في البحر المتوسط يكثر فيها المرجان يبلغ طولها تسع وعشرون درجة ودقائق، والعرض يقارب هذا. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص143.

قادة الجيش الإسلامي منذ أيام موسى بن نصير[1]، وقد انصب اهتمام بشر بن صفوان في هذه الفترة إلى غزو الجزر في البحر المتوسط، وفي إحدى هذه الغزوات وفي اثناء عودته اضطربت الأحوال الجوية مما أدى إلى هلاك كثير من جيشه[2]، ولم تشر المصادر إلى قيامه بأعمال عسكرية داخلية، وبقي الأمر على ما هو عليه حتى توفي سنة 109 هـ، وقد استخلف على القيروان العباس بن باضعة الكلبي، وقد بقي في منصبه إلى حين وصول الوالي الجديد[3].

بعد السنوات السبع التي قضاها بشر بن صفوان في ولاية المغرب والتي تعد من الفترات المستقرة في المغرب ولي عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وهو أخو الأعور السلمي صاحب خيل معاوية يوم صفين[4] وامتدت فترة حكمه من 110هـ - 115هـ، وقد عرف بحسن الرأي والحزم[5]، إلا انه استخدم سياسة القسوة والشدة مع البربر فأسرف في قتلهم وسبي نسائهم، ويبدو انه قاتل القبائل التي لم تدخل الإسلام[6]، وسارت الأمور في المغرب من سيء إلى أسوأ فكان هم الولاة فرض الضرائب بشتى الوسائل من أجل تغطية نفقات الخلافة المتزايدة[7]. مما أدى إلى تقبل البربر لفكر الخوارج فإذا كانت

---

(1) عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ج1 ص264. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص209

(2) خليفة، تاريخ خليفة ج2 ص338. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص217.

(3) خليفة، تاريخ خليفة ج2 ص352. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص216. الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب ص102. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص49. ابن ابي دينار، المؤنس ص39.

(4) الرقيق القيرواني،، تاريخ أفريقية والمغرب ص104. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص50، وقيل انه ابن اخي الاعور السلمي. راجع النويري نهاية الارب ج24 ص57.

(5) ابن ابي دينار، المؤنس ص39.

(6) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص211. مؤنس، فجر الأندلس ص161.

(7) ذنون، الفتح والاستقرار ص355.

(#) صقلية: بثلاث كسرات مع تشديد اللام والياء وهي جزيرة في البحر المتوسط قاعدتها بالرمو أو بلرم سكنها الفينيقيون ثم اليونان واسسوا بها المدن الزاهرة غزاها المسلمون سنة 212هـ يبلغ طولها

معاملتهم للمسلمين البربر على هذا النحو، فكيف تكون معاملتهم لأهـل الذمـة، فكانـت بالتأكيد أكثر قساوة.

أهتم عبيدة السلمي بإرسال الحملات العسكرية في البحر المتوسط، فأرسل المستنير بن الحارث الحرشي إلى صقلية[#]، لكن المراكب تعرضت للعواصف اثناء عودتها مما أدى إلى غرق الكثير منها، مما أدى إلى سجنه إلى حين مجيء الوالي الجديد[1]، وهناك روايتان حول عزله: الأولى ان عبيدة السلمي هو الذي طلب من الخليفة إعفاءه من الولاية[2]، أما الثانية فتقول انه عزل بسبب سوء معاملته للكلبيين[3].

من الأمور التي يلجأ اليها الخلفاء هي تغيير ولاتهم وعمالهم في الأمصار من أجل تهدأت الأوضاع فيها وامتصاص الغضب الناجم عن سياسة الوالي السابق لذا عمدت الخلافة إلى تولية عبد الله بن الحبحاب الموصلي مولى بني سلول[4] عام 116هـ - 123هـ كان رجلاً بليغاً حافظاً لأيام العرب واشعارها[5]. جمع ابن الحبحاب إلى جانب ولاية

---

مجراوان وعرضها مجرى وقليل. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص168. الحميري، الروض المعطار ص366.

(1) خليفة، تاريخ خليفة ج2 ص355. ابن ابي دينار، المؤنس ص39. السامرائي، تاريخ المغرب العربي ص111.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص217-218. مؤنس، فجر الأندلس ص161.

(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ص18.

(4) وقد ذكره الازدي بانه الحجابي: الموصلي. راجع الازدي ابي زكريا يزيد بن اياس بن القاسم ت334-945. تاريخ الموصل تحقيق د. علي حبيبة، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة 1387-1967 ص35. ابن الاثير، الكامل ج5 ص185. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج1 ص266. الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى غزو النورمندي، دار الرشيد للنشر – بغداد 1980 ص28.

(5) النويري، نهاية الأرب ج24 ص58.

المغرب ولاية مصر التي كان والياً عليها، وبذا يكون ابن الحجاب قد حكم الجزء الغربي من الدولة العربية الإسلامية[1].

إلى جانب علمه ونجاحه في إدارة ولاية مصر، إلا انه اشتهر أيضاً بشدته وقسوته[2]. متعصباً للعرب على البربر، وفي أيامه تم افتتاح سرقوسة[#] بعد ان أرسل جيشاً بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري، واخذ الجزية من أهل الذمة[3]، ولم تذكر المصادر كمية الأموال المأخوذة، كما أنه أرسل جيشاً بقيادة حبيب بن أبي عبيده الفهري لفتح بلاد السوس وأرض السودان[4]، ويبدو ان هذه المناطق لم تدخل في الإسلام عند فتح موسى بن نصير لها، وقد تكون ارتدت هذه البلاد عن الإسلام، كما جدد دار صناعة السفن وبني جامع تونس[5]. وضبط أمور الولاية المالية حتى بلغ خراج[6] مصر والمغرب في أيامه الف وسبع مائة الف وثلاثة وعشرين الف وثمان مائة وسبعة وثلاثين ديناراً[7].

---

(1) مؤنس، فجر الأندلس ص161.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص51. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص212.

(#) سرقوسة: بفتح اوله وثانيه وهي من اكبر مدن صقلية وعاصمتها قديماً وتقع على الساحل الشرقي والدخول اليها والخروج منها يكون من باب واحد هو من جهة الشمال. راجع المقدسي، احسن التقاسيم، ج2 ص30. ابن الخطيب، اعمال الأعلام ق3 ص28 هامش المحقق.

(3) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص108. ابن الأثير، الكامل ج5 ص191. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص51. ابن خلدون، العبر ج4 ص405. ابن ابي دينار، المؤنس ص40-41. دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا ص147-148. الدوري، صقلية ص29.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس ص94. ابن خلدون، العبر ج4 ص404. الجنحاني، القيروان ص46.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص51. ابن خلدون، العبر ج4 ص404-405. الجنحاني، القيروان ص46. الجمل المغرب العربي الكبير ص10.

(6) الكندي، القضاة والولاة ص59.

(7) ابن خرداذبه، المسالك والممالك ص153.

ومن الأخطاء التي رافقت ولاية ابن الحبحاب، هو اختياره لعمال غير أكفاء في إدارة أمور البلاد، فعين ولده إسماعيل على طنجة ثم عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة في البربر[1] لتعصبه للعرب. وأراد تخميس البربر فزعم انهم فيء للمسلمين[2]، وإنما كان من قبله يخمسون من بقي على دينه[3]، وربما كان ذلك ارضاءاً لأسيادهم في بلاد الشام، فقد ذكر ابن عذاري[4]((انه لما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة)) ومن هذا يفهم ان سياسة الظلم قائمة سواء كانت بعلم الخلافة أو بأمرها، وبذا تكون الخلافة قد تحملت وزراً واثماً بسبب الظلم الواقع على الرعية الذي هو نتيجة لسوء اختيار الولاة.

وقد شمل ظلمه وتعسفه أصحاب المواشي فكان الخليفة يحب جلود الخرفان العسلية، وذكر صاحب أخبار مجموعة[5] انه كانت((تذبح مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلد واحد)) وهذا مما أدى إل خسارة أعداد كبيرة من الخراف تذهب سدى مما اثارة حفيظة البربر، رافق ذلك إرهاق أصحاب المهن والحرف والفلاحين بالضرائب من أجل تجهيز الجيوش وحمل الأموال إلى دمشق مرضاة للأمراء، وابقائاً لهم في مناصبهم[6]، من جانب اخر لعب الفكر الخارجي دوراً في تأجيج هذا الصراع، وظهرت كذلك أفكار الصفرية والاباضية، وقد ظهر تيار اخر تزعمته برغواطة والذي يدعو إلى اقامة حكومة بربرية

(1) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس ص94. ابن خلدون، العبر ج4 ص405.

(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص190. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص51-52. لقبال، المغرب الإسلامي ص144. خطاب، قادة الفتح ج1 ص177.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص52. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص299.

(4) البيان المغرب ج1 ص52.

(5) اخبار مجموعة ص32. ابن خلدون، العبر ج6 ص240.

(6) الجنحاني، القيروان ص46.

دينها الإسلام المتبربر، قانونها مستمد من شريعة صالح بن طريف المسمى بصالح المؤمنين[1].

ان الغريب في الأمر ان جماعات الصفرية[#] والاباضية[#)(#] والتي قامت أساسا ضد الظلم والتعسف فاقت قسوتها وظلمها فرقة الازراقة في المشرق وشمل ظلمهم العامة من الناس[2].

## انتفاض البربر على الدولة الأموية

لم يستسغ البربر سياسة الدولة الاموية تجاههم. خصوصاً بعد ان شعروا انهم همشوا من واقع الحياة السياسية مما اضغن صدورهم، فثار هؤلاء على الدولة، ومن أهم أسباب انتفاضة البربر:-

1- السياسة الظالمة التي انتهجها الولاة وخصوصاً عبد الله بن الحبحاب وعماله في المغرب وبالأخص عامله في طنجة عمر بن عبد الله المرادي

2- فرار عدد كبير من العلويين والخوارج إلى الجزء الغربي من الدولة العربية الإسلامية، بسبب اضطهاد الدولة لهم فطلبوا الآمان لدى البربر.

لقد سبقت العمليات العسكرية التي قام ميسرة المطغري[#]، ان أرسلوا وفداً إلى الخليفة من أجل رفع مظلمتهم له، ولكنهم لم يجدوا من الخليفة اهتماماً بهم مما زاد

---

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص182.

(#) الصفرية: نسبة إلى زياد بن الاصفر، وقيل انهم سموا بذلك لأنهم قوم هتكتهم العبادة حتى اصفرت وجوههم، وقيل انهم سموا بذلك لخلوهم من الدين اذا قيل لرجل منهم انت والله صفراً من الدين.

(#)(#) الاباضية:سموا بذلك نسبة إلى عبد الله بن اباض راجع في ذلك البغدادي، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت 429هـ الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، بد ص309 وص103-104. دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج1 ص284. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص302.

(2) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص219.

الوضع سوءاً[1] ويبدو ان هذه الروايات تنقصها الدقة، حيث لم يذكر لنا كتب التاريخ ان خلفاء المسلمين تجاهلوا شكوى المظلومين خصوصاً وان الأمر لا يمكن التهاون فيه[2].

لم تقتصر ثورة البربر على بلاد المغرب الأقصى، انما شملتبلاد افريقية والاندلس، مما حدى بالخلافة إلى تعيين كلثوم بن عياض القشيري[#] 123هـ[3]. وهو رجل متعصب لعروبته وقيسيته[4]، وقد عامل البربر معاملة أهل الذمة والزمهم بدفع الجزية[5]، حيث اعتبرهم أنهم أقل مكانة من العرب، عامل بلج بن بشر ابن أخي كلثوم الأفارقة والبربر بقسوة وجفاء[6]، دارت معركة كبيرة بين العرب وبين البربر عرفت بمعركة بقدورة، وتقع بالقرب من نهر سبو وقتل جميع قادة الجيش باستثناء بلج بن بشر[7].

---

(1)#) مطغرة: من قبائل البربر البترية، وكان ميسرة هذا شيخ هذه القبيلة، وهم من ولد فاتن بن جريس بن زحيك بن ماذغيس الابتر. راجع البكري، المغرب ص134. ابن خلدون، العبر ج6 ص118.

1 دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص248-249. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص304.

(2) السامرائي، تاريخ المغرب ص116.

(3)#) كلثوم بن عياض القشيري: هو كلثوم بن عياض وحوح بن قيس بن الاعور بن كعب بن ربيعة بن صعصة. راجع ابن خلكان، وفيات الاعيان ج3 ص276.

3 ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص54. ابن ابي دينار، المؤنس ص41.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص54. ابن ابي دينار، المؤنس ص41. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص302.

(5) الجيلالي، تاريخ الجزائر ص203-204.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص54. ابن ابي دينار، المؤنس ص 41. سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج2 ص302

(7) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ص14. مجهول، اخبار المجموعة ص34. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص55. النويري، نهاية الأرب ج24 ص61. ابن ابي دينار، المؤنس ص363. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص223-225. ذنون، الفتح والاستقرار ص363. جوليان، تاريخ أفريقية الشمالية ج2 ص37.

بعد هذه الاحداث عين الخليفة حنظلة بن صفوان الكلبي 124هـ[1] وقد امتاز بأنه لم يكن متعصباً لأي فئة أو طائفة دينية وهذا ما انعكس على سياسته في بلاد المغرب. وقد استطاع حنظلة من التغلب على البربر في مواقع عديدة منها موقعة القرن 125هـ[2] ومعركة الاصنام 125 هـ[3]. وقد قتل قادة التمرد في هذه التمرد في هذه المعارك، وقد انحسر فكر الخوارج في بلاد المغرب ولو مؤقتاً[4].

ظهر أطماع عبد الرحمن بن حبيب الفهري في ولاية المغرب، فأراد القتال لذلك، ولكن حنظلة بن صفوان أبى ان يقاتلهم، وكان يرى إن القتال لا يكون إلا لكافر أو خارجي[5]، وعمل عبد الرحمن على خلعه فكان له ما أراد. وقد ارسل الهدايا للخليفة ليعبر فيها عن حسن نيته والطاعة له، فاقره الخليفة على الولاية[6].

**ثالثاً: عصر الولاة منذ سقوط الدولة الأموية وحتى ظهور الدول المستقلة.**

كانت أزمة الحكم الأموي في دمشق ومن ثم سقوطه عام 132هـ ومن ثم قيام الدولة العباسية، والمشاكل التي عانت منها في بداية آمرها، وأيضاً الاضطرابات والحروب التي عصفت ببلاد المغرب جعلته ينعزل بعيداً عن الدولة العباسية.

---

(1) الكندي، الولاة والقضاة ص62. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص58. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص227.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص223. الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص116. ابن عذاري، البيان المغرب، ج1 ص63.

(3) خليفة، تاريخ الخليفة، ج2 ص371. الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص118. ابن الاثير، الكامل، ج5 ص195. الدباغ، معالم الإيمان، ج1 ص289.

(4) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس ص75.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والاندلس ص106. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص60. النويري، نهاية الارب ج24 ص64. الدوري، عبد الرحمن الداخل ص36. جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج2 ص23

(6) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص61. النويري، نهاية الارب، ج24 ص66.

ما ان قامت دولة بني العباس حتى سارع ابن حبيب إلى إرسال الهدايا والأموال مشفوعة بالطاعة والولاء لهم، حتى انه اخذ يتعقب الأمويين الفارين نحو المغرب[1].

كان لانشغال الدولة العباسية الناشئة في تثبيت سلطانها بالمشرق، فلم يتغير الوضع بالمغرب حيث بقي كما هو الحال عليه إلى حين تولي الخلافة من قبل أبو جعفر المنصور 136-158 هـ، فكتب إلى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه فيه إلى الطاعة والولاء إلى بني العباس، وأرسل له الخلع، لكنه كما يبدو كان مشروطاً بجباية الأموال وإرسالها إلى قصر الخلافة، فقد ذكر المؤرخون ان عبد الرحمن أرسل إلى الخليفة قائلاً((ان أفريقية اليوم إسلامية كلها وقد انقطع السبي منها والمال فلا تطلب مني مالاً))[2] من هذا يفهم أن أهل الذمة قليلون في بلاد المغرب، ولا توجد جزية بسبب انتشار الإسلام، وبالمقابل فان الخراج والجزية هما عصب الحياة بالنسبة للدولة، وعلى هذا فان العلاقة كانت تقوم في الغالب على تبادل المنفعة، ولكن يبدو ان العباسيين وولاتهم لم يعوا ان سبب خروج البربر في المغرب على بني أمية هو سبب تعسفها في جباية الأموال على المسلمين وأهل الذمة والضرائب الثقيلة التي فرضت على أهل المهن والحرف والفلاحين، وهذا مما زاد الأمر سوءاً، ولا نبالغ حين نقول ان اهتمام الخلافة الأموية والعباسية كان مقتصراً على كمية الأموال التي تأتي من بلاد المغرب بالإضافة إلى الهدايا التي كان يرسلها اليهم ولاتهم[3].

كان جواب عبد الرحمن بن حبيب الشرارة التي أوغرت صدور الطرفين، قابله الخليفة المنصور بالتهديد والوعيد، وهو الذي ساعد الدولة العباسية في القضاء على فلول

(1) ابن الاثير، الكامل ج5 ص494. ابن الابار، الحلة السيراء ج1 ص35.المقري، نفح الطيب ج1 ص333. ذنون، الفتح والاستقرار ص416.

(2) ابن الاثير، الكامل ج4 ص280. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص67. النويري، نهاية الآرب ج24 ص66.

(3) الجنحاني، القيروان ص44. قاسم، اليهود في مصر ص6.

بني أمية، فما كان منه إلا ان يخلع بيعته لبني العباس (اني ظننت ان هذا الخائر يدعو إلى الحق ويقوم به حتى يتبين لي خلاف ما بايعته عليه من إقامة العدل، واني الآن قد خلعته كما خلعت نعليّ هاتين))[1] وقذفه من رجله، ثم دعا بخلع السواد[2]، هذا العمل الذي قام به ابن حبيب استغله منافسوه وأعداؤه حتى استطاع أخوه الياس من قتله وتولى أمر الولاية بعده

بقيت بلاد المغرب تعج في فوضى شاملة، وانتشرت المظالم، وبدأ ظهور الخوارج بقوة على الساحة العامة، وأصبح موقف الخلافة ضعيفاً فلم يكن لها تأثير قوي في هذه البلاد[3].

وصلت الأمور في بلاد المغرب إلى حد يجب فيه على الخلافة اتخاذ موقف حازم وجاد، وإلا سوف تكون بوادر انحلال الدولة الجديدة، فبعد تداعيات الأحداث هناك ألقت الفوضى بظلالها على بلاد المغرب وسيطر الخوارج على مجريات الأحداث فيها، فعاثوا في الأرض فساداً، فذهب وفد من عرب المغرب لمقابلة الخليفة المنصور واطلاعه على أوضاع المغرب الإسلامي، فقلد أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي ولاية المغرب بالإضافة إلى ولاية مصر، وكان هذا عام 144هـ، وقد استتب له الأمر لسنوات عديدة[4]، فبنى سور القيروان وأعاد تنظيم البلاد، كما أعاد فتح زويلة وودان[5]، ويبدو انها نقضت الصلح مع المسلمين أو انها ارتدت عن الإسلام.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص76. النويري، نهاية الأرب ج24 ص66. مع اختلاف اللفظ

(2) النويري، نهاية الارب، ج24 ص66.

(3) الجنحاني، القيروان ص50.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص72. النويري، نهاية الارب ج24 ص73. ابن ابي دينار، المؤنس ص46. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص250. الجنحاني، القيروان ص50.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص72-73. النويري، نهاية الارب ج24 ص75.

اتبع ابن الأشعث سياسة الشدة مع البربر حتى أذعنوا له، إلا ان ذلك اثار حفيضة الحرس فثاروا عليه فخلعوه، كما ان التنافس بين المضرية واليمانية لعب دوراً كبيراً في هذه الأحداث حيث عادت روح التحاقد والتباغض من جديد[1].

لما بلغ المنصور خبر عزل ابن الأشعث عن ولاية أفريقيا والمغرب، بادر إلى تعيين الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي 148-150هـ وكان من أهل الرأي والمشورة، وقد أوصاه بالعدل في الرعية والإحسان اليهم، وكان سبب اختياره له كونه مضرياً، كونهم هم الذين أججوا الموقف ضد ابن الأشعث فاستقامت له الحال فترة من الزمن، فثارت عليه بعد ذلك الصفرية وبقي يقاتلهم حتى مقتله[2]، ثم ولى منصور عمر بن حفص بن قبيصة فأقام في ولايته ثلاث سنين وكان بناءه لمدينة طبنة[#] من أهم أعماله، كما اشتهر بعدله في رعيته[3].

ثار الصفرية على ابن قبيصة وقاتلهم قتالاً شديداً وكان الانتصار له في أول الأمر لكنهم عاودوا الكرة عليه مرة أخرى حتى اضطروه إلى التحصن في القيروان وكان حصاراً شديداً فاضبطروا إلى أكل كل شيء، وقد قتل في أحدى المعارك اثناء محاولته فك الطوق الذي ضربه البربر على أهل القيروان[4].

تولى أمر أفريقية والمغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة، وذكر ابن أبي دينار[5] انه ابن عم عمر بن حفص، وكان شديد الشبه بجده المهلب بن أبي صفرة، عمل على القضاء على الاباضية والصفرية حتى أثخن فيهم قتلاً، فاستكانت له البلاد، وقسم الصناعات

---

(1) ابن الاثير، الكامل ج4 ص284. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص260.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص74. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص265.

(#) طبنة: بضم الطاء وسكون الباء وفتح النون كانت عاصمة لبلاد الزاب وقد اشتهرت بعلمائها ورجالاتها. راجع الادريسي، نزهة المشتاق ص65.

(3) ابن ابي دينار، المؤنس ص46.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص76. النويري، نهاية الارب ج24 ص81-82.

(5) المؤنس ص46.

والحرف لكل منها سوقاً خاصة، وظل المغرب ينعم بالأمان والطمانينة طيلة فترة حكمه إلى حين وفاته 170هـ[1].

بعد وفاته ولي الخليفة هارون الرشيد 170-193هـ روح بن حاتم بن قبيصة، وقد شهدت بلاد المغرب هدوئاً نسبياً، فهادن الاباضية، وفي أيامه ظهرت الدولة الادريسية[2]، وتولى بعده أمر افريقية والمغرب الفضل بن روح بن حاتم وكان عاملاً لأبيه في بلاد الزاب[(#)(3)]، ثم تولى بعده هرثمة بن اعين الهاشمي[4]، وقد أمن الناس وأحسن اليهم[5]. وبعدها تولى الأمر هناك محمد بن مقاتل العكي اخو هارون الرشيد من الرضاعة، فأساء السيرة في بلاد المغرب وكثرت المظالم فعزله الرشيد[6]، وقد ولى إبراهيم بن الأغلب على افريقية والمغرب[7] وهو جد الاغالبة في بلاد المغرب والتي امتدت إلى سنة 296 هـ، وبدأ عصر الانقسام حيث ظهرت دول مستقلة أو شبه مستقلة بالإضافة إلى الأندلس التي انسلخت عن جسم الدولة العباسية منذ زمن.

---

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص9. النويري، نهاية الأرب ج24 ص85-86.ابن ابي دينار، المؤنس ص47. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص357.

(2) ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص10. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص273.

(#) بلاد الزاب: وتشغل مساحة واسعة من جنوب جبال الاوراس ومن اشهر مدنها طبنة والمسيلة وتشتهر بزراعة النخيل. راجع التعريف بأبن خلدون ص216

(3) النويري، نهاية الأرب ج24 ص90.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص86. النويري، نهاية الأرب ج24 ص95.

(5) سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص362.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص89. ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص11. النويري، نهاية الأرب ج24 ص96. ابن ابي دينار، المؤنس ص48. الجنحاني، القيروان ص51. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص275.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص89. ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق3 ص13. ابن ابي دينار، المؤنس ص49. الجنحاني، القيروان ص52.

هناك بعض الأمور التي أفرزتها فترة حكم الولاة في بلاد المغرب، فالسياسة التعسفية التي انتهجها أكثر ولاة المغرب جعلت البربر ينفرون من العرب ويحملون السلاح ضد الدولة الإسلامية، والأمر المهم الذي لمسناه هو تفضيل العنصر العربي على البربري في إدارة أمور الولاية، بحيث اننا لم نجد أي والي من أصل بربري يحكم بلاد المغرب، وهو الأمر الذي أدى بدوره إلى امتعاض البربر وتحاملهم على العرب، بل اننا نجد ان الصراع بين المضرية واليمانية وغيرها قد أخذ جانباً من هذا الصراع، وهو مما اضعف دور العرب هناك، وقد جر ذلك إلى سلسلة حروب استمرت أعواماً طويلة استنزفت الكثير من الأموال والرجال، واثرت على عملية البناء والتطور، بالإضافة إلى ما رافقها من ظلم وجور وتعسف على الأقليات من أهل الذمة وغيرهم، وكان ذلك كله نتيجة اهتمام الدولة بالجانب المالي وجباية الأموال والضرائب، والذي قاد البربر إلى التفكير بان العرب المسلمين لم يكن همهم إلا التفكير بطريقة جمع الأموال وما يرافقها من ظلم وجور مما زاد الأوضاع سوءاً.

كل هذه الأسباب جعل البربر يتقبلون فكر الخوارج وظهور النزعة الاستقلالية عن جسم الدولة، وهذا ما عجل بظهور الدول المستقلة أو شبه المستقلة في وقت مبكر من عمر الدولة العباسية إذا ما قورنت بالدويلات التي ظهرت في المشرق.

# الفصل الثالث

## الدول التي ظهرت في المغرب الأقصى من نهاية عصر الولاة حتى نهاية عصر الموحدين ومعاملتها لأهل الذمة

# الفصل الثالث

# الدول التي ظهرت في المغرب الأقصى من نهاية عصر الولاة حتى نهاية عصر الموحدين ومعاملتها لأهل الذمة

إذا عدنا لذكر الصراع القائم بين العرب وأهل المغرب من البربر فلسنا نقصد به ذلك الصراع الديني، وبذلك يكون السبب حكمنا عليهم، بأنهم جهلوا الإسلام فعادوه، وإنما كان سبب الصراع سياسيا، ولعل مثار النزاع بين الجانبين يعود لاستئثار العرب بالمناصب المهمة وبالمقابل إهمال البربر، حتى ظهرت المطالبة بالمساواة في الحقوق. فلم نجد منهم من تسلم منصبا في ولاية المغرب بالرغم من كون بعضهم شارك في عمليات الفتح منذ أيامه الأولى. وقد تولد لديهم شعور بأن بمقدورهم حكم أنفسهم بأنفسهم، وخصوصا وأن البربر من الجنس الذي لا يستكين لحاكم.

من الأمور اللافتة إن جميع الدول التي ظهرت في المغرب الأقصى ضمن فترة الدراسة قد أخذت من الجانب الديني أساسا لقيامها، بما فيها الدولة الإدريسية التي اعتمدت على نسبها الشريف. وأيضا ظهور دول استخدمت الإسلام كغطاء لها وهي في واقع حالها بعيدة كل البعد عن الإسلام. مثل برغواطة الضالة.

في دراستنا لهذا الفصل لم نتطرق إلى قيام الدولة الفاطمية التي ظهرت في بلاد المغرب وهذا لأن وجودها كان مرحلة مؤقتة انتقلت بعدها إلى القيروان ومن ثم إلى مصر لتتخذها داراً لملكها.

## أولاً : إمارة برغواطة الضالة 125هـ - 542هـ ومعاملة الدول لها

ظهرت برغواطة على المسرح السياسي أوائل القرن الثاني للهجرة وبقيت إلى منتصف القرن السادس الهجري، وقيل إنها امتدت لأبعد من ذلك، ولم تتطرق المصادر العربية القديمة لها إلا بشكل ثانوي، ولم تعرها ذلك الاهتمام عند ذكرها لأحداث تلك

البلاد، وربما يعود السبب في ذلك، إلى انغلاق الجماعة على نفسها وانحسارها في منطقة واحدة، وقد يكون أن المسلمين اعتبروهم مرتدين عن الإسلام فلا يستحقون عقابا سوى الموت.

المهم في الأمر هل إن برغواطة قبيلة؟ أم إنها أجناس من أخلاط شتى لا يجمعها إلا إيمانها بدينها ومذهبها؟.

فقد رأى ابن حوقل وابن عذاري[1] أنهم من قبائل البربر تتوطن هذا المكان، أما صاحب الاستبصار[2] فيرى أنهم من زناته. فيما أعتبرهم ابن خلدون[3] أنهم من جيل المصامدة الأول، ويرى البعض بأنه لم يكن اسما لقبيلة معينة يجمعها أصل واحد، بل كان اسما يطلق على أخلاط شتى انطوت تحت هذه الديانة[4]، وإنما سمو برغواطة نسبة إلى صالح بن طريف البرباطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ فيه وهو برباط[#] وسمي من اتبع هذه الملة بربط فعُرِّبت حتى أصبحت برغواطة. وقد سماها البعض بلغواطة[5].

---

(1) صورة الأرض ص 82 – 83. البيان المغرب ج1 ص57

(2) الاستبصار ص197

(3) العبر ج6 ص428. انظر أيضا السلاوي، الاستقصا ج1 ص114

(4) البكري، المغرب ص138. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص 130، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص180.

(#) برباط: من قرى وادي برباط تقع بالقرب من شيرش على وادي بكة والذي حدثت فيها المعركة الفاصلة بين طارق بن زياد وملك القوط. راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص182.

(5) ابن دحية، ذي النسبين أبي الخطاب عمرو بن حسن ت633هـ المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الابياري وحامد عبد الحميد وأحمد بدري، وراجعه طه حسين 1993 ص119.

إن مؤسس هذه الإمارة هو صالح بن طريف البرغواطي وهو من أصل يهودي من سبط شمعون[1]. وذكر ابن حوقل[2] إنه صالح بن عبد الله، وكان أبوه أحد أصحاب طارق بن زياد والذي نسبت إليه جزيرة[3]((طريف))[#]. وقال آخرون أن والده كان صاحب ميسره الحقير[4].

كان صالح بن طريف رجل من أهل الخير ودرس التنجيم والفلك في العراق[5]. وقد ذكر ابن الخطيب[6] أن خروجه كان في عهد هشام بن الحكم، وربما أنه وقع في

(1) مجهول، الاستبصار ص197. عبد الحميد، تأريخ المغرب العربي ج2 ص431 – 433. الجمل، إبراهيم محمد حسن الإمام عبد الله بن ياسين الفقيه، المفكر والداعية والقائد المجاهد.... 451هـ دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع القاهرة 1981م، ص 110 . حمودي، اسراء طارق، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وسياسته في المغرب والأندلس 400هـ – 500هـ / 1009 – 1106م رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات – جامعة الأنبار 2002م، ص17

(2) صورة الأرض ص85.

(3) البكري، المغرب ص135.

(#) طريف: جزيرة على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربها ببحر الظلمة وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب ويشقها نهر صغير ويسمى باسم القائد الذي نزل بها ويدعى طريف ويكنى أبا زرعة. راجع الحميري، الروض المعطار ص392.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض ص83، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص181. السلاوي، الاستقصا ج1 ص115، التازي، التأريخ الدبلوماسي ج3 ص313.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض ص83، بل، الفرق الإسلامية ص173.

(6) أعمال الأعلام ق3 ص181.

(#) البلاد الشاوية: وهو الاسم الذي أطلق على المنطقة بعد تلاشي برغواطة وحل محلها الأعراب من بني هلال ثم انظم إليهم المغاربة وقد امتهنوا حرفة رعي الشياه. راجع العبادي، في تأريخ المغرب والأندلس ص35. أبو دياك، صالح فياض، الوجيز في تأريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين، ط1، مكتبة الكتاني 1988م ص269.

الاشتباه بين هشام بن الحكم وهشام بن عبد الملك حيث إن خروجه كان في زمن حنظلة بن صفوان.

نشأت هذه الديانة أو الإمارة في بلاد تامسنا أو ما تسمى بالبلاد الشاوية[#] وكانت حدودها تمتد ما بين سلا وآسفي على ساحل المحيط الأطلسي. وما بين مراكش وجبل درن نحو الداخل واتخذوا من مدينة شالة عاصمة لهم. ولم تكن حدود هذه الإمارة ثابتة فقد كانت تتسع في بعض الأحيان حتى تصل إلى مدينة الرباط الحالية ويبدو أنها كانت رباطاً لجهاد برغواطة[1] كما إنها كانت تمتد في الداخل لمسافات طويلة وأنهم أرغموا أهل هذه البلاد على التدين بديانتهم، وفي بعض الأحيان تنكمش مساحتها وهذا يعود إلى طبيعة الحالة السياسية والعسكرية التي تكون بين المد والجزر[2].

يبدو أن طبيعة المنطقة هي التي جعلتها تعمر طويلا. حيث أن المنطقة تنحصر من ثلاث جهات تقريبا بسلاسل جبلية متشعبة، ويحدها ساحل البحر من جهة الغرب وهذا الموقع جعل من الصعوبة على الجيوش المقاتلة اختراق هذه الجبال وإن ذلك سوف يكلفها الكثير وفي المقابل جعل من السهل على أهل هذه البلاد الدفاع عن أنفسهم، الأمر المهم الآخر هو وجود السهول الفسيحة الخصبة جعلت المنطقة تكتفي ذاتيا بما تنتجه من محاصيل، بل تعداه الأمر في بعض الأحيان أن قاموا بعملية المتاجرة مع البلدان المجاورة[3].

## ديانة برغواطة

كانت تعاليم صالح بن طريف تتنافى جملة وتفصيلا مع تعاليم الإسلام. فبالرغم من إيمانه بجميع الأنبياء إلا أن ذلك كان مقرونا بالإيمان بنبوته، وألف لهم قرآنا بلغتهم

(1) العبيدي، إبراهيم خلف، البرغواطيون في المغرب العربي 125 – 542هـ، مجلة المؤرخ العربي، ع29س12 – 1406هـ – 1986م، ص183.

(2) بل، الفرق الإسلامية ص174

(3) البكري، المغرب ص141. الجمل، عبد الله بن ياسين ص110. العبيدي، البرغواطيون ص184.

البربرية، ويتألف من ثمانين سورة، تحمل قسما منها أسماء الأنبياء كآدم وإبراهيم وعيسى وموسى وقسم آخر أسماؤها على أسماء الجبابرة والطغاة مثل سورة فرعون وهامان والنمرود وإبليس بالإضافة إلى أسماء بعض السور التي كانت أسماؤها على أسماء الحيوانات كالديك والحمار والجراد وغيرها. وادعى أنه يوحى إليه في كل خطبة[1].

ولم يقتصر صالح بن طريف على القرآن بل وضع لهم مجموعة من السنن يتبعونها منها كيفية الوضوء والصلاة وأوقاتها، وقد أباح لهم تعدد الزوجات وحرم عليهم ذبح الديك وغيرها من المعتقدات[2].

بعد إكماله لتعاليمه توجه صالح بن طريف لحو المشرق ووعدهم أنه سيعود في دولة السابع منهم وأنه المهدي الذي سيقتل الدجال، وعهد بالأمر من بعده إلى ولده الياس[3] وأمره بموالاة أمير الأندلس[4]. وتعاقب من بعده عدة أمراء كلهم أظهر تمسكا بهذا الدين، بل إننا لجد أبو غفير قد قاتل البربر حتى أثخن فيهم من أجل نشر ديانته[5]، حتى قال فيه الشاعر سعيد بن هشام المصمودي[6] في قصيدة طويلة:

---

(1) ابن حوقل، صورة الأرض ص83. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص227. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص182 – 183. السلاوي، الاستقصا ج1 ص114 – 116. عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص433. الجمل، عبد الله بن ياسين ص110 – 111

(2) البكري، المغرب ص138 – 139. الجمل، عبد الله بن ياسين ص111.

(3) البكري، المغرب ص135. السلاوي، الاستقصا ج2 ص16. الجمل عبد الله بن ياسين ص112.بل، الفرق الإسلامية ص174.

(4) البكري، المغرب ص135

(5) أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف، البكري، المغرب ص136. مجهول، الاستبصار ص198. الجمل، عبد الله بن ياسين ص112 – 113

(6) وقد ورد أختلاف في بعض الأحيان. راجع البكرى، المغرب ص138. السلاوي، الاستقصاج2 ص17. كنون، النبوغ المغربي ج3 ص251. الجمل، عبد الله بن ياسين ص113. بل، الفرق الإسلامية ص183.

وهـــذه أمــة هلكــوا وضـــلوا ... وخـــابوا لا ســـقوا مـــاءاً معينـــا

يقولـــون الـــنبي أبـــو غفيـــر ... فأخـــــزى الله أم الكاذبينـــــا

ســـيعلم أهـــل تاسمنـــا إذا مـــا ... أتـــوا يـــوم القيامـــة مفظعينـــا

هنالـــك يـــونس وبنـــو أبيـــه ... يقـــودون البرابـــر حائرينـــا

إن أهم ما تميزت به دولة برغواطة عن غيرها، هو أن جميع الدول التي ظهرت في المغرب الأقصى حاربتها وحاولت اجتثاثها، وذلك لأنهم اعتبروها خارجة عن الإسلام ولا سبيل معهم إلا السيف والقتل كما فعل الصحابة، عندما ارتدت القبائل العربية بعد وفاة النبي[1]، لذلك فإننا لم نجد أي نوع من العلاقات الدبلوماسية مع دول المنطقة باستثناء دولة بني أمية في الأندلس في خلافة الحكم المنتصر[2] ت352هـ. كانت الدولة الادريسية هي السباقة في تلك الحروب، حيث قام إدريس الأول بقتالهم واستطاع دخول بلاد تامسنا. وقد ذكر المؤرخون أن في هذا الإقليم مجوسا[3]، وربما عدوهم كذلك لخروجهم عن الإسلام. فيما قال آخرون أن فيه يهود أو نصارى[4]، وقام بالشيء نفسه أدريس الثاني، فقاتلهم لكن لم يستطع القضاء عليهم[5]. وكان للفاطميين نصيب في قتال هذه الدولة، وإن لم يستطيعوا القضاء عليهم، بل أنهم أحرجوا الفاطميين في بعض الأحيان[6]، ومن ثم قاتلتهم صنهاجة بقيادة بلكين بن زيري وقد استطاع إلحاق الهزيمة

---

(1) السلاوي، الاستقصا ج2 ص17 – 18.

(2) البكري، المغرب ص134. عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص433. العبيدي، البرغواطيون ص181. بل، الفرق الإسلامية ص175.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض ص83. عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص334.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص20 .

(5) ابن الخطيب، اعمال الأعلام ق3 ص186.

(6) ابن خلدون، العبر ج6 ص433. الجمل، عبد الله بن ياسين ص114 – 115.

بهم إلا أنه لم يستطع القضاء عليهم[1]، وقاتلهم أيضا بنو يفرن بقيادة أبو كمال تميم اليفرني سنة 420هـ ومع أنه الحق بهم خسائر جمة إلا أنها بقيت محافظة على تعاليمها[2]. ولم يقتصر قتال برغواطة على أهل المغرب وإنما قاتلهم أهل الأندلس أيضا كما حدث في أيام المنصور بن عامر ت393هـ[3].

بالرغم من الضربات القاسية والموجعة التي تلقتها برغواطة إلا أنها بقيت صامدة لفترة طويلة إلى حين ظهور المرابطين في بلاد المغرب على المسرح السياسي، فبعد استكمالهم لبسط نفوذهم في المغرب الأقصى اتجهت أنظارهم نحو هذه الدولة الكافرة الخارجة عن ملة الإسلام، فجعلوا جهادها أمرا ضروريا، وقد استطاع عبد الله بن ياسين[#] ت450 هـ الخوض معهم في معارك عدة استطاع فيها المرابطون من استئصال شافتهم[4] عام 452هـ فيما أشار آخرون إلى أن نهايتهم كانت على يد الموحدين[5]. أما ابن الخطيب فيقول[6]((وقبيلهم اليوم قبيل ضعيف لعب سيف الملثمين فيهم، ثم سيف المهدي بعده)) ويبدو أنهم استمروا لفترات أطول من هذا.

---

(1) السلاوي، الاستقصا ج2 ص18.

(2) البكري، المغرب ص141. ابن خلدون، العبر ج6 ص433. السلاوي، الاستقصا ج2 ص18.

(3) ابن خلدون، العبر ج6 ص433. السلاوي، الاستقصا ج2 ص18

(#) عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير الجزولي، واسم أمه تين يازامان وقد ورد اختلاف في القبيلة التي ينتمي إليها. راجع البكري، المغرب ص165. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص124.

(4) السلاوي، الاستقصا ج2 ص17 – 18. عبد الحميد، تاريخ المغرب ج2 ص433. محمود، دولة المرابطين ص212. الجمل، عبد الله بن ياسين ص117. حمودي، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ص17.

(5) ابن خلدون، العبر ج6 ص479. السلاوي، الاستقصا ج2 ص18. العبيدي، البرغواطيون ص196.

(6) أعمال الأعلام ق3 ص187

## ثانياً: الدولة الصفرية دولة بني مدرار 140 – 354هـ / 757 – 965م.

انتشر المذهب الصفري في بلاد المغرب الأقصى على أيدي العرب وغيرهم ممن اضطهدهم الأمويين في المشرق فلجئوا إلى بلاد المغرب. فاعتنق أهل البلاد هذه الأفكار بسرعة، وقد أعلنوا خروجهم على الدولة في فتنة ميسرة الحقير أو الصغير، وكان أول أمير لهذه الجماعة عيسى بن يزيد الأسود المكناسي وكان اختيارهم للأمير يتم لمبدأ الأكفأ والأتقى[1].

ارتأت هذه الجماعة أن تتخذ لها مقراً يكون بعيدا عن مراكز القوى، وعن أي خطر يشكل عليها، وقد وقع اختيارهم على موضع مدينة سجلماسة وكانت موضعا يرتاده البربر من أجل التسوق وهناك اجتمع الصفريون وسكنوا الخيام[2]. كان بناء المدينة بسيطا للغاية وذلك لطبيعة المنطقة حيث كانت أشبه بقرية في الصحراء[3]، وبقيت على حالها إلى حين مجيء أبي القاسم بن شمعون الملقب بمدرار بن واسول 155- 168هـ / 772-784م حيث وسع بناء المدينة وقام بتوسيعها الأمراء الذين أعقبوه في الحكم حتى وصفها ابن حوقل بأنها[4] ((مدينة جليلة الأهل فاخرة العمل)).

أصبحت سجلماسة مكانا يجتمع فيه كثير من القبائل البربرية وخاصة من بطون مكناسة وصنهاجة اللثام، كذلك جماعات من بلاد السودان، والأندلس، واليهود وقد أسهم الجميع في عمارة هذه المدينة[5].

بالرغم من موقع المدينة في الصحراء إلا أنها بلغت درجة كبيرة من التقدم والرقي الحضاري فأصبحت مقصد كثير من الناس وعلى رأسهم التجار، وبهذا فقد برزت بعض

(1) ضيف، عصر الدولة والإمارات ج10 ص267. سالم، تأريخ المغرب في العصر الإسلامي ص498.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص215

(3) مجهول، الاستبصار ص206. إسماعيل، الخوارج ص86

(4) صورة الأرض ص90

(5) إسماعيل، الخوارج ص206. عبد محمد، دراسات في تأريخ المغرب ص133.

العلاقات الجديدة ليس على مستوى الفرد والأسرة بل حتى مع الجماعات والأقليات الأخرى من أهل الذمة وخاصة اليهود[1]، وهذا ناتج عن طبيعة التركيبة السكانية الجديدة التي أصبحت عن أخلاط من أجناس مختلفة، والذي كان له دور في تطوير المدينة[2]، ولم يقتصر الأمر على مدينة سلجماسة كونها عاصمة لهم، ففي إقليم تبعصامت التابع لسلجماسة، كان يكثر فيه التجار الأجانب وخاصة اليهود بالإضافة إلى سكناهم في بعض الأماكن المخصصة لهم، وقد فرض أمراء هذه الدولة الجزية عليهم ولكننا لا نعلم مقدار تلك الجزية، كما فرض المسلمون عليهم المكوس على البضائع المارة في أراضيهم لقاء حمايتها وكان مقدارها ربع مثقال ذهب على كل جمل[3]، وكان لهم مقراً أيضا بإقليم تافيلالت[#][4]، وقد اشتهر اليهود بتجارة التبر واستخراجه من المناجم والمحاجر في منطقة درعة الغنية بالذهب، وكذلك لبراعتهم بصناعتها، ولم يتورعوا عن خداع الناس[5].

فيما يتعلق بالأمور الأخرى فقد اشتهر اليهود في تلك البلاد بمهنة البناء فكانت الدولة قد أجبرتهم على العمل في الكنافة والبناء لأنهم يعتبرونها من المهن الحقيرة[6]، وبرع اليهود من الصناعات اليدوية والحرفية كصناعة الأحذية[7]، وقد تسامح أهل هذه

---

(1) عبد محمد، دراسات في تأريخ المغرب ص134

(2) إسماعيل، الخوارج ص206. عبد محمد، دراسات في تأريخ المغرب ص133.

(3) الحسن الوزان، وصف أفريقيا ج2 ص125 – 129.

(#) تافيلالت: وتعرف أيضا تايلبالت وهي أقليم تابع لسجلماسة، وقد أشار البعض إلى أنها اسست زمن المرابطين لكن يبدو أنه غير صحيح، اشتهرت هذه المدينة بكثرة التجار الوافدين عليها. راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص144. محمود، قيام دولة المرابطين ص228.

(4) الغربي، بداية الحكم العربي للسودان الغربي ص607.

(5) مجهول، الاستبصار ص202.

(6) البكري، المغرب ص149. مجهول، الاستبصار ص202.

(7) اسماعيل، الخوارج ص211. عبد محمد، دراسات في تأريخ المغرب ص128 – 129.

البلاد مع الجماعات الأخرى، سواء كانت مسلمة أم من أهل الذمة، حتى سيطر هؤلاء على أمور التجارة في البلاد حتى مجيء عبد الله الشيعي فاضطهدهم وضيق عليهم وأمر بسلب أموالهم حتى بلغت حمل مائة وعشرون جملاً كان قد حملها معه إلى القيروان(1).

## الأوضاع السياسية في دولة بني مدرار

لم تستمر حالة الهدوء والاستقرار كثيرا في دولة بني مدرار فلقد طالتها يد الاضطرابات بعد ظهور التنازع على السلطة، فبالرغم من كون هذه الدولة قامت على أسس دينية ضد الظلم والتعسف، وضد الوراثة بالحكم، إلا أننا نجد أن الحكم فيها أصبح وراثيا وهذا هو أحد أسباب الاضطرابات خصوصا بعد أن حصل التنازع على السلطة فقد قام أبي المنتصر اليسع بن أبي القاسم بخلع أخيه أبي الوزير سنة 200هـ وكان أبا المنتصر جبارا عنيدا حتى أنه غزا أرض درعة وأخذ خمس معادنها النفيسة(2).

كما حدث في الدولة العباسية من قتال بين أولاد الرشيد الأمين ت197هـ والمأمون ت218هـ، فقد تقاتل أولاد المنتصر بن اليسع في عهد أبيهم، فالأول عرف بابن الرستمية واسمه ميمون وأمه أروى بنت عبد الرحمن بن رستم، وأخيه، واسمه ميمون أيضا والمعروف بابن تقية(3)، واستمرت الحرب بينهما لمدة ثلاث أعوام تغلب فيها إبن الرستمية لكنه أساء السيرة واستبد بالرعية، فخلع عن الولاية وأعاد الأمر لأبيه، لكنه بدأ يميل إلى ابن الرستمية من جديد فخلعه أهل سجلماسة، وقدموا ولده ميمون ابن تقية وقد فتح بلاد القبلة وملك مدينة تافيلالت، ونقل الحكم من بعده إلى عمه اليسع بن المنتصر، وفي أيامه ظهر أمر عبد الله الشيعي، واستمر الأمر حتى سيطر على مدينة سجلماسة وعند دخوله للمدينة أمر باليهود فنهبت أموالهم وسبت نسائهم وذلك لأن

(1) مجهول، الاستبصار ص204 .

(2) البكري، المغرب ص150. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص142.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص123 – 144. عبد الحميد، تأريخ المغرب العربي ج2 ص416. سالم، تأريخ المغرب الكبير ج2 ص588 – 589. ضيف، عصر الدول والإمارات ج10 ص268 – 269.

الذي سعى في الأخبار عن عبد الله الشيعي هم اليهود[1] وقد عين أحد أتباعه واليا على المدينة إلى أن ثارت عليه العامة فولوا عليهم الفتح بن ميمون بن مدرار[2].

استمرت سياسة الدولة تحت وصاية الدولة الفاطمية إلى حين ولاية محمد بن الفتح الذي تنكر لسياسة الفاطميين ودعا نفسه بأمير المؤمنين، واظهر العدل وأحسن السيرة في الرعية، وأظهر مذهب أهل السنة، إلا أن الفاطميين استطاعوا القبض عليه وبقي في السجن إلى أن مات[3] 354هـ وبموته انتهت دولة بني مدرار وأصبحت خبرا بعد عين[4]، وتولى بعدها أمر سجلماسة مبادر بن زيري الذي تعاقب الحكم في ذريته إلى حين ظهور دولة المرابطين والتي دخلت المدينة بحد السيف، بعد أن استنجد بهم الفقهاء من أجل تخليصهم من الظلم والاستبداد، وقد ولى المرابطون أحد عمالهم عليها[5].

## ثالثاً: دولة الادارسة 172 — 305 هـ / 789 — 917م.

إن أهم ما يميز بلاد المغرب الأقصى هو ظهور الدول والإمارات في عهد مبكر من سنوات الخلافة العباسية فبينما كانت تقوم دولة بني مدرار الصفرية في سجلماسة، شهد المغرب الأقصى قيام إمارة علوية في بلاد المغرب.

من الأمور التي تميز دولة الأدارسة عن غيرها من الكيانات السياسية التي ظهرت في تلك البلاد هي أنها أول دولة تظهر في منطقة زراعية وذات موقع متميز لأن الدول

---

(1) البكري، المغرب ص150. مجهول، الاستبصار ص202. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص145. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص502. ضيف، عصر الدول والإمارات ج10 ص269

(2) سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص588.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص148 – 149. ابن خلدون، العبر ج6 ص270. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص503. ضيف، عصر الدول والإمارات ج10 ص296.

(4) سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص589.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص151.

التي ظهرت هناك كان أغلبها يتخذ من الصحراء أو الجبال مقرا لها[1]. هذا من جانب ومن جانب أخر فإن الدولة الادريسية قامت دون مقدمات فكرية أو دعائية حيث أنها ظهرت وقامت بمجرد وصول إدريس بن عبد الله إلى هذه البلاد وتأكد البربر من نسبه الشريف ويلاحظ أنها قامت دون قتال أو حرب وما شابه ذلك من الأمور.

## بداية نشأة الدولة

مؤسس هذه الدولة إدريس بن عبد الله العلوي وكان سبب توجهه نحو بلاد المغرب هو شعورهم باحقيتهم بالخلافة باعتبارهم الورثة الشرعيين للخلافة، وكان هذا الشعور قد ترجم إلى صدام مع الخلافة العباسية أيام الخليفة الهادي 169-170هـ في واقعة فخ[#] سنة 169هـ والتي قتل فيها عدد كبير من آل البيت[2]، ولقد كانت هذه المعركة الغير متكافئة كفاجعة كربلاء، ولم يستطع النجاة منهم إلا نفر قليل من آل البيت، كان من بينهم إدريس بن عبد الله[3] الذي استطاع وبمساعدة مولاه راشد من الذهاب إلى مصر، ومن ثم توجه إلى المغرب وقد ذهب لسان الدين بن الخطيب[4] إلى الخلط بين حركة محمد النفس الزكية التي قامت أيام الخليفة المنصور 136-158هـ وبين واقعة فخ التي حدثت أيام الخليفة المهدي 158-169هـ ويمثل هذا قال ابن أبي زرع[5]، والأصح أنها وقعت أيام الخليفة الهادي لأن الخليفة المهدي توفي في شهر محرم من عام 169هـ بينما

(1) عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص421.

(2)# فخ: بفتح أوله وتشديد ثانية وادي بمكة ويقال أيضا وادي الزاهر. راجع الحموي، معجم البلدان مج4 ص337 – 338.

2 ابن الأثير، الكامل ج5 ص76. عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص424.

(3) الجزنائي، زهرة الآس ص44 – 45.

(4) أعمال الأعلام ق3 ص181.

(5) الأنيس المطرب ص16 – 17 .

واقعة فخ كانت قد وقعت في موسم الحج أي بعد وفاته بأشهر[1] استطاع إدريس بن عبد الله وبمساعدة مولاه راشد من التسلل إلى مصر، بعد أن تنكر بزي الخدم وقد أعانه صاحب بريد مصر ويدعى واضح وكان متشيعا لآل البيت إلى الخروج من مصر والتوجه نحو بلاد المغرب[2]، وقد سلكا طريقا غير مألوفة، وكان سبب اختياره لتلك البلاد، أن راشد مولى إدريس كان بربري الأصل وقيل أنه كان يتقن لسان البربر، وأيا كان الأمر فإن الشيء الواضح هو الذكاء والفطنة التي كان يتمتع بها راشد[3].

نزل إدريس بن عبد الله طنجة وهي عاصمة المغرب التجارية والسياسية في ذلك الوقت ومكث بها فترة من الزمن، إلا أن نجاحهما في الدعوة كان ضعيفا[4]، وهنالك أدرك راشد أن نجاحه يكمن في مساندة القبائل له فتوجه نحو مدينة وليلى وكانت تقطنها قبائل أوربة، وكانت متزعمة هذه المنطقة، وهي التي قاتلت عقبة بن نافع من قبل[5].

بعد نزول إدريس بن عبد الله في مدينة وليلى سنة 170 وقيل 172هـ نزل على زعيم أوربة وأميرها ويدعى إسحاق بن عبد الله الأوربي[6]، وبقي عنده فترة من الزمن استطاع خلالها من نشر دعوته وأصبح له أنصار ومريدين، وهذا يعود إلى فصاحته وبلاغته حيث كان له تأثير كبير على نفوس البربر بعد أن عرفوا نسبه وقرابته من رسول الله[7] فاجتمعت عليه قبائل إوربه ومغيلة وزناته ونفزة، وغيرها من قبائل البربر

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج8 ص170 – 172. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص189.

(2) ابن الأثير، الكامل ج5 ص76.ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص112. الجزنائي زهرة الآس ص45 ابن خلدون، العبر ج4 ص24. الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث ووفيات سنة 161 – 170هـ ص36.

(3) مؤنس، معالم تأريخ المغرب والأندلس ص129.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص17. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص469.

(5) مجهول، الاستبصار ص194.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى ج5 ص180 – 181

(7) سالم، تأريخ المغرب الكبير ج2 ص469

وبايعته بالإمامة، وقد أرادت هذه القبائل وهي التي عرفت بالعصيان على الحكومات أن تجد من شخصية إدريس منقذا لها نحو استقلالها[1].

كان أول عمل قام به بعد مبايعته من قبل البربر إنشائه جيش كبير وقوي[2] وهذا يعود إلى أمرين أساسيين هو خوفه من أي صدام مسلح مع الحكومة المركزية في بغداد أو أن يواجه تحديات كبيرة تقوض عليه سلطانه، وأيضا يدعم به ركائز دولته الناشئة الأمر الثاني استخدام هذا الجيش في نشر الدين الإسلامي في المناطق التي ما زالت على دين الوثنية أو اليهودية والنصرانية[3] وربما أراد استخدامها كورقة رابحة خصوصا وأنه من بيت النبوة[4].

وقد ابتدأ عمله هذا بإقليم تامسنا وفتح بلاد تامسنا وشالة وتادلا[#] وغيرها من الأقاليم وأدخل أهل هذه البلاد في الإسلام[5]، ثم قفل راجعا إلى وليلى وفي عام 173هـ

---

(1) ضيف، عصر الدول والإمارات ج10 ص270

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص86. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص190 – 194. السلاوي الاستقصا ج1 ص156، أبو دياك، الوجيز في تاريخ الأندلس ص270.

(3) الجزنائي، زهرة الآس ص45

(4) الجمل، المغرب العربي ص14

(#) تادلا: تقع بالقرب من وادي أم الربيع وقد اشتهرت بتربية الأغنام، وهي من أجمل مناطق المغرب الأقصى. راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص191.

(5) الجزنائي، زهرة الآس ص46. عبد الحميد، تاريخ المغرب ج2 ص434. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص469 – 470. ضيف، عصر الدول والإمارات ج10 ص27. عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص105. اسماعيل، تاريخ شالة، ص140. بل، الفرق الإسلامية ص88.

(#) فندلاوة: تقع بالقرب من مدينة فاس وينسب اليها الفقيه أبو الحجاج يوسف بن درناس وكانت قبائل البربر فيها تتكلم العربية بطلاقة. راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص192.

خرج مرة أخرى للغزو ففتح فندلاوة(#) وصيدنه(#) وحصون مديونة(#) وبهلولة وبلاد فازاز(#) ثم عاد إلى وليلى وقد عاد للغزو بعد فترة وفتح مدينة تلمسان وبايعته قبائلها وبنى فيها مسجداً[1]، ومما لم تذكره المصادر هو كيف تعامل إدريس بن عبد الله مع اليهود والنصارى وعبدة الأوثان إلا أن الصفات التي كان يتمتع بها من كونه رجلا صالحا حليما مالكا لشهواته مؤثرا للخير والعدل[2]، فليس من المعقول أن يحمل غير المسلمين على اعتناق الإسلام كرها وهو ما يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾[3]، إلا أن هناك إشارة أوردها ابن خلدون[4] إلى أن ادريس بن عبد الله قد((حمل اليهود والنصارى على الإسلام طوعا وكرها)) كما إنه قام بهدم معاقلهم ومن أبى الإسلام أباده قتلا وسبيا[5]، وهنا يمكن القول بأنه استخدم سياسة الشدة مع البربر من معتنقي الديانات الأخرى، وعاملهم معاملة العرب، إذ إن العربي لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل، أما فيما يخص أهل الديانات الأخرى من غير البربر فقد كان متسامحا معهم وعاملهم وفق ضوابط الشريعة الإسلامية وخصوصا بأحكام أهل

---

(#) صيدنة: قرية من قرى شمال المغرب تقع بالقرب من تطوان تمتاز بطيب مياهها وجودة مزارعها. راجع البكري، المغرب ص107.

(#) مديونة: جبل يقع بالقرب من مدينة فاس وتسمى باسم القبيلة التي تسكنه وتشتهر بصناعة البرانس المديونيه التي لا ينفذ إليها المطر. البكرى، المغرب ص145. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص141

(#) فازاز: وهي جبال عالية تقع بين سلا ونهر سبو ويسكنها البرابرة ويشتهرون في اقتناء الخيول. راجع ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص141.

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص20. ابن الآبار، الحلة السيراء ج1 ص100. ابن خلدون، العبر ج4 ص13 و ج2 ص56. عبد الحميد، تأريخ المغرب العربي ج2 ص435.

(2) سالم، تأريخ المغرب في العصر الإسلامي ص471

(3) سورة البقرة: الآية 256

(4) العبر ج4 ص23 – 24.

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص21. السلاوي، الاستقصا ج1 ص156. الشرقاوي، محمود، المغرب الأقصى مراكش، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، بد ص20.

الذمة والجزية، ودليل كلامنا من هذا هو وجود كنائس وأديرة خاصة باليهود والنصارى في هذه البلاد إلى القرن الخامس الهجري[1].

وهنا سؤال يطرح نفسه هل إن المجوس الذين ورد ذكرهم في بلاد المغرب الأقصى هم نفس المجوس الذين كانوا في بلاد فارس؟ وهل أنهم كانوا يمارسون نفس الطقوس والشعائر التي يمارسها مجوس فارس؟.

وقد أورد السلاوي[2] في ذكره لبناء مدينة فاس إنه كان فيها بيت للنار، وقد ذكر أبو الحسن الوزان[3] أنه كان في تلك البلاد منطقة تعرف بعين الأصنام وكان يجتمع فيها الرجال والنساء في وقت من السنة ويشعلون النيران ومن ثم يطفئونها لممارسة عادات وتقاليد كانت موجودة لديهم.

عمل إدريس بن عبد الله على أحياء سنة الجهاد في تلك البلاد، وعمل على نشر الإسلام في المناطق التي كانت تنتشر فيها ديانات أخرى، وسخر وجوده من أجل قتال برغواطة المرتدة وبدأ يتطلع في ضم بلاد جديدة إلى مملكته الفتية، وهذا ما أثار حفيظة الدولة العباسية في المشرق[4].

بعد أن تواردت الأنباء إلى الخليفة الرشيد ت193هـ بأن عبد الله ابن إدريس قد فتح تلمسان، فاغتم لذلك غما شديدا، فأرسل إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال له((إن إدريس ملك تلمسان وهي باب أفريقية، ومن ملك الباب أوشك أن يدخل الدار))[5]، وفكر الخليفة أن يرسل جيشا لمحاربة الدولة الناشئة، إلا أن وزيره أشار عليه باستخدام الدهاء للتخلص منه، كما استخدمها في التخلص من واضح الذي سهل له أمر الهروب[6]،

---

(1) العربي، دولة الأدارسة ص64 –65.

(2) الاستقصا ج1 ص165 – 166 .

(3) وصف أفريقيا ج1 ص364 .

(4) عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص430. سالم، تاريخ المغرب الكبير ج2 ص470 .

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص22 .

(6) البكري، المغرب ص122. ابن الآبار، الحلة السيراء ج1 ص52 .

وكان سبب اختياره للتحايل بأنه لا يمكن إرسال جيش إلى تلك البلاد وهذا يعود لأسباب عديدة منها بعد المسافة التي تفصل بين عاصمة الخلافة وبلاد المغرب الأقصى ومن ثم فأن هذا الجيش قد ينظم إلى الدولة الجديدة خصوصا أن أنصار العلويين كانوا كثيرين مما يؤدي إلى حدوث نكسة كبيرة، لذا فقد قرروا إرسال شخص يدعي حبه لآل البيت ومن ثم يقتله بعد أن تسنح له الفرصة[1].

وقع الاختيار على رجل يتمتع باللباقة والفطانة والدهاء يدعى سليمان بن جرير، ويعرف بالشماخ اليماني[2]، وقد ورد اختلاف في اسمه فقد ذكره البكري[3] بأنه سليمان بن حريز، وهو رجل من ربيعة وكان يرى رأي الزيدية وقيل إن اسمه الشماخ[4] وذكر ابن الخطيب[5] إنه سليمان بن جرير وقد استطاع هذا من التقرب إلى إدريس بن عبد الله حتى كسب ثقته وأصبح من ندمائه ولم تكن صفات الشماخ وحدها هي التي قربته من الأدريس بن عبد الله، ولكن وجود إدريس في بيئة غريبة ويحيط به البربر من كل جانب جعله يقرب أي شخص يأتيه من جهة المشرق[6] وهذا ما فعله ابنه إدريس بعد أن تولى مقاليد الأمور.

لقد كان للحيطة الكبيرة التي كان راشد مولى إدريس يحيطه بها قد جعلت من مهمة الشماخ صعبة إلى أن تهيئت له فرصة مواتية، حيث استغل غياب مولاه راشد

---

(1) ابن أبي دينار، المؤنس ص102. دروزة، تأريخ المغرب ج8 ص61 – 62.

(2) مجهول، الاستبصار ص196. ابن الأثير، الكامل ج5 ص77 – 78 الجزنائي، زهرة الآس ص46.. الذهبي، تأريخ الإسلام ص37. أحداث سنة 161 – 170 هـ .

(3) المغرب ص120.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص210 .

(5) أعمال الأعلام ق3 ص194.

(6) سالم، تأريخ المغرب ص490.

فدس له السم في الطيب[1] وقيل غير ذلك[2]، ثم هرب وأفلت من المطاردة، فلم يصبه من سيف راشد سوى ضربة، لم تصبه إلا بجراح[3] واستطاع الإفلات وقد كافأه الرشيد فولاه بريد مصر[4]، وقد تكون حادثة اغتيال إدريس بن عبد الله بهذا الشكل غير صحيحة أو أن فيها مبالغة كبيرة وهذا يعود إلى الاختلاف الكبير في الطريقة والأشخاص الذين اشتركوا فيها بل ويذهب البعض إلى إن أتباع إدريس العلوي هم من ضخموا موضوع موته، فأحاطوه بهالة من التعظيم[5]، فقد ذكر الجزنائي[6] إلى أن جسده ظهر بكفنه سنة 718هـ أيام الأمير أبو سعيد بن يعقوب بن عبد الحق وقد تسبب في فتنة كبيرة.

دفن إدريس بن عبد الله بخارج باب وليلى ليتبرك به الناس وكان ذلك عام 175هـ وقيل 177هـ[7] وقد ترك جارية قوطية[8]، أسلمت فيما بعد تدعى كنزة وكانت حامل بشهرها السابع فولدت غلاما كان أشبه الناس بأبيه فعرف أيضا باسم إدريس[9].

---

(1) ابن الأثير، الكامل ج5 ص77. ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص211 – 212. ابن خلدون، العبر ج4 ص25.

(2) فقد قيل أنه سمه بتفاحة مسمومة وهناك رواية تقول أن الشماخ سمه بالطب فلما شكى إدريس ألما في أسنانه أعطاه سنونا مسموما وهناك رواية أخرى تقول أنه سمه بسمكة مشوية. راجع البكري، المغرب ص121 مجهول،الاستبصار ص195.ابن عذاري،البيان المغرب ج1 ص212.ابن الآبار،الحلة السيراء ج1ص53.

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص24 .

(4) البكري، المغرب ص121 .

(5) عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص436. السامرائي، تاريخ المغرب العربي ص167-168.

(6) زهرة الآس ص47 – 48 .

(7) القلقشندي، صبح الأعشى ج5 ص80. السلاوي، الاستقصا ج1 ص159.

(8) الحسن الوزان، وصف أفريقيا ج1 ص220. التازي، التأريخ الدبلوماسي ج4 ص9، وقيل أنها كانت بربرية الأصل. راجع ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص24. الجزنائي، زهرة الآس ص48.

(9) البكري، المغرب ص123. ابن الآبار، الحلة السيراء ج2 ص53 .

**ولاية إدريس بن إدريس وبنائه مدينة فاس.**

لم تستمر الإمامة شاغرة لفترة طويلة، إذ إن إدريس بن عبد الله عندما توفي كان قد ترك جاريته حاملا، وقد جمع راشد رؤساء القبائل واتفق معهم على أن ينظروا في أمر الجارية فإن وضعت ولدا كان وريث والده وإن كان غير ذلك أمروا على أنفسهم من أرادوا[1] وقد أخذت القبائل برأي راشد، وقد أخذ راشد على عاتقه إدارة أمور الدولة والحكم بينهم[2] وقد بايعت قبائل البربر إدريس الثاني وهو في المهد صغيرا، ثم إن راشد قد جدد له البيعة بعد عشر سنوات[3] وقد أدبه وأقرأه القرآن، فحفظه إياه وهو صغير كما علمه الفقه والسنة والحديث والشعر، كما دربه على ركوب الخيل والرمي ، بعد مقتل راشد عام 186هـ تسلم إدريس الثاني الحكم في الدولة عام 192هـ وقيل أنها كانت قبل ذلك وقد بدأ الأمير الشاب بإحاطة نفسه بحاشية وحرس عربي وقد بدأ يفد إليه العرب من أفريقية والأندلس، كما أنه ولى القضاء إلى رجل من القيسية، وقد تزامن ذلك مع وقوع الاضطرابات في الأندلس[4]، وهذا الأمر أدى إلى فتور في العلاقة مع البربر، الذين بدأوا يفقدون شيئا من امتيازاتهم وعمل بعضهم على الاتصال بوالي العباسيين في أفريقية إبراهيم بن الأغلب مثل زعيم أوربة اسحق بن محمد وكان ذلك سبب قتله في 6 ذي الحجة عام 192هـ[5].

---

(1) ابن أبي، زرع الأنيس المطرب ص25. ابن خلدون، العبر ج4 ص13.

(2) البكري، المغرب ص122. ابن ابي زرع، الأنيس المطرب ص25. ابن الآبار، الحلة السيراء ج1 ص53 و 200 .

(3) البكري، المغرب ص122. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص25. الجزنائي، زهرة الآس ص48. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص196 – 197. السلاوي، الاستقصا ج1 ص160.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص29. ابن خلدون، العبر ج4 ص13. عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص442.

(5) البكري، المغرب ص123

## بناء مدينة فاس

بعد توافد جماعات جديدة إلى مدينة وليلى ضاقت بهم المدينة، وقد رأى الإمام أن بناء مدينة جديدة هو الحل الأنسب فخرج لاختيار الموقع المناسب للعاصمة الجديدة[1]، وكان الموقع الجديد يسكنه قوم من زواغة يعرفون بني الخير ينزلون في عدوة القرويين، وقوم من زناته يعرفون بني برغش وكانوا في عدوة الأندلسيين وكانوا على دين المجوسية، وكان لهم بيت النار في بيشبونه وكانوا على اقتتال دائم فأصلح بينهم وأسلموا على يديه بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك أقوام على دين اليهودية والنصرانية[2].

وقد قيل إن سبب تسميتها فاس أن إدريس الثاني قد سأل راهبا في تلك المنطقة عن اسم هذه المنطقة في القديم فقال له أن اسمها كان((ساف)) فقلبها إدريس فصارت فاس[3]، وقد ابتدأ العمل فيها عام 192هـ والتي أصبحت عاصمة دولة الأدارسة العلويين ودار ملكهم، كما أنها أصبحت مركز استقطاب ديني واجتماعي وثقافي، وهي العاصمة الوحيدة التي ظهرت في المغرب، التي نشأت في منطقة زراعية مأهولة عكس مدينة سجلماسة ومراكش، وقد أطلق إدريس الثاني اسم باب الكنيسة[4]، على أحد أبواب مدينة فاس، وتم بناء مدينة فاس على مرحلتين عرفت بعدها بعدوة الأندلسيين وإنما سميت بذلك لأن أكثر سكانها من عدوة الأندلس، وعدوة القرويين وفيها يكثر سكان العرب من أفريقية وغيرها[5]، أما بخصوص أهل الذمة من اليهود فقد أعطاهم إدريس

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص30.

(2) ابن خلدون، العبر ج4 ص26. السلاوي، الاستقصا ج1 ص165-166. عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب ص105.

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص37. حسن، تاريخ الإسلام ج2 ص164. وقد ورد في ذلك آراء أخرى. راجع الجزنائي، زهرة الآس ص61 – 62.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص40. الجزنائي، زهرة الآس ص63. حسن، تاريخ الإسلام ج2 ص389 – 392

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص37 – 38

الثاني حق البناء في الجزء الشمالي من الموقع الغربي من المدينة في حي خاص بهم، مقابل دفع ضريبة الرأس المحددة عليهم وقد بلغ مقدارها ثلاثين ألف دينار وأن هذا المبلغ يدل على أن عددهم كان كبيرا خصوصا وإن أعداد من اليهود قد هاجرت إليها وكان يتولى جبايتها بعض أشياخهم[1].

بعد أن استكمل إدريس الثاني بناء عاصمته الجديدة خرج في عام 197هـ لغزو بلاد المصامدة فأخضع قبائلهم[2] وواصل مسيره حتى بلغ السوس الأقصى حيث أخضع مدينة نفيس[#] التي دخلها عقبة بن نافع سنة 62هـ ثم عاد إلى فاس[3]، وأقام ما يقرب العام ثم إنه غزا بلاد المغرب الأوسط من أجل تأكيد سلطانه وبسط نفوذه في تلك البلاد فأخضع قبائل نفزة ودخل مدينة تلمسان التي دخلها والده من قبل وأقام بها مدة ثلاث سنوات[4] فأصلح ما دمرته السنون من أعمال والده، وكان القصد من ذلك كله هو تأمين حدود دولته الشرقية[5].

لم يعمر إدريس الثاني طويلا إذ سرعان ما توفي وعمره لم يتجاوز الثامنة والثلاثين عاما في عام 213هـ وكما أحيطت بوفاة والده هالة من التعظيم والغموض أحاطت به

---

(1) ابن القاضي، جذوة الأقباس ج1 ص39. ليفي، بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين، مراجعة لطفي عبد البديع، مطبعة نهضة مصر – القاهرة، بد ص44.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص201.

(#) نفيس: بفتح النون وتشديد الفاء وهي مدينة قديمة أزلية وحاصرها عقبة بن نافع وأصاب فيها أموالا كثيرة وهي من أطيب البلاد هواءً. راجع البكري، المغرب ص123 – 153 – 154. مجهول، الاستبصار ص208.

(3) البكري، المغرب ص123. ابن خلدون، العبر ج4 ص13 .

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص50. الجزنائي، زهرة الآس ص65 .

(5) عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص454 .

كذلك فقد قيل أنه توفي بسبب أكله عنب[1] وقيل أنه مات مسموما بتلك الأكلة[2] وربما يكون للأغالبة يد في ذلك، وقد دفن بجوار قبر والده في مدينة وليلى[3].

## دولة الأدارسة منذ ولاية محمد بن إدريس حتى نهايتها

إن الغريب في دولة الأدارسة أنها لم تكد تبلغ العقد الرابع من عمرها حتى بدأت تأخذ نصيبها من الشيخوخة والاضمحلال، وكانت العلة في ذلك هي آفة التقسيم، فبعد أن توفي إدريس الثاني عهد بالأمر من بعده إلى ولده محمد وتتفق الروايات تقريبا أن جدته لأبيه((كنزة)) قد أوصته أن يشرك أخوته في الملك[4]، وربما أرادت من ذلك تقوية أواصر المحبة في الأسرة، وما علمت أنها بداية النهاية لتلك الدولة وعمل محمد بن إدريس على تقسيم دولته على إخوته البالغين[5].

سرعان ما برزت الأطماع الشخصية وطفت على السطح، إذ سرعان ما ثار عيسى بن إدريس صاحب سلا وتامسنا، وقد أمر محمد بن إدريس أخاه القاسم صاحب طنجة بمحاربة أخاه عيسى إلا أنه اعتذر عن ذلك[6]، وربما لكونه زاهدا بأمور الولاية، كما أنه كان راغبا بالعودة إلى المشرق[7]، وقد انتدب محمد بن إدريس أخاه عمر صاحب غمارة

---

(1) البكري، المغرب ص123. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص50. الجزنائي، زهرة الآس ص66.

(2) ابن الآبار، الحلة السيراء ج1 ص131.

(3) السلاوي، الاستقصا ج1 ص171. عبد الحميد، تأريخ المغرب ص454

(4) البكري، المغرب ص124. ابن ابي زرع، الأنيس المطرب ص51. ابن خلدون، العبر ج4 ص14. ابن أبي دينار، المؤنس ص102. حقي، المغرب العربي ص43 – 44. دروزة، تأريخ العرب ج8 ص65 – 66. الغيلالي، تأريخ المغرب ص35.

(5) عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص458. سالم، المغرب الكبير ج2 ص480 .

(6) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص52. ابن الخطيب،أعمال الأعلام ق3 ص205 – 206 .

(7) وكان رده في بيتين من الشعر:

سأترك للراغب الغرب نهبا     وإن كنت في المغرب قيلا وندبا

واسموا إلى الشرق في همسه     يـــــعربها رتبا من أحبا

لقتال أخيه عيسى وبعد معارك استطاع من القضاء على جيوش أخيه عيسى، وانتهى أمر القاسم إلى الاعتزال لحياة العامة وأقبل على الزهد والتعبد، وقد ضم عمر بلاد أخويه عيسى والقاسم إلى أملاكه[1] أما الإمام محمد بن إدريس فإنه أخلد إلى اللهو والشراب والنساء وكان هذا هو سبب خلعه من قبل إخوته[2].

تولى أمر الأدارسة بعده ولده علي بن محمد بن إدريس الملقب بحيدره، وكان قد عهد إليه الأمر، وهو حينئذ غلام صغير[3] فقام بالأمر الأولياء والحاشية من العرب وأوربة وسائر البربر وصنائع الدولة[4]، تمتع الناس في عهده بالأمن والدعة، توفي الإمام صغيرا حيث أن عمره لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، أي أنه لم يمارس سلطانه إلا لفترة وجيزة[5]، تولى أخيه يحيى بن محمد أمور الدولة 234 – 245هـ وقد سار بسيرة آبائه وأجداده في الحكم وقد شهدت فاس في أيامه تطورا وازدهارا في العمران حيث يقول ابن خلدون[6]( (واستجدت فاس في العمران، وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت

. راجع ابن الأبار، الحلة السيراء ج1 ص131 – 132 .

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص52. ابن خلدون، العبر ج4 ص14 .

(2) ابن الأبار، الحلة السيراء ج1 ص161. إلا أن هناك بعض الروايات تتعارض معها حيث تقول أنه بقي في السلطة إلى حين وفاته وإلا كيف أعطى ولاية العهد لولده وهو مخلوع. راجع ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص53. ابن خلدون، العبر ج4 ص14. زغلول، تأريخ المغرب ج2 ص461.

(3) أمه رقية بنت اسماعيل بن عمر الأزدي،كان مؤثرا للخير محبا للعدل ضبط الثغور. راجع ابن أبي زرع الأنيس المطرب ص53. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص207.

(4) ابن خلدون، العبر ج4 ص29 .

(5) عبد الحميد، تأريخ المغرب ج2 ص462 .

(6) العبر ج4 ص29.

(#) أم البنين: هي أم القاسم فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني وكان لها أخت عرفت أيضا بأم البنين وقد ابتنت فاطمة جامع القرويين وابتنت أختها مريم جامع الأندلس. راجع في ذلك ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص54. الجزنائي، زهرة الآس ص81. ابن القاضي، جذوة الأقباس ج1 ص334

الأرباض، ورحل إليها الناس من الثغور القاصية))، وفي عهده أسست أم البنين[#] جامع القرويين بفاس.

بقيت أمور الأدارسة تسير بخطى متعثرة إلى أن جاء يحيى بن يحيى الذي خلف والده فأساء السيرة، وكان كثير الفسق محبا للنساء والشراب وقد كرهه العامة لفسقه وعدم أهليته لأمور الولاية[1]، وكان ذلك أحد أسباب خلعه، وذكر أنه دخل يوما الحمام وفيه جارية يهودية وكانت بارعة الجمال تدعى((حنة))[2] وكان مشغوفا بها، فراودها على نفسها فامتنعت عليه وهذا ما أسخط عليه العامة فثاروا عليه فأخرجوه من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلسيين ومات هناك كمدا وحزنا[3].

عملت زوجة يحيى وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس على استدعاء علي بن عمر وأهل الدولة وقد بايع أهل فاس علي بن عمر[4]، وبذلك انتقل الحكم إليهم، وقد حارب عبد الرزاق الفهري الصفري، وانتهت هذه الحرب بهزيمة علي بن عمر ودخول عبد الرزاق إلى عدوة الأندلسيين إلا أنه لم يستطع دخول عدوة القرويين[5]، وقد بايع أهلها يحيى بن القاسم المعروف بالعدام[6]، ولم يزل بها حتى قتله ربيع بن سليمان[7]، ولما قتل يحيى بن القاسم خلفه يحيى بن إدريس بن عمر سنة 292هـ إلا أن تداعيات

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج1 ص212. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص207 – 208. ابن أبي دينار، المؤنس ص102، السلاوي، الاستقصا ج1 ص378. دروزة، تأريخ المغرب ج8 ص65 – 66. ابو دياك، الوجيز في تأريخ المغرب ص274. حقي، المغرب العربي ص44. اسماعيل، تأريخ شالة ص140 .

(2) البكري، المغرب ص124. العربي، دولة الأدارسة ص132 .

(3) البكري، المغرب ص125. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص218 .

(4) ابن خلدون، العبر ج4 ص30 .

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص79. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص209 .

(6) البكري، المغرب ص125. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص209، إلا أن صاحب الأنيس يسميه المقدم. راجع ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص79.

(7) البكري، المغرب ص125. ابن خلدون، العبر ج4 ص30 .

الأمور في المغرب الأقصى قد بدأت تأخذ منحىً جديداً بعد ظهور الدولة العبيدية كقوة لا يمكن تجاهلها، بل وربما يحسب لها ألف حساب، وأدى ذلك إلى تصادم بين الطرفين، وكانت النتيجة أن انهزم الأدارسة على يد مصالة بن حبوس الكتامي قائد العبيديين وتوالت الأحداث بعد ذلك حتى استطاع قائد العبيديين من القبض على يحيى بن القاسم وسجنه[1].

أما مدينة فاس فقد ثار بها أحد أفراد الدولة الإدريسية ويدعى حسن بن محمد القاسم المعروف بالحجام سنة 309هـ وقد استطاع طرد ريحان عامل العبيدين عليها وملكها عامين، فدارت بينه وبين موسى بن أبي العافية حروب انتهت أول الأمر بنصر كبير للأدارسة ثم عادت الكرة عليهم حتى انتهى الأمر إلى القبض على محمد الحجام، وبقي إلى أن هرب من السجن، وتوفي بعدها[2] وانقرضت بذلك دولة الأدارسة العلويين بفاس وقد انتقم منهم ابن أبي العافية فأجلاهم من ديارهم ونفوا إلى بلاد أخرى.

## رابعاً: دولة المرابطين.

لقد شهد العالم الإسلامي منذ بداية القرن الخامس الهجري تفككا كبيرا في الدولة الإسلامية وقد يكون قد سبقها ذلك بكثير، فالدولة العباسية كانت مثلا يحتذى به للتمزق والضعف ولم يكن ذلك عن الدولة الفاطمية ببعيد.

في بلاد الأندلس ظهرت دول الطوائف، التي اقتتلت فيما بينها، بل زاد الأمر على استعانت إحداها على الأخرى بالنصارى لقتل أهلهم وإخوتهم في الدين، أما بلاد المغرب الأقصى فلم تكن بأحسن حالا، فلم تعرف تلك البلاد الحكومة المركزية، لتجمع

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص82. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص210 – 211. القلقشندي، صبح الأعشى ج5 ص182. السلاوي، الاستقصا ج1 ص183.

(2) البكري، المغرب ص127. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص212. ابن خلدون، العبر ج4 ص32 القلقشندي، صبح الأعشى ج5 ص283.

أوصالها وتسير أمورها، بل كانت روح القبيلة هي السائدة، وكان القتال هو الطريق الوحيد والأمثل عندهم لفض النزاع فيما بينهم ولم يعرفوا من الإسلام إلا أسمه[1].

شهد المغرب وفود قبائل البدو من جهتين جاءت أحداهما من الشرق فاكتسحت ما أمامها فخربت البلاد وقضت على معالم الحضارة أينما نزلت وهي قبائل بني هلال وسليم وزغبة، أما الأخرى فخرجت من جنوب المغرب الأقصى حيث أسست دولة المرابطين التي لمت أوصال المغرب والأندلس والسبب يعود إلى أن الأولى كانت من غير هدف محدد أو قيادة حكيمة أما الثانية فكانت على العكس من ذلك[2].

## بدايات ظهور دولة المرابطين

كانت تجارة السودان مصدر رخاء لقبائل صنهاجة حيث عمليات السلب والنهب للتجار المارين بهذه البلاد، وكانت فيها ديانة مجوسية أما اليهودية فكانت متتشرة في البلاد وقد قاتلتهم تلك القبائل وأخذت منهم الجزية[3]، كان هناك خطر قائم يتربص بهم هو مملكة غانة في الجنوب، ولدرء هذا الخطر قامت بعض القبائل بنوع من التحالف، وكان يحيى بن إبراهيم يتزعم قبيلة جدالة وله رئاسة قبائل صنهاجة[4] وقد أتي من رجاحة

(1) البكري، المغرب ص165. ابن الأثير، الكامل ج8 ص71. محمود، دولة المرابطين ص107. الجمل، عبد الله بن ياسين ص48 .

(2) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق3 ص77. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص604. الجنحاني، القيروان ص102 – 103.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص12. ابن خلدون، العبر ج6 ص371. ابن أبي دينار، المؤنس ص103 – 105. الجنحاني، الحياة الاقتصادية ص198.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص122. محمود، دولة المرابطين ص101 – 103. الخليفة، حامد محمد، يوسف بن تاشفين 400هـ - 500هـ / 1009 – 1106 م، بطل معركة الزلاقة، ط1، مكتبة الصحابة الإمارات – الشارقة، مكتبة التابعين – القاهرة 1425هـ - 2004م ص14.

العقل وبعد النظر وصدق الإيمان وقبل رحيله إلى المشرق لأداء فريضة الحج عهد بالأمر إلى ابنه إبراهيم بن يحيى[1].

عند عودة يحيى بن إبراهيم من الحج عرج نحو مدينة القيروان وهناك التقى الشيخ أبا عمران الفاسي[#] شيخ المالكية، وقد طلب من الشيخ إرسال أحد طلبته من أجل تعليم أهل البلاد تعاليم الإسلام، ولم يوافق أحد من تلاميذ الشيخ إلى الذهاب إلى الصحراء فدله على رجل من أهل المغرب الأقصى من بلاد السوس، اسمه واجاج بن زلو اللمطي[#] وله تلاميذ أخذوا عنه العلم[2].

سار يحيى بن إبراهيم حتى وصل إلى الفقيه واجاج بن زلو، وبعد مداولات ومشاورات انتدب لهذه المهمة عبد الله بن ياسين الجزولي 451هـ وكان قد تلقى تعليمه في الأندلس وأنه بقي هناك ما يقارب السبع سنوات، وقد نبغ في علوم الحديث والتفسير وغيرها من العلوم[3].

---

(1) السلاوي، الاستقصا ج2 ص6.

(#) أبو عمران الفاسي: هو موسى بن عيسى بن أبي الحاج بن ابي الخير الغفجومي وهم فرع من زناته أهل من أهل فاس ثم رحل الى القيروان حيث درس على يد أبو الحسن القابسي ثم رحل الى بغداد فحضر مجالس الفقيه ابي بكر بن الطيب ثم عاد إلى القيروان. راجع ابن ابي زرع، الانيس المطرب ص122. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص206.

(#) واجاج بن زلو اللمطي الصنهاجي رحل إلى القيروان فدرس بها وتفقه ثم عاد إلى بلاد السوس فابتنى بها دار للعلم ودراسة القرآن سماها دار المرابطين. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص123. ابن الخطيب أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص227

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص124. مجهول، الحلل الموشية ص8 – 9. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص226 – 227. الخليفة، يوسف بن تاشفين ص14 – 15

(3) مجهول، الحلل الموشية ص9. الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة 1424هـ / 2003م ص23. الجمل، عبد الله بن ياسين ص44.

استقبل يحيى بن إبراهيم وعبد الله بن ياسين بحفاوة من قبل أبناء الصحراء حتى بالغوا في إكرام الشيخ عبد الله بن ياسين، فشرع يعلم القرآن والسنة[1]، ويبدو أن الشيخ اختار نخبة معينة من أبناء هذه القبائل، حيث أجتمع عليه نحو سبعين شيخا من فقهائهم وأهل الخير منهم وجعل الشيخ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وترك بعض الأمور المخالفة للشرع[2] ويبدو أن ذلك قد قوبل بالعداء من بعض الأشخاص، فعاد إلى المغرب الأقصى وأقام عند الشيخ واجاج[3]، ويبدو أنهم ندموا على ما بدر منهم فكتبوا إليه وإلى واجاج يعتذرون عما بدر منهم وهكذا عاد عبد الله بن ياسين من جديد لكن هذه المرة قرر الاعتكاف هو ويحيى بن إبراهيم ونفر قليل معهم[4]، وبعد فترة من الزمن أخذ الناس يتوافدون إليه وهنا بدأت مرحلة جديدة من تأريخ هذه البلاد[5].

بعد أن اطمأن عبد الله بن ياسين إلى محبة أتباعه له وإيمانهم بمبادئ الإسلام أطلق عليهم المرابطون وهو مشتق من المرابطة أي ملازمة الثغور للجهاد ويبدو أن هذه البلاد كانت أرض مرابطة لجهاد قبائل السودان في الجنوب، وقيل إنما سمو بذلك لشدة حبهم وبلائهم في الحرب ضد أعداء الله كذلك اشتهروا باسم الملثمين أو اللمتونيين[6].

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص123 . مجهول، الحلل الموشية ص9. الخليفة، يوسف بن تاشفين ص15.

(2) المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي ت640هـ، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق د. حسن مؤنس، ط1، مطبعة الثقافة الدينية - بور سعيد 1997م، مقدمة المؤلف ص29.

(3) البكري، المغرب ص165. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص124. الجمل، عبد الله بن ياسين ص74

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص124 – 125. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص11. الصلابي، دولة المرابطين، ط1، مكتبة الإيمان بالمنصورة، بد ص37 – 38.

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص125. ابن عذاري، البيان ج4 ص11. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص208. الجمل، عبد الله بن ياسين ص82 – 84 . كنون، النبوغ المغربي ج1 ص64.

(6) مجهول، الحلل الموشية ص10. سالم، تأريخ المغرب في العصر الإسلامي ص609. الصلابي، دولة المرابطين ص15– 16

عندما بدأ ابن ياسين بتطبيق مبادئ الدين الإسلامي، رافقه استخدام العقوبات الرادعة لمن خالف تلك التعاليم، وهو الشيء الذي يجعله قريبا من الاباضية[1] وربما لجأ إلى ذلك لأنه يعرف أن هذه القبائل قد جبلت على السلب والنهب والفوضى، لذلك فإنه قاتل القبائل التي لم تستجيب لدعوته، فقتل منهم أعدادا كبيرة وأسلم من بقي منهم إسلاما جديدا[2]، كما أنه انفرد ببعض الأمور منها جلده من فاتته صلاة الجماعة[3] وغيرها من الأمور.

عندما تكون جيش قوي لدى المرابطين، ورغبة عبد الله بن ياسين في نشر تعاليم الإسلام إلى مناطق أخرى ابتدأ بفتح درعة وسجلماسة وقيل إن فقهاء المدينة هم من أرسل إليه[4]، بسبب الجور والظلم، وقد غير المرابطون المنكرات وأسقطوا المغارم والمكوس، ويبدو أن يحيى بن إبراهيم مات في هذه الفترة[5]، كما دخل المرابطون مدينة أغمات وما يليها من المدن، ثم انتدب المرابطون لجهاد برغواطة واستشهد عبد الله بن ياسين في إحدى هذه المعارك[6] لكن مقتله لم يؤثر على معنويات المرابطين أو أن يفت في عضدهم فاستطاعوا القضاء عليهم[7].

---

(1) سالم، تأريخ المغرب في العصر الإسلامي ص609.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص126. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص228 .

(3) البكري، المغرب ص169. الخليفة، يوسف بن تاشفين ص24 .

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص229 .

(5) م. ن، ص228.

(6) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص134. مجهول، الحلل الموشية ص12. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص230. الخليفة، يوسف بن تاشفين ص28. كنون، النبوغ المغربي ج1 ص65. الجمل عبد الله بن ياسين ص118. الصلابي، دولة المرابطين ص85. العبادي، في تأريخ المغرب والأندلس ص44 .

(7) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص231. ابن خلدون، العبر ج6 ص376. ابن أبي دينار، المؤنس ص106. حسن، تأريخ الإسلام ج4 ص125. التازي، التأريخ الدبلوماسي ج5 ص108. بل، الفرق الإسلامية ص233 – 234. جوليان، تأريخ أفريقيا الشمالية ج2 ص107.

حدثت بعض الاضطرابات في مناطق الصحراء مما أضطر إلى عودة أبي بكر بن عمر أمير المرابطين إلى هناك مستصحبا معه قوة من الجيش من أجل ضبط الأوضاع هناك، وقد استخلف يوسف بن تاشفين ت500هـ وهو أحد قادة الجيش لينوب عنه في قيادة المرابطين[1]، وكان لشجاعة يوسف بن تاشفين في قيادة المرابطين في قتال من خالفهم وبسط نفوذهم وسلطانهم إلى مناطق جديدة، وقد يكون هذا من باب عدم الاستئثار بالحكم، وخصوصا إنه أصبح ذا مكانة كبيرة في نفوس المرابطين[2]، وربما استدل البعض على الكيفية التي استقبل بها ابن عمه ابن بكر بن عمر بعد عودته من الصحراء[3]، بعد أن قضى على الفتن هناك، فذكر ابن الخطيب[4] أن زينب النفزاوية[#] هي التي أشارت عليه بذلك إلا أن ابن أبي زرع ذكر[5] إن زينب النفزاوية كانت وفاتها عام 464هـ بينما كانت عودة أبي بكر بن عمر عام 465هـ، وهناك من جعل وفاتها عام 462هـ[6]، وأيا كان الأمر فليس من المعقول أن ينساق يوسف بن تاشفين وراء عواطفه وأن يأتمر بأمر امرأة وهو الذي عرف عنه رجاحة العقل، وقوة وبأس، وإلا كيف استطاع العبور إلى الأندلس والتغلب على النصارى[7].

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص134.

(2) الهرفي، دولة المرابطين ص45.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص22. المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين مقدمة المحقق ص22 مجهول، الحلل الموشية ص14.

(4) أعمال الأعلام ق3 ص232.

(#) زينب بنت اسحاق الهواري وهو رجل من أهل القيروان يعمل في التجارة وكانت تلقب بالساحرة وقيل أنها زينب بنت إسحاق النفزاوية وكانت من أجمل نساء العالم. راجع ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص134. السلاوي، الاستقصا ج2 ص15.

(5) الأنيس المطرب ص135.

(6) النويري، نهاية الأرب ج24 ص261.

(7) الخليفة، يوسف بن تاشفين ص49 – 51 .

بعد أن أصبحت قيادة المرابطين تحت قيادة ابن تاشفين، وسيطرته على بلاد المغرب الأقصى، بدأ يفكر في بناء عاصمة له ولملكه فاستقر الرأي على اتخاذ مراكش عاصمة له وكان سبب اختياره لها لقربها من بلاد المصامدة التي لم يكن في بلاد المغرب أقوى منها والتي كانت دائمة الخروج على السلطان[1].

بعد سيطرة يوسف بن تاشفين على جميع بلاد المغرب الأقصى وبناءه لمدينة مراكش، أخذ ينظم أمور دولته الفتية فأنشأ المرابطون عددا من الدواوين كان من أهمها:-

1- ديوان الغنائم ونفقات الجند.
2- ديوان الضرائب.
3- ديوان الجباية.
4- ديوان مراقبة الدخل.

وكان هذا نتيجة طبيعية بسبب توسع الدولة وكثرة المهام المنوطة بها وتحولها من حركة دينية إلى حركة سياسية عسكرية تسيطر على أرض المغرب[2]، ومن الملاحظ أن الدواوين ركزت كثيرا على الجانب المالي والجانب العسكري وهذا يعود لحرص الدولة على تقوية هذان الجانبان لأنهما مصدر قوة الدولة.

فيما يخص الجانب المالي، حرص يوسف بن تاشفين على تحصيل الأموال بما أوجبه شرع الله، حيث ألغى المكوس والضرائب وأبقى ما أقره الله ورسوله من زكاة وأعشار وجزيات أهل الذمة[3]، وكانت الجزية من الموارد المهمة التي استعان بها يوسف

(1) ابن خلدون، العبر ج6 ص378. حقي، المغرب العربي ص51.
(2) حمودي، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ص65.
(3) السلاوي، الاستقصا ج2 ص66. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق1 ص420، بل، الفرق الإسلامية ص238. الخليفة، يوسف بن تاشفين ص63.

بن تاشفين لتقوية جيوشه[1]، حيث افترض على اليهود مبلغا كبيرا من المال، وقد اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشري ونيف على ثلاثة عشر ألف[2]، وكان يوسف بن تاشفين يبغض اليهود ويرى إرغامهم على اعتناق الإسلام، وكان للفقهاء دور كبير في ذلك، حيث أنزل الفقهاء نقمتهم على اليهود والنصارى في حدود دولة المرابطين[3]، وقد أمر يوسف بن تاشفين عام 493هـ/ 1099م بهدم الكنيسة الموجودة في غرناطة[4] وقد أورد صاحب الحلل الموشية[5] أن أحد فقهاء قرطبة وجد مجلدا لابن حسرة الجبلي فيه حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم((أن اليهود ألزمت نفسها أنها إذا جاءت الخمسمائة عام من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجئهم نبي منهم على ما زعموا فإن الإسلام لازم لهم))[#] بالرغم من صراحة النص إلا أننا لم نعثر على دليل يبين أن يوسف بن تاشفين أجبر اليهود على اعتناق الإسلام وهذا نابع من تسامحه وحكمته فقد كان بالإمكان فعل مثل هذا الأمر، دون أن يلقى أدنى معارضة من قبل رجال السلطة أو الفقهاء، لكنه رأى أن أخذ الأموال منهم هو أجدى له حتى يتقوى به على أعدائه[6] ثم أنه أوكل مهمة جمع الضرائب على اليهود أنفسهم لبراعتهم في ذلك[7].

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص137. مجهول، الحلل الموشية ص13. أشباخ، تاريخ الأندلس ص71. حمودي، أمير المسلمين ص16.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص23. عنان، عصر الموحدين والمرابطين ق1 ص420.

(3) حتي، تأريخ العرب مطول ج3 ص645 – 647. السعيد، محمد مجيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرشيد للنشر 1980م ص52.

(4) حتي، تأريخ المغرب مطول ج3 ص645

(5) مجهول، الحلل الموشية ص58.

(#) لم اعثر على هذا الحديث في كتب الصحاح ولا في السنن.

(6) مجهول، الحلل الموشية ص13. الخالدي، اليهود في الدولة العربية ص193 .

(7) ابن الأثير، الكامل ج8 ص195-196. أشباخ، تاريخ الأندلس ص238.

أما فيما يخص الجانب العسكري فعمل يوسف بن تاشفين على إعادة تنظيم صفوف جيشه وترتيبها من جديد[1] وكان أبرز قواده سير بن أبي بكر اللتموني ومحمد بن عائشة[#]، وعمل على استجلاب أعداد من العبيد السودان، وكان هؤلاء في الغالب يجلبون من بلاد السودان جنوب الصحراء حتى بلغ عددهم نحو ألفين، واشترى أيضا عدد من العلوج بلغ عددهم مائتا وخمسون فارسا وكان هؤلاء يجلبون من الأندلس ومن الصقالبة[2]، وأصبح هؤلاء يمثلون فرقة خاصة لحرسه، وهم في الأغلب من النصارى، وقد تطورت هذه الفرقة فيما بعد حتى أصبحت قوة عسكرية يعتمد عليها المرابطون في حروبهم[3] وعمل الموحدون نفس الشيء، ولم يكن المرابطون أول من استخدم المرتزقة في الجيش فقد سبقهم في ذلك العباسيون أيام الرشيد[4].

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص234.

(#) محمد بن يوسف بن تاشفين وإنما نسب إلى أمه جريا على عادة المرابطين فكانوا ينسبون بعض أبنائهم إلى أمهاتهم ( فيقولون ابن فلانه ولا يقولون ابن فلان)، راجع النويري، نهاية الأرب ج24 ص265.

(2) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب ص137. مجهول، الحلل الموشية ص13. أشباخ، تاريخ الأندلس ص71 – 479 – 480. حمودي، أمير المسلمين ص66. الصلابي، دولة المرابطين ص295. أبو دياك، فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، مجلة المؤرخ العربي ع44 س13 1409هـ / 1988م ص230.

(3) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص238. حسن، تاريخ الإسلام ج2 ص368 – 369. الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ص59 – 60.

(4) محمود، قيام دولة المرابطين ص379 – 380. الرفاعي، النظم الإسلامية ص141. عاشور، الحضارة الإسلامية ص178.

(#) المعتمد بن عباد: ابو القاسم محمد بن عباد أصله من لخم توفي باغمات في ذي الحجة عام 488هـ في سجن يوسف بن تاشفين. راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق2 أو تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية 1424هـ / 2004م ص152.

## جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وخوض معركة الزلاقة

ما إن تم ليوسف بن تاشفين ما أراد من سيطرته على جميع بلاد المغرب الأقصى، حتى بدأت تتوافد إليه وفود أهل الأندلس طلبا للنجدتهم خصوصا بعد أن علا نجمه، وكان المعتمد بن عباد[#] ت488هـ من أول المنادين بذلك[1]، وقال قولته المشهورة((وحرز الجمال، والله عندي خير من حرز الخنازير))[2].

لم يتردد يوسف بن تاشفين في اتخاذ قراره بمساعدة إخوانه في الأندلس فبدأ باعداد العدة وكتب إلى جميع أمراء الأندلس يدعوهم ويحثهم فيها للجهاد، وإنقاذ البلاد من خطر النصارى[3].

بدأ يوسف بن تاشفين بتعبئة الجيوش الإسلامية والعبور نحو بلاد الأندلس[4] أما جيوش النصارى فقد جاءها خبر عبور المرابطين للأندلس وهي محاصرة لمدينة سرقسطة[#] مما اضطرهم إلى رفع الحصار عنها[5]، وقد استنجد الفونسو بالأمم والدول

---

(1) مجهول، الحلل الموشية ص28. ابن دحية، المطرب ص119. ابن أبي دينار، المؤنس ص109. السامرائي، علاقات المرابطين ص131. ضيف، عصر الدول ج10 ص277.

(2) مجهول، الحلل الموشية ص28. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص144، مع اختلاف اللفظ.

(3) مجهول، الحلل الموشية ص34. السامرائي، علاقات المرابطين ص137. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص31 – 34.الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دول المرابطين ص99. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص635. جوليان، تاريخ افريقية الشمالية ج2 ص114.

(4) الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ص98 – 99. الغيلالي، تأريخ المغرب العربي ص28.

(#)(#)(#) سرقسطة: بفتح اوله وثانيه ثم قاف مضمومه وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مدينة بالاندلس افتتحها المسلمون سنة 94هـ وهي قاعدة من قواعد الاندلس تقع في الشمال الشرقي منها، كبيرة القطر واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن، تقع على الضفة اليمنى لنهر ابره وتسمى المدينة البيضاء لأن اسوارها القديمة كانت من حجر الرخام الأبيض. راجع الحموي، معجم البلدان، مج 3 ص212–213.

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص145. االشياخ، تاريخ الاندلس ص80.

النصرانية وحشد قواها في أوربا، وقد لعبت الكنيسة دورا في هذا الأمر، فأخذت النجدات تتوافد إلى قشتالة[1].

التزاما بتعاليم الإسلام من قبل يوسف بن تاشفين، أرسل كتابا إلى الفونسو أو الأذفونش يبلغه فيه بمبادئ الإسلام، وعرض عليه أمور ثلاثة أما الإسلام أو الجزية أو الحرب[2]، ولما وصل كتابه إلى الاذفونش رفضه وأصر على طغيانه، وهذا أمر متوقع[3].

جرت مفاوضات بين الطرفين لتحديد يوم المعركة، وقد لجأ الفونسو إلى أسلوب المكر والخديعة، فذكر أن يوم الجمعة هو عيد المسلمين، ويوم السبت هو عيد اليهود، وهم كثير في الجانبين، والأحد يومنا، لذلك استقر الرأي على يوم الاثنين[4]. ونفهم من هذا أن هناك يهودا في الجيش الإسلامي، لكن ليس بالضرورة أن يكون هؤلاء محاربين بل ربما يكونوا من الخدم، وللقيام ببعض الأعمال الخاصة بالجيش كالحدادة والسراجة وغيرها، وقد يكون هؤلاء في جيش الأندلس، فلم تشر المصادر إلى وجود هؤلاء في جيش المرابطين حيث اقتصرت على قبائل البربر، والعبيد ومرتزقة النصارى وهؤلاء يمثلون حاشية الملك وحرسه.

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص145 – 146. الخليفة، يوسف بن تاشفين ص138. الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ص102. أشباخ، تأريخ الأندلس ص80.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص146. مجهول، الحلل الموشية ص38. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص136. السلاوي، الاستقصا ج2 ص41. الغيلالي، تأريخ المغرب ص38. حمودي، أمير المسلمين ص123.

(3) المقري، نفح الطيب ج4 ص363.

(4) مجهول، الحلل الموشية ص39. ابن الاثير، الكامل، ج6 ص33. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص137. محمود، دولة المرابطين ص272. سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص628.

كما هو متوقع قام النصارى بمهاجمة المسلمين يوم الجمعة 12 رجب عام 479هـ[#] لكن يقظة المسلمين حال دون مبتغاهم، فكانت معركة الزلاقة[#][#] أو ((سكر الياس)) كما تسميها المصادر النصرانية[1] كاليرموك والقادسية.

دولة المرابطين منذ وفاة يوسف بن تاشفين إلى قيام دولة الموحدين 500 – 541هـ

لقد كانت أمور الدولة ومصالح الرعية من الأمور التي تؤرق أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ويبدوا أنه كان مشغولا بشكل خاص في اختيار الرجل المناسب الذي سيتولى الحكم من بعده ويكمل مسيرة الجهاد، ولاسيما بعد اتساع الدولة، وازدياد خطر النصارى، ويبدو أنه وصل إلى قناعة بأن القبائل لا تجتمع إلا على رجل يعينه هو، لذلك قرر تعيين أحد أبنائه وليا للعهد فوقع اختياره على أبنه علي لما كان يمتاز به من صفات ومؤهلات، جعلته يفضله على باقي أبنائه[2].

يعد عصر علي بن يوسف امتداد لعصر القوة والعظمة، فسار بسيرة أبيه في قيادة الجيوش ومقارعة الأعداء وفي أيامه ظهر محمد بن تومرت[3] ت524هـ / 1130م، كما

---

(1)(#) وقع اختلاف في تأريخ وقوعها فنسبها البعض إلى أنها وقعت في شهر رمضان عام 479 فيما ذهب اخرون الى أنها وقعت في شهر رجب من نفس العام وهو الأرجح، وقد ذهب قسم آخر إلى أنها وقعت عام 480هـ. راجع في ذلك ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص149. مجهول، الحلل الموشية ص40 – 41. المراكشي، المعجب ص195. ابن دحيه، المطرب ص119. النويري، نهاية الأرب ج24 ص267.

(#)(#) الزلاقة: بفتح الزاي وتشديد اللام وهو موضع بالاندلس قرب قرطبة وانما سمي بذلك لعدم ثبوت عليه لشدة زلقه. راجع الحموي، معجم البلدان مج3 ص136. ابن ابي دينار، المؤنس، هامش المحقق ص109.

1 أشباخ، تأريخ الأندلس ص81.

(2) مجهول، الحلل الموشية ص61. المرفي، دولة المرابطين ص62.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص84. ابن خلدون، العبر ج6 ص388. السلاوي، الاستقصا ج2 ص97. دروزة، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر الهجري، منشورات المكتبة المصرية صيدا ـ بيروت 1982 ج8 مج13 – 14 ص275

عمل يوسف بن تاشفين على استجلابه للنصارى، فإن علي بن يوسف استكثر منهم حتى أن ابن عذاري[1] يذكر أنه أول من استعمل الروم في حرسه، ويبدو أنه عمل ذلك لكون أمه نصرانيه، أو للثقة العالية التي كانوا يولونها لهم كونهم لا يطمعون في منصب أو جاه، إلا إن ذلك لم يؤثر على سياسته مع النصارى[2] فخاض معهم معارك عدة كانت من أبرزها موقعة إقليش أو أقليج[#] 501هـ / 1101م والتي قتل فيها سبعة كونتات من قشتالة، بالإضافة إلى ولي عهدهم الأمير شالجة بن الفونسو السادس، الذي تجرع والده كأس الهزيمة في الزلاقة فإنه تجرع كأس المنون بها حتى سماها البعض واقعة الأمراء السبعة، وتعتبر الزلاقة الثانية لبلاد الغرب[3]، كما خاض معهم عدد من المعارك منها معركة فحص البكار[#] عام 528هـ وموقعة البورت عام 508هـ وموقعة إفراغة[#] عام 527هـ وقد جرت مراسلات بين المرابطين وبين قادة النصارى وقد أحسن إليهم الأمير

(1) البيان المغرب ج4 ص102 .

(2) أشباخ، تاريخ الأندلس ص116 – 117. بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس ص247. المرفي، دولة المرابطين ص63.

(#) أقليش: مدينة لها حصن في ثغر الأندلس وهي قاعدة كورة شنتيرية وهي محدثة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون وتقع على نهر منبعث من رأس المدينة. راجع الحميري، الروض المعطار ص51 – 52 .

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص253. أشباخ، تاريخ الأندلس ص118. مؤنس، الثغر الأعلى ص20.

(#) فحص البكار: يقع شمال قرطبة في منطقة فحص البلوط وكان حصن منيعا موقعا ستراتيجيا ممتازا يتحكم في الطريق المؤدي على بطليوس، وقد فر الناس عن الأمير حتى لم يبق معه إلا نفر قليل، ولولا ثبات الأمير لكانت الهزيمة، لكن الله لطف وانقلبت الهزيمة إلى نصر. راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص259.

(#) إفراغة: مدينة في أقصى حدود دولة المرابطين جنوب غرب لاردة، وقد تقدم الجيش النصراني عدد من القساوسة من أجل رفع معنوياتهم وكان النصر فيها حليف المسلمين. راجع الضبي، بغية الملتمس ص95 ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص254 – 255. الحميري، الروض المعطار ص48 – 49

علي بن يوسف وصرفهم إلى ملكهم وأمر بتشيعهم إلى أمنهم[1]، وكان المرابطون قد خسروا في معاركهم ضد النصارى زهرة رجالهم، وكبار قوادهم، وكان علي بن يوسف قد أضطر للعبور من أجل قيادة الجيوش وشحذ الهمم هناك.

في أيام علي بن يوسف قام القاضي أبو الوليد بن رشد بإصدار فتوى عام 519هـ أمر فيها بتغريب النصارى المعاهدين من الأندلس، وبذا تكون بلاد المغرب الأقصى قد استقبلت أعداد كبيرة منهم، ويعود السبب في ذلك إلى تواطؤ البعض منهم مع نصارى الأسبان[2]، وقد اتضح ذلك بشكل جلي في غزوة الفونسو المحارب للأندلس عام 519هـ ولم يكن ذلك التغريب بالعقوبة القاسية إذا ما قيست بما كان ينتج عنه لو قدر للفونسو أن يدخل غرناطة بل رأينا بأن الذين غربوا لم يسجنوا أو ينكل بهم[3]، وقد استقر هؤلاء في سلا ومكناسة، وقد عمل هؤلاء كجند وحرس خاص للأمير وعمل قسم منهم في جباية الأموال والضرائب[4] فلم تهضم حقوقهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما كانت تتمتع به دولة المرابطين من روح التسامح معهم، وقد كان من تسامح المرابطين مع أهل الذمة سواء من اليهود أو من النصارى، هو تزوج كثير من أمراء المرابطين من نساء نصرانيات، ومنهم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين حيث تزوج من جارية نصرانية تدعى قمر، وقد لعبت دورا كبيرا في سياسة الدولة، وكان الأمير يأخذ برأيها[5]، كما أن أمراء المرابطين حرصوا على حسن معاملة المعاهدين، سواء أكانوا من بلاد المغرب أو

(1) مؤنس، الثغر الأعلى ص26.

(2) مجهول، الحلل الموشية ص65 – 66. محمود، دولة المرابطين ص417 – 419. أبو رميلة، علاقات الموحدين ص355 – 356. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج5 ص114. اشباخ، تاريخ الأندلس ص146 – 147

(3) الهرفي، دولة المرابطين ص299.

(4) مجهول، الحلل الموشية ص65 – 66. التازي، التاريخ الدبلوماسي ج5 ص114.

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص157. الهرفي، دولة المرابطين ص299. ابن عبد الله، المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، بد مج6 ع1–2 ص271

الأندلس، فقد استنكر معاهدي غرناطة من سوء معاملة أبا عمر اللتموني حفيد يوسف بن تاشفين وقد استدعاه الأمير علي بن يوسف إلى مراكش، وقد أحاله إلى مجلس تحقيق حكم عليه بالسجن[1]، كما لجأ علي بن يوسف إلى استخدام النصارى في تحصيل الجبايات المستحقة، ويبدو أن استخدام أهل الذمة في أعمال الجباية يعود إلى ما كانوا يتمتعون به من خبرة ودراية في هذا المجال[2]، ولما بدأت الدولة المرابطية بالضعف قوي نفوذهم وبدءوا بالظلم والفسق والاستبداد على الناس[3] فيما يخص اليهود في بلاد المغرب الأقصى فقد كانت جماعات منهم تمتد في منطقة سلا في المغرب الأقصى وبشكل خاص في أغمات هيلانه وما بين تاهرت[#] وقد عومل هؤلاء معاملة حسنة[4]، وفي مدينة مراكش منع هؤلاء من المبيت فيها، حيث إنها كانت تزاول أعمالها في النهار وتغادر في الليل[5]. وأن ما حصل من منعهم المبيت داخل مدينة مراكش هو أمر احترازي خوفا من أعمال التجسس والتخريب[6]. وقد عد البعض هذا ظلم حيث أنهم عاشوا مضطهدين في ظل دولة المرابطين[7]. إلا إن الواقع ينفي ذلك فقد أستخدم بعض أمراء المرابطين اليهود ككتاب لديهم كما حدث ذلك مع أمير غرناطة أبا عمر اللمتوني[8] إضافة إلى أن قسماً

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص77. السامرائي، علاقات المرابطين ص398 .

(2) محمود، دولة المرابطين ص410 – 411.

(3) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق1 ص421. بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس ص247.

(#) تاهرت: مدينة مشهورة وهي مدينة قديمة تقع على سفح جبل يسمى قرقل يكثر فيها السفرجل وهي مدينة شديدة البرودة كثيرة الغيوم. راجع مجهول، الاستبصار ص178.

(4) العبادي، أحمد مختار، دراسة حول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مجلة تطوان ع5 سنة 1960 ص144.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق ص69. الخالدي، اليهود في الدولة العربية ص194.

(6) السامرائي، علاقات المرابطين ص399.

(7) حتي، تأريخ العرب مطول ج3 ص646. لوتورنو، فاس في عصر بني مرين ص112.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص77.

منهم عمل في الضرائب[1] وعندما أراد الأمير علي بن يوسف توسيع جامع القرويين. قام قاضيه بشراء بيوت اليهود المجاورة للمسجد بأثمانها دون بخس لأحد منهم[2].

في أيام علي بن يوسف بدا أمر الموحدين على يد ابن تومرت، وكان قد أستغل بعض الأمور لإعلان تمرده على الدولة والخروج عليها. منها قضية العدل بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد استغل أيضا قضية حجاب المرأة. ومنها قصته مع أخت الأمير نفسه، حيث ان اللمتونيات أشتهرن بأن يمشين حاسرات الرؤوس[3]، وكذلك قضية الترف في المأكل والملبس وهي من الأمور التي أصبحت شيئا متعارفا عليه في ظل المرابطين، فارتدى النساء الملابس الفاخرة المطرزة بالذهب، بينما اتخذ عليه القوم اللثام الأسود، بينما كانت الطبقات الدنيا تتلثم باللثام الأبيض[4]، وقد أدركت حاشية الأمير خطورة الرجل فطلب منه أحد الفقهاء قتله إلا انه رفض ذلك وقد استقر الرأي على إبعاده من البلاد[5].

استمر أمر الموحدين بالتقدم، بينما استمرت أحوال المرابطين بالتدهور، خصوصا بعد أن أخذت الأمور جانب الصدام المسلح فقد ذكر ابن الأثير والنويري[6] أن ابن تومرت رأى الشقرة على وجوه الأطفال بينما تغلب على أبائهم السمرة، فأجابوا بما يفعل عمال الأمير من النصارى والروم بهم وبنسائهم فكانت هذه بداية الحرب بينهم، وكان لهذا وقعه السيئ على العمليات العسكرية في الأندلس، خصوصا بعد أن ظهرت

---

(1) محمود، دولة المرابطين ص411.

(2) ابن القاضي، جذوة الاقتباس ج1 ص68. السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ص57.

(3) النويري، نهاية الأرب ج24 ص79. حتي، تاريخ العرب مطول ج3 ص649. جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية ج2 ص128 – 129. المرفي، دولة المرابطين ص103 .

(4) المقري، نفح الطيب ج1 ص207 – 208. حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ط1، الدار البيضاء 1965 ج1 ص236.

(5) المراكشي، المعجب ص251. النويري، نهاية الأرب ج24 ص280. المرفي، دولة المرابطين ص105

(6) الكامل ج8 ص195 – 196. نهاية الأرب ج24 ص282.

بوادر الانفصال عن الدولة، ومما زاد الأوضاع سوءا ان عمال الدولة من اليهود والنصارى قد تعسفوا في جباية الأموال فظلموا العباد وأسخطوهم[1]، وكان النصر في الغالب حليف الموحدين باستثناء معركة البحيرة[2]. التي خسر فيها الموحدون عدداً كبيراً من أتباعهم، فأن سير المعارك كان دائما من جانبهم، حتى قتل القائد المرابطي المشهور ابن عائشة في أحدى المعارك[3]، وقد أبلت فرق النصارى بلاء حسنا في القتال ضد الموحدين حتى قتل قائدهم الربرتير[#] في إحدى المعارك بالقرب من تلمسان[4]. ولم تكن الهزائم التي مني المرابطون كانت نتيجة جبنهم أو خوفهم أو شيء من هذا وهم الذين عرفوا بالشجاعة والإقدام، وإنما كانت هناك عوامل عدة منها وعورة الأرض التي سارت عليها العمليات العسكرية وهو أمر أنهك قوات المرابطين. والعامل المهم الآخر هو إن إتباع ابن تومرت كانوا يقاتلون بمعنويات عاليه في الوقت الذي كانت معنويات المرابطين منهارة[5].

---

(1) أشباخ، تاريخ الأندلس ص442.

(2) البحيرة: بلغة البربر تعني البستان. راجع ابن أبي دينار، المؤنس ص113

(3) ابن الخطيب، اعمال الأعلام ق3 ص363 – 364.

(#) الربرتير: قائد قطالوني أصله من فرسان النبلاء في برشلونه تمكن من اسرة أمير البحر المرابطي علي بن ميمون فدخل في خدمة الأمير علي بن يوسف فجعله قائدا للنصارى المرتزقة حتى توفي عام 539هـ. راجع ابن الآبار، الحلة السيراء ج2 ص193 .

(4) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق1 ص229. أشباخ، تاريخ الأندلس ص193.

(5) الهرفي، دولة المرابطين ص114.

بعد وفاة علي بن يوسف سنة 535 هـ[1] بمدينة مراكش وقيل سنة 537هـ[2] تولى بعده ولده تاشفين بن علي[#] ت 539 هـ وقد كانت له اتصالات مع رذريق صاحب طليطلة[#][3]، وبقت دولته في إدبار حتى التجأ إلى احد الجبال فسقط من أعلاه فمات ليلة السابع والعشرين من رمضان 539 هـ[4]. وتولى بعده أخوه إسحاق بن علي ت 541 هـ وبقي إلى حين استيلاء الموحدين على مراكش، حيث قتل فيها صبراً[5]. وكانت مدة حكمهم منذ خروجهم من الصحراء إلى انتهاء ملكهم إحدى وتسعين عاماً[6]. فلله الحكم من قبل ومن بعد.

---

(1) النويري، نهاية الأرب ج24 ص275.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص165 .

(#) تاشفين بن علي بن يوسف أمه أم ولد روميه اسمها ضوء الصباح كنيته ابو المعز وقيل ابو عمرو. راجع ابن ابي زرع، الأنيس المطرب ص165.

(#) طليطلة: بضم الطائين وفتح اللامين أو بضم الطاء الأولى وفتح الثانية، بينها وبين قرطبة تسع مراحل، كانت عاصمة القوط افتتحها طارق بن زياد وهي عظيمة القدر كثيرة البشر وتكثر بها البساتين وهي أول قاعدة اندلسية هامة وقعت بايدي النصارى. راجع الحموي، معجم البلدان مج 4 ص39-40. الحميري، الروض المعطار ص393-394.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص90.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص166. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص263. النويري، نهاية الأرب ج24 ص276.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص265. النويري، نهاية الأرب ج24 ص276.

(6) النويري، نهاية الأرب ج24 ص276. وقد ذكر ابن الخطيب ان مدة حكمهم كانت ثمان وسبعين سنة، راجع ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص265.

(#) محمد بن عبد الله بن وجليد بن مصال بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن عبد الله وقيل أنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن ياسر بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكانت ولادته في يوم عاشوراء 485هـ كان رجلا ربعه اسمر عظيم الهامة وجهه مهيب، وكان رجلا حصورا وهو الذي كان لا يأتي النساء وفخذاه ملتصقتين الى ركبته ولا يركب إلا متعرضا. راجع في ذلك ابن أبي

## خامساً: دولة الموحدين 541 ـ 668 هـ

إذا كان الفضل في قيام دولة المرابطين يعود إلى عبد الله بن ياسين فان دولة الموحدين يعود الفضل في قيامها إلى محمد بن تومرت[#]، وان مما تشابه به الاثنان هو موتهما قبل أن يريا ثمرة جهودهما ومن الأمور التي يختلفون بها هو قيام دولة المرابطين في وقت لم يكن هناك كيان سياسي قوي في بلاد المغرب، بينما دولة الموحدين بدأت بالظهور في عصر قوة دولة المرابطين وهو الأمر الذي عجل في انهيارها[1].

ولد الفقيه ابن تومرت قريباً من عام 485هـ في قبيلة صغيرة تدعى أرغان أو هرغان عربت إلى هرغه[2]، اتخذ ابن تومرت من انتسابه لآل البيت طريقا لحو وصوله إلى غايته وتحقيق مأربه[#]، تلقب بعده ألقاب منها وجليد ومعناه الشيخ أو الزعيم بلغة البربر، وعرف أيضا بـ((أسافو)) ومعناه السراج، ويقال أن هذا اللقب أطلق عليه في شبابه بسبب إيقاده السرج في المساجد[3]، كما يلقب أيضا بالمهدي، وربما يكون قد تأثر

---

زرع، الأنيس المطرب ص172. البيدق، أخبار المهدي ص28. ابن القطان ابو الحسن علي بن محمد الفاسي ت628هـ نضم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي منشورات كلية الآداب والعلوم – جامعة محمد الخامس – الرباط، بد ص34 – 35، مجهول، الحلل الموشية ص75. ابن خلدون، العبر ج6 ص465. الزركشي، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم، كان حياً سنة894هـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط3 المكتبة العتيقة – تونس 1966، ص3–4

(1) حقي، المغرب العربي ص55 – 56.

(2) المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين مقدمة المحقق ص69. بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس ص60.

(#) يعود ذلك إلى الاختلاف الكبير بين المؤرخين حول نسبه فنسبه في البعض إلى الحسين بن علي فيما نسبه آخرون إلى الحسن بن علي، بينما هو من قبائل هرغة البربرية وهي جزء من قبائل المصامدة وهي بعيدة كل البعد عن آل البيت، وإنما نسبه إلى آل البيت هم مؤرخو الدولة الموحدية. راجع في ذلك المراكشي، المعجب ص45. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص266. الصلابي، دولة الموحدين، ط1، دار البيارق، عمان 1998 ص8 – 9

(3) المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين ص69 مقدمة المحقق.

بفكرة المهدي في آخر الزمان التي كانت عند المذهب الجعفري[1]، ارتحل ابن تومرت إلى المشرق من أجل طلب العلم، فدرس على يد كبار العلماء في بغداد ومنهم الإمام الغزالي ت505هـ ومجموعة من العلماء[2] وقد تأثر كثيراً بآراء الإمام الغزالي وبكتابه الإحياء[#] الذي أمر قضاة المرابطين بحرقه ببلاد المغرب والأندلس[3]، ويذكر أنه اطلع في أثناء رحلته على كتاب يسمى الجفر يذكر فيه اسم المدينة التي يقيم فيها ويموت فيها واسم الشخص الذي سيكون خليفته، وكان هذا على شكل حروف الهجاء[4]، وكان ابن تومرت متشبها بسيرة الصحابة ومطبقا لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنه كان منكرا للبدع والملاهي، فكان يجلس على طرقات الناس يعظهم ويحذرهم[5].

جرت مناظرة بين ابن تومرت وفقهاء المغرب، وكانت بالنسبة له فرصة لا تعوض خصوصا وأن فقهاء المغرب والأندلس كانوا يجهلون أصول علم الكلام بسبب تحريمهم

---

(1) الهرفي، دولة المرابطين ص89.

(2) مجهول، الحلل الموشية ص76. ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5 ص46.

(#) هذه المسألة فيها خلاف فقسم يؤكد اللقاء ولكن يختلفون في تحديد مكانه فمنهم من ذكر بأنه تم في الشام وآخر يقول أنه في العراق، كما ان عمر ابن تومرت حينذاك كان صغيرا وأن الإمام الغزالي رحل سنة 500هـ إلى طوس، وابن تومرت توجه الى الشرق سنة 506هـ أي أنه لم يلتقي به لأن الإمام الغزالي كان قد مات، بل ربما أنه لم يصل إلى بغداد أصلا. راجع في ذلك ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص173 – 174. مجهول، الحلل اموشية ص76. المراكشي، المعجب ص245. المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين ص70 مقدمة المحقق. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص59 – 60. ابن خلدون، العبر ج6 ص465 – 466. السلاوي، الاستقصا ج2 ص78 – 79 .

(3) مجهول، الحلل الموشية ص76.ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص59.

(4) البيدق، أخبار المهدي ص63 – 65. السراج، الحلل السندسية ج1 ص978. سالم، تأريخ المغرب في العصر الإسلامي ص690.

(5) البيدق، أخبار المهدي ص11. الزركشي، تأريخ الدولتين ص4. السلاوي، الاستقصا ج2 ص79 – 80

إياه، فسخر كل كلمة في المناظرة لصالحه، مما أحرج موقفهم وثبت عجزهم عـن مجاراتـه في الكلام وقد انتهت المناظرة لصالحه[1].

بعد أن رأت حاشية الأمير خطورة هذا الرجل أشارت عليه بسجنه أو قتلـه إلا أنـه رفـض ذلك[2] وقد لجأ ابن تومرت إلى مقبرة بالقرب من مراكش وابتنـى فيهـا خيمـة[3] وفيهـا بـدأ مرحلـة جديدة من دعوته فبدأ يوجه الطعن إلى عقيدة المرابطين واتهمهم بالتجسيم[4]، أراد الأمـير علـي بـن يوسف التخلص من ابن تومرت، إلا أنه تمكن من الهرب إلى أغمـات[5]، إلا أن مقامـه لم يـدم فيهـا طويلا حيث هرب إلى جبل ايجليز[#] وقد اتخذ ابن تومرت من تينملـل اوتمـال[#] عاصـمة لـه، وقـد بقي فيها حتى وفاته عام 524هـ/ 1129م[6].

ومن مقره الجديد بدا يرسل الحملات العسكرية ضد دولـة المـرابطين، وبـدا الأمـر يتفاقم على دولة المرابطين خصوصا بعد الخسائر الكبيرة التي منيت بهـا، وكـان مـن جـراء

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص174 – 175. ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5 ص48 – 50.

(2) المراكشي، المعجب ص254. ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5 ص50.

(3) البيدق، أخبار المهدي ص28.

(4) مجهول، الحلل الموشية ص81. ابن خلدون، العبر ج6 ص471. ابن أبي دينار، المؤنس ص112.

(5) ابن خلدون، العبر ج6 ص468. الهرفي، دولة المرابطين ص108.

(#) ايجليز: جبل عند مدخل مدينة مراكش عالي الارتفاع، ذو موقع ستراتيجي حيث يشرف على مدينة مراكش، وقد سمي هذا الجبل باسم الجبلين أو جبل الجبلين.راجع في ذلك ابن القطان،نظم الجمـان ص32. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص68. ابـن الخطيـب، أعمـال الأعـلام ق3 هـامش المحقـق ص270.

(#) تينملل: بكسر التاء وسكون الياء وضم النون وتعني ذات السطوح المزروعة، جبال منيعـة بـالمغرب الأقصى بينها وبين مراكش نحو ثلاث فراسخ. راجع في ذلـك مجهـول، الحلـل الموشـية ص82. ابـن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 هامش المحقق ص267. ابن ابي دينار، المؤنس هامش المحقق ص112.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص270 .

ذلك أن ازدادت ثقة ابن تومرت بنفسه وأتباعه فأرسل رسالة إلى المرابطين يعرض عليهم الدخول في طاعته أو القتال إذا رفضوا ذلك[1].

تكاد تجمع المصادر أن وفاة ابن تومرت كان عام 524هـ / 1130م[2] كما تذكر المصادر أيضا أنه لما شعر بدنو أجله استدعى أصحابه المسمين بالجماعة وأهل الخمسين فأخذ يعضهم، ويعدهم بالنصر، ومحذرا إياهم من الفرقة والتناحر، وأمر عليهم عبد المؤمن بن علي، وطلب منهم السمع والطاعة له مادام مطيعا لربه[3]، وبهذه المواعظ ودع ابن تومرت أتباعه، ولما اشتد مرضه أمر عبد المؤمن بأن يخفي موته حتى تجمع كلمة الموحدين، وإن يدفنه بجامع تينملل[4]، وعندما توفي كفنه وصلى عليه عبد المؤمن ودفنه سرا كما أوصاه، وقد كتم أصحابه وفاته لمدة ثلاث سنوات ولم يعلنوها إلا في عام 527هـ بعد أن اتفقت الكلمة على أمير واحد[5].

---

(1) مجهول، الحلل الموشية ص81.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص181. مجهول، الحلل الموشية ص86. ابن عذاري، البيان المغرب ج4 ص84. ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5 ص53. ابن خلدون، العبر ج6 ص388. السلاوي، الاستقصا ج2 ص97.

(3) المراكشي، المعجب ص262 – 263.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص180. ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص270. النويري، نهاية الأرب ج24 ص288. ابن أبي دينار، المؤنس ص113. الصلابي، دولة الموحدين ص91.

(5) البيدق، أخبار المهدي ص43. مجهول، الحلل الموشية ص86. الزركشي، تأريخ الدولتين ص7. سالم، تأريخ المغرب الكبير ج2 ص781. علام، الدولة الموحديه ص100.

## ولاية عبد المؤمن بن علي 524هـ - 558هـ

لما توفي ابن تومرت، انتقل الأمر إلى عبد المؤمن بن علي[#] ، وقد عمل على توحيد البلاد، وتخليصها من أيدي النصارى سواء كان ذلك في بلاد المغرب أو الأندلس، وقد امتدحه أحد الشعراء عند تخليصه لمدينة المهدية من أيدي النصارى[1].

ماهز عطيفه بين البيض والاسل　　مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

كما أسفلنا فإن قيام دولة الموحدين كان على أساس ديني، الأمر الذي جعلها تجعل الإسلام شعارا ومنهجا لها، ففيما يخص أهل الذمة في بلاده فإنه أصدر أوامره إلى جميع ولاته وقد أمرهم بتخيير اليهود والنصارى بين الإسلام أو الجلاء عن بلاده فحدد موعدا لذلك فمن جاوزه منهم يقتل وتصادر أمواله، وعلى هذا فإنه لم تعقد لهم ذمة معهم[2]، وقد علل عبد المؤمن عمله هذا بأنه تطبيقا لوصية الإمام المهدي حيث أمره أن يقر الناس على ملة واحدة، وهذا العمل تعصب أعمى لا يقره الشرع الإسلامي[3] وكان

---

(#)(1) عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلي بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمز بن عون الله بن يحيى، وقد ورد اختلاف في نسبه حيث نسبه البعض إلى آل البيت كان عبد المؤمن رجلا فصيحا عالما حافظا للحديث وكان عظيم الهامة، أشهل العينين كث اللحية بخده الأيمن خال، ويلقب بالكومي. راجع في ذلك البيدق، أخبار المهدي. ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص79 – 80. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص183 – 203. لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ق3 ص271. السراج، الحلل السندسية ج1 ق2 ص989. ابن أبي دينار، المؤنس ص117. حسن، عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، ط1، دار الثقافة 1406هـ – 1985م ص9.

(1) كان اسم الشاعر أبو عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي نسبه إلى تيفاش إحدى قرى قفصة في تونس. راجع المراكشي، المعجب ص300. الزركشي، تأريخ الدولتين ص12. ابن أبي دينار، المؤنس ص117. السراج، الحلل السندسية ج1 ق2 ص988 – 989. السلاوي، الاستقصا ج2 ص130. حقي، المغرب العربي ص63.

(2) علام، الدولة الموحدية ص240. حسن، ص127. ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص144. عبد الجيد، اليهود في الأندلس ص88 .

(3) السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ص52. الصلابي، دولة الموحدين ص119.

من جراء سياسة عبد المؤمن هذه أن هاجر كثير من اليهود والنصارى إلى بلاد أخرى، ومن أسلم منهم لم يكن أسلامه إلا ظاهرا حيث عادوا إلى ديانتهم بعد أن ضعفت أحوال الدولة الموحدية[1]، وربما يعود السبب في ذلك لمساعدة اليهود لابن همشك في دخوله لمدينة غرناطة، التي كانت تقع تحت حكم الموحدين[2]، وقد طبق عبد المؤمن بن علي أوامره حيث صادر بعض اموال اليهود والنصارى في حدود مملكته[3].

هناك بعض الأمور التي تحتاج إلى بعض الوقفات، فإن الخليفة عبد المؤمن قد أمن النصارى على أموالهم وأنفسهم شريطة خروجهم من المهدية[4]، وكان الخليفة عبد المؤمن قد فعل نفس الشيء من قبل عندما طلبت منه الحامية النصرانية في مراكش الأمان فأمنهم[5] ولم يتعرض لهم بعد دخولهم للمدينة، الأمر المهم الآخر في هذا الشأن أن الجيش الموحدي كان يظم عددا من الإفرنج ويسمون بالعلوج وهم خاصة السلطان[6]، وأطلق عليهم بني فرخان[7] هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد ذكر البعض أن عبد المؤمن بن علي ألزم اليهود بلبس الغيار والتميز بلباس خاص بهم وهو الأمر الذي فعله خلفائه من بعده، ثم أن طبيعة دولة الموحدين التي قامت على أساس ديني، وفي زمن خليفتها عبد المؤمن بن علي الذي كان حافظاً للدين وعاملا به فهل يقوم باستكراه أهل

(1) علام، الدولة الموحدية ص241 – 242.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص74.

(3) علام، الدولة الموحدية ص245.

(4) المراكشي، المعجب ص300. سالم، الدولة الإسلامية ص254.

(5) ابن الأثير، الكامل ج8 ص300 – 301 .

(6) القلقشندي، صبح الأعشى ج5 ص137. السراج، الحلل السندسية ج1 ق4 ص991. عنان، عصر المرابطين ق2 ص36 . عبد محمد، دراسات في تأريخ المغرب ص276 – 277. الكعبي، هاشم ناصر، المنصور الموحدي دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد 1415هـ – 1994م ص101.

(7) ابو دياك، فنون القتال ص239

الذمة على الإسلام ؟ وبذا يكون قد خالف روح الدين الإسلامي وتعاليمه، وهـذا الأمـر وإن صح فربما يكون على اليهود بسبب مواقفها السلبية من الإسـلام. أخـذ عبـد المـؤمن يستعد للعبور إلى الأندلس بنفسه، فهيأ الجيوش وأعد العـدة إلا أن المنيـة عاجلتـه قبـل أن يحقق حلمه وكان هذا في جمادي الآخرة سنة 558هـ / 1163م وكانت مدة حكمـه ثـلاث وثلاثون سنة وأشهر(1).

### أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(#) 558هـ

تولى أمر الخلافة بعد وفاة والده في جمادي الآخـرة سـنة 558هــ / 1163، أهـم مـا تميز به عصره هو كثرة الخارجين على الدولة الموحدية سواء كان ذلك في بـلاد المغـرب أو في الأندلس، كما كثرت الأموال الجباه في دولته سواء كانت خراجا أو جزية وكانـت هـذه الجبايات تنظم وفق الشريعة الإسلامية فلم يفرض مكس ولا ضريبة(2).

وفي عام 563هـ تسمى بأمير المؤمنين، وجددت له البيعة من قبـل أشـياخ الموحـدين(3)، وفي هذه السنة وصل فرنانده النصراني صهر اذفـونش إلى أشـبيلة ومنهـا توجـه علـى حـضرة مراكش طلبا للسلم والمعاهدة، وتعهد بخدمة أمير المؤمنين وبقـي في ضـيافة الخليفـة خمـسة أشهر، حتى تم له ما أراد(4)، ويبدو من هذا أن العلاقات بين دولة الموحدين ورعاياهـا مـن

---

(1) مجهول، الحلل الموشية ص119. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص202. ابن عذاري، البيان المغـرب قسم الموحدين ص80. النويري، نهاية الأرب ج24 ص318. حقي، المغرب العربي ص62. أشـباخ، تأريخ الأندلس ص313.

(#) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه أمرأة حرة وهي عائشة بنت الفقيه موسى التينملـي كان ابيض اللون مشربا بحمرة حسن القد، أجعد الشعر أقنى. راجع في ذلك مجهول، الحلـل الموشـية ص119. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص205. الصلابي، دولة الموحدين ص140

(2) المراكـشي، المعجـب ص328. ابــن أبـي دينـار، المـؤنس ص119. سـالم، تـأريخ المغـرب ص712. الصلابي، دولة الموحدين ص144 – 148.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص98. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص210.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص103 – 104.

النصارى المعاهدين كانت طيبة حسنة، فلو كانت غير ذلك لما قرر الأمير النصراني الإرسال إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، وفي أحد معاركه ضد النصارى في شنترين أصابت الخليفة بعض الجراح أدت إلى وفاته يوم السبت في شهر ربيع الأول سنة 580هـ / 29 يوليو 1184م، وكانت أيامه دائمة الحرب[1].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص166. النويري، نهاية الأرب ج24 ص226. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص215. ابن خلدون، العبر ج6 ص504. ابن أبي دينار، المؤنس ص119.

(#) عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي لقبه المنصور وكنيته أبو يوسف، أمه أم ولد روميه أسمها ساحر، كان أدم، معتدل القد، أكحل الشعر واسع الأكتاف، أقنا الأنف، عالما بالحديث والفقه واللغة. راجع المراكشي، المعجب ص336. ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص170. النويري، نهاية الأرب ج24. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص216. مجهول، الحلل الموشية ص121. ابن أبي دينار، المؤنس. حتي، تأريخ العرب مطول ج3 ص651.

(#)(#) وهم حكام جزيرة يورقة، وكان مؤسس هذه الأمارة، أبو زكريا بن غانيه وهو عامل المرابطين على قرطبة وبعد زوال حكم المرابطين للأندلس كانت العلاقات بين الجانبين متوترة في غالب الأحيان حتى أعلن أبو زكريا بن اسحق بن محمد بن علي بن غانيه اللمتوني الخروج على دولة الموحدين، وقد دارت بينهم معارك أنزل بهم الخليفة أبو يوسف يعقوب هزيمة نكراء في شعبان 583هـ / 1187م وقد هرب ابن غانيه واتباعه إلى أفريقيا الشمالية. راجع ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين ص183 – 193. النويري، نهاية الأرب ج24 ص329 –331. ابن خلدون، العبر ج6 ص505 – 506. مؤنس، معالم تأريخ المغرب والأندلس ص224 – 226. أشباخ، تأريخ الأندلس ص328 – 329.

(#)(#)(#) الارك: حصن منيع بمقربة من حصن رباح وفيه كانت واقعة الارك الشهيرة على صاحب قشتالة وجموع النصارى. راجع الحميري، الروض المعطار ص27.

## ولاية أمير المؤمنين يعقوب المنصور

بعد أن استشهد الخليفة في معاركه ضد النصارى في المغرب سارع أشياخ الأندلس، على تقديم يعقوب المنصور خليفة(#) للموحدين، وكانت أهم المشاكل التي واجهته هي قضاؤه ولو مؤقتا على حركة بني غانية(#).

ما أن عادت السكينة والهدوء إلى بلاد المغرب حتى بدأ الخليفة بالتفكير في أحوال الأندلس، وأمر الجهاد فيها، خصوصا بعد أن استعاد النصارى نشاطهم في تلك البلاد فسقطت بعض المدن والقلاع بأيديهم، وقد أكمل المنصور استعداداته العسكرية للعبور إلى الأندلس، فما إن تم ما أراد حتى سارع الفونسو الثامن إلى استصراخ النصارى لنجدته فوافته الحشود واستقرت في حصن الأرك الشهير، حيث دارت معركة الأرك(#) الشهيرة في 9 شعبان 591هـ / 18 يوليو 1195م، التي عادت إلى الأذهان انتصارات يوم الزلاقة حيث منيت جيوش النصارى بهزيمة منكرة[1]. كما عمل يوسف بن تاشفين فإنه لم يستثمر هذا النصر لإعادة فتح بعض المدن المهمة كمدينة طليطلة أو أحد القلاع المهمة في بلاد الأندلس[2].

وكما أسلفنا سابقا أن الخليفة عبد المؤمن بن علي كان قد افترض على اليهود والنصارى أما الإسلام أو الهجرة وإلا فالقتل مصيرهم إلا أنه وبموته تنفس هؤلاء الصعداء فعادوا إلى سابق عهدهم فتعالوا على المسلمين، ففطن إلى ذلك الخليفة يعقوب المنصور، فأمر بتمييز اليهود بلباس خاص بهم، وهو عبارة عن ثياب كحلية ذات أكمام

---

(1) ابن عذاري، قسم الموحدين ص218 – 220. النويري، نهاية الأرب ج24 ص332 – 334 . ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص220 – 228. ابن خلدون، العبر ج6 ص513 . عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص234. أشباخ، تأريخ الأندلس ص335 – 337.

(2) ابن خلدون، العبر ج6 ص5134. مؤنس، معالم تأريخ المغرب والأندلس ص227 – 228. أشباخ، تأريخ الأندلس ص340.

مفرطة في السعة، وبدل العمائم جعلوا الكلوتات[1]، وفي هذا قال شاعر اليهود ابن نغزالة اليهودي[2]:

لبس ذا الأزرق ليس فيه خسارا وافــــهموا يا قوم هذي الإشارة

وعلى كل فلم يكن الموحدين أول من أمر بتمييز اليهود بلباس خاص بهم دون غيرهم فقد دأب بعض خلفاء الأمة الإسلامية كالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ت23هـ الذي أمر أهل الذمة بلبس الزنانير، كذلك فعل الخليفة الرشيد ت193هـ الشيء نفسه وقام الخليفة المقتدر عام 296هـ بتمييز اليهود بلباس خاص ومنعهم من العمل في الوظائف الهامة في الدولة[3]، إن المهم في هذا الأمر هو تخصيصه لليهود دون غيرهم من الأديان الأخرى، وربما يعود السبب في ذلك إلى شك الخليفة في إسلامهم وكان يقول في ذلك((لو صح عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم ولو صح كفرهم لقاتلتهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين))[4].

وهذا يعود إلى أنهم كانوا ينظرون إلى اليهود بعين الريبة والشك بسبب مواقفهم السابقة من الدولة المرابطية، وموقفهم من دولة الموحدين نفسها، الأمر الآخر أن النصارى كانوا يشكلون فرقا خاصة في جيش الموحدين كما جاء تجار اليهود مع جيوش

---

(1) المراكشي، المعجب ص383. ابن عذاري، البيان المغرب ق الموحدين ص228. الزركشي، تاريخ الدولتين ص16. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص235. أبو رميلة، علاقات الموحدين ص343. حسن، يعقوب المنصور الموحدي، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدار البيضاء 1406هـ - 1986م ص120 – 123. العامري، محمد بشير حسن، حقائق التأريخية عن واقع اليهود وتصرفاتهم في الأندلس، مجلة كلية المأمون الجامعة ـ بغداد ع10 س2003 ص70.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب ق الموحدين ص229، حيث أنه قال الأرجوزة بعد وفاة المنصور. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص235. العامري، حقائق تأريخية عن اليهود ص30. بشير، العلاقات الثقافية ص101 .

(3) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ص114 – 115. ابن الجوزي، المنتظم مج6 ص82. التلمساني، تحفة الناظر ص167. الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية ج2 ص432 - 4

(4) المراكشي، المعجب ص383.

النصارى لشراء أسرى المسلمين وسبيهم في معركة الأرك الشهيرة لكن الله أخزاهم[1] كما أن الموحدين قد أعطوا النصارى ثقة كبيرة[2]، بل زاد الأمر إلى أن أصبحت هناك حامية للرماة في مراكش من النصارى وقد اتخذت من أحد القصور الغربية من السور مقرا لها[3]، وهو من الأخطاء الكبيرة التي وقعت بها دولة الموحدين[4]، وقد يكون السبب في ذلك هو استهانة هؤلاء بشرائع الإسلام ومن ثم يجب حماية الشباب المسلم من الانحراف ورائهم، حيث أن اليهود لم يتورعوا من عمل المنكرات، لذا كان من الأصوب تمييزهم بلباس خاص بهم حتى يحذرهم الناس[5].

الأمر المهم الآخر في هذا الموضوع هو أن هذا القانون تعرض للتغير، فلم يعمل به إلا في حياة الخليفة المنصور الموحدي وصدر خلافة الناصر حيث استغاث به اليهود وتقربوا له بكل الوسائل فبدل اللبس وكذلك غير اللون إلى الأصفر[6]، توفي الخليفة المنصور الموحدي في ليلة الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة 595هـ / 22

(1) الضبي، بغية الملتمس ص45 – 46.

(2) السراج، الحلل السندسية ج1 ق4 ص11 – 21. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص176. الشاهري، الأوضاع الاقتصادية ص59.

(3) الحسن الوزان، وصف أفريقية ج1 ص132.

(4) أبو رميله، علاقات الموحدين ص381.

(5) علام، دولة الموحدين ص239.

(6) المراكشي، المعجب ص383. عنان، عصر المرابطين ق2 ص235. أبو رميلة، علاقات الموحدين ص343. ترتون، أهل الذمة في الإسلام ص127.

(#) رباط الفتح: الطول اثنا عشر درجة والعرض ثلاثة وثلاثون درجة، مدينة عظيمة شيدها المنصور وأنفق فيها أموالا كبيرة إلا أنها لم تكتمل وهي عاصمة المغرب اليوم. راجع المراكشي، المعجب ص445. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا ص138 – 140. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص230. ابن ابي دينار، المؤنس ص128، هامش المحقق،

يناير 1199 وعندما حضرته الوفاة قال لم أندم إلا على ثلاثة أشياء منها إطلاق سراح أسرى النصارى في معركة الأرك وبناء رباط الفتح(#) وإدخال العرب إلى أفريقية[1].

**ولاية محمد الناصر حتى نهاية دولة الموحدين**

تولى أمر الموحدين محمد الناصر(#)(#) وتعد أيامه أخر ما تبقى من هيبة الخلافة الموحدية حيث كثر الخارجون على تلك الدولة سواء كان ذلك في بلاد المغرب أو الأندلس حيث ثار ابن غانية من جديد، وكذلك بدأ عرب المغرب يثيرون المتاعب ضد الدولة[1]، وكان من الأمور التي سرعت بانهيار دولة الموحدين هي خسارتهم لموقعة العقاب الشهيرة في شهر صفر 609هـ / يوليو 1212م[2]، فكانت بداية النهاية لهذه الدولة العظيمة فذهبت هيبتها، وفرط عقدها وتعاقب على الخلافة عدد من الخلفاء، فدارت بينهم الحروب، فكان أكثر ما يحز في النفس هو استعانة قادة الموحدين بالنصارى من أجل الوصول إلى سدة الحكم، وأخذت هذه الظاهرة الازدياد مع ضعف الدولة[3].

وفي هذه الفترة برز دور اليهود والنصارى بشكل كبير، حيث لعب اليهود دور أكبر في الحالة السياسية بين الموحدين والقشتاليين فأرسل هؤلاء إبراهيم ابن أبي الفخار اليهودي سفيرا لهم إلى حضرة مراكش من أجل عقد هدنة مع الموحدين، كذلك فإن اليهود قد تنفسوا الصعداء في أيام ضعف دولة خاصة أيام الخليفة المأمون(#) ت629هـ كما أسهم هؤلاء في إثارة الفتن في البلاد وأنشأوا لهم مدارس خاصة بهم[4]، لذلك فإننا

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص230. ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية 1423هـ / 2002 ص155 .

(2) مجهول، الحلل الموشية ص122.النويري، نهاية الأرب ج24 ص342. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص241 . ابن الخطيب، معيار الاختيار ص155. ابن خلدون، العبر ج6 ص531.

(3) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص575.

(#) أبو العلاء إدريس بن أبي يوسف يعقوب المنصور بن عبد المؤمن أمه حرة أسمها صفية بنت الأمير محمد بن سعيد ابن مردنيش، كان أبيض اللون أكحل العينين معتدل القد، مليح الوجه، فصيح اللسان ولد بمالقة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة 581هـ بويع بالخلافة بأشبيلية في شوال 624هـ

نجد أن بعض الناقمين على سياسة هؤلاء اليهود، تتجسد في التنكيل باليهود كلما سنح لهم ذلك، وهذا ما فعله يحيى المعتصم عام 629هـ عند دخوله مدينة مراكش حيث قتل وسبى عدد كبير من اليهود وغرمهم أموالا كبيرة[1]، وفي الحرب التي دارت بين الخليفة السعيد الموحدي[#] ت 646هـ، وبين بني مرين قام أحد أتباع الخليفة أثناء عودته إلى مراكش بتغريم اليهود أموالا كبيرة كما قام العرب باستئصالهم[2].

وقد برز هناك جانب أخر انعكس سلبا على الوضع في دولة الموحدين، فقد استعان الخليفة المأمون الموحدي بفرق عسكرية من النصارى من أجل تسلمه السلطة، مقابل التنازل لهم عن بعض الحصون والقلاع، كما سمح لهم ببناء كنيسة في مراكش والإقامة في بلاده دون قيد أو شرط[3]، وقد لعبت زوجة الخليفة والتي تدعى حبابة دوراً كبيراً في ذلك[4].

بالرغم من وجود أعداد كبيرة من النصارى في بلاد المغرب إلا أن الحدث المهم في ذلك هو سفر البابا إلى بلاد المغرب في جمادي الأولى 643هـ / 1245م، ولم تكن هذه الزيارة الأولى التي يقوم بها رجال الدين إلى مراكش فقد قام البابا بزيارة المغرب في 27 ربيع الثاني 594هـ / 8 مارس 1198م من أجل التباحث حول موضوع الأسرى[5]،

---

استعان بالنصارى لاستعادة ملكه توفي في شهر ذي الحجة 629هـ / 17 أكتوبر 1232م. ابن عذاري، البيان المغرب ق الموحدين ص274. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص249 – 251.

(1) علام، دولة الموحدين ص242 .

(2) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص383.

(#) أبوالحسن علي بن أبي العلي إدريس ابن أبي يوسف منصور ابن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن تلقب بالمعتضد أمه أم نوبية لذلك فإنه كا أسمر شديد السمرة، تام العقد معتدل الجسم، سبط الشعر بويع بالخلافة بعد أخيه الرشيد سنة 640هـ / 1242م توفي يوم الثلاثاء 646هـ / 32 يوليو 1248م. ابن عذاري، البيان المغرب ق الموحدين ص359. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص256.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ق الموحدين ص382.

(*) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص25. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص374 – 385. دروزة، العرب والعروبة ج8 ص279 – 280.

(4) ابن خلدون، العبر ج6 ص530 – 531. عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص383 – 384.

(5) السلاوي، الاستقصا ج2 ص206 – 207. التازي، التأريخ الدبلوماسي ج6 ص163 – 164.

والمهم في هذه الزيارة هو طلب البابا من الخليفة السعيد الموحدي اعتناق المسيحية كما فعلها بعض عمال الموحدين وقد تكرر هذا مرة أخرى أيام الخليفة المرتضى[#] ت665هـ في 21ذي الحجة 649هـ / 16 مارس 1251م لكن الخليفة رد على ذلك بقوة وحزم وبين تمسكه بالدين الإسلامي[1].

الأمر الآخر هو أن تجار النصارى كانوا يؤدون ما نسبته 10٪ من قيمة تجارتهم وصادراتهم إلى بلاد المغرب وفي الأغلب كانت هذه النسبة غير ثابتة وهذا حسب الاتفاق الذي يعقد بين الطرفين لكن ظهور أطماع النصارى بمدينة سبته أدى ذلك إلى نشوب معركة كبيرة عام 633هـ / 1235م وقد قتل فيها أعداداً كبيرة من النصارى[2]، بقيت دولة الموحدين تذب عن نفسها فترة طويلة من الزمن، خصوصا بعد ظهور قوة فتية في بلاد المغرب تمثلت بالمرينيين الذين استطاعوا القضاء عليها ودخول عاصمتهم مراكش في محرم 668هـ / يوليو 1269م، لتبدأ صفحة جديدة من صفحات تأريخ المغرب العربي.

---

(#) أبو حفص عمر ابن السيد إسحاق ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن أمه حرة بنت عم أبيه، تولى بعد وفاة الخليفة السعيد الموحدي 646هـ 1248م وكانت مدة خلافته ثمانية عشرة سنة وتسعة أشهر 665هـ / 1266م. ابن عذاري، البيان المغرب ق الموحدين ص387. النويري، نهاية الأرب ج24 ص347. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص258.

(1) السلاوي، الاستقصا ج2 ص206 – 207. التازي، التأريخ الدبلوماسي ج6 ص164 – 169.

(2) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق2 ص506. التازي، التأريخ الدبلوماسي ج5 ص547 ج6 ص223.

# الخاتمة

من خلال ما تقدم من موضوع الدراسة نجد ان المجتمع الإسلامي لم يخل من وجود غير المسلمين ضمن طبقات المجتمع في أي عصر من العصور وخصوصاً أن الإسلام لم يكره الناس على الإسلام ولم يمنع أحداً من البقاء والعيش في بلاده رغم انه يعتنق ديناً غير الإسلام.

- تناول موضوع الدراسة تعريف أهل الذمة في اللغة والاصطلاح والشرع، بالاضافة إلى التعريف بالمسميات الأخرى التي تطلق على أهل الذمة ومنها المستأمنون والمستأمِن بكسر الميم والمستأمَن بفتح الميم.
- يبين موضوع الدراسة أهم ما يميز عقد أهل الذمة هو وجود شهود عدول من الطرفين، ومن ثم يقوم الوالي أو من ينوب عنه في عقد الذمة بالاضافة إلى توضيح أحكام أهل الذمة والتي من أهمها دفع الجزية لقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[1] بالاضافة إلى بيان من تؤخذ منه الجزية وعلى من تجب.
- يتناول موضوع الدراسة توضيح أقسام الجزية والتي تشمل الجزية الصلحية والجزية العنوية وبيان متى تسقط الجزية من أهل الذمة، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بين الجزية والخراج.
- الإشارة إلى حقوق أهل الذمة والتي تتضمن حماية الدولة لهم وحق الإقامة والسماح لهم بممارسة شعائرهم إضافة إلى حقهم في القضاء.
- ان أهل الذمة الموجودين في بلاد المغرب الأقصى هم من اليهود والنصارى فلم يكن هناك صابئة ولا مجوساً وان وردت بعض الاشارات إلى وجود المجوس في مدينة فاس، واما اليهود والنصارى الموجودون في بلاد المغرب فان سبب وجودهم

---

(1) سورة التوبة آية 29.

يعود إلى ضغط الروم والقوط عليهم واضطهادهم بسبب اختلاف الدين بالنسبة لليهود أو المذهب بالنسبة للنصارى.

- عامل المسلمون الفاتحون لبلاد المغرب الاقصى أهل الذمة بكل حرية واحترام، فقد عامل الفاتحون أهل الذمة وفق الشريعة الإسلامية، فسمح لهم بممارسة كافة اعمالهم وعباداتهم وعاداتهم الاجتماعية، لذلك فاننا نجد ان النصارى استنجدوا بحسان بن النعمان ليخلصهم من أعمال الكاهنة ونزولّ يليان على حكم عقبة بن نافع ومن ثم موسى بن نصير.
- لم تختلف الحياة الأجتماعية لأهل الذمة من اليهود أو النصارى في بلاد المغرب الأقصى كثيراً عما هي عليه في بلاد المشرق أو الأندلس، حيث ان اغلبها استمد من التوراة والانجيل، وإذا وجد هناك اختلاف فانه يكون ضمن المذهب أو الطائفة التي ينتمي إليها أهل المغرب إلا انها لا تخالف ما ورد في كتبهم المقدسة.
- كان لدخول المسلمين إلى بلاد المغرب الأقصى دور في تعلم أهل الذمة اللغة العربية من أجل تسهيل أمور معاملاتهم وهو الأمر الذي ادى بدوره إلى تطور الحياة الأدبية والعلمية في كلا المجالين، فقد برع اليهود فيهما أكثر من النصارى، وذلك رغبة منهم في الحفاظ على تراثهم، وكذلك كسبهم مودة أهل البلاد التي يقطنون فيها.
- فيما يتعلق بالجانب الأقتصادي، فقد كان لليهود اليد الطولي في ذلك، فقد عملوا على استخراج الذهب وصناعته والتجارة به، وكذلك عملوا في الاسواق ونقل البضائع والصيرفة وغيرها، أما النصارى فلم يكن لهم حظ كبير في ذلك لأن اعمالهم اقتصرت على الجانب الزراعي وكحراس للأمراء ايام المرابطين والموحدين، كما ان اليهود كانوا اكثر تنظيماً من النصارى وأكثر انغلاقاً.
- بالرغم من التسامح الكبير الذي ابداه المسلمون لأهل الذمة إلا انهم قد سببوا المتاعب للدولة الإسلامية في بعض الاحيان، فقاموا بمساعدة كسيلة بن لمزم لقيادة التمرد ضد المسلمين حتى انتهى الأمر بمقتل عقبة بن نافع، وفي ايام المرابطين قام

النصارى بالتواطؤ مع رد مير قائد النصارى ضد المسلمين، كذلك فانهم استغلوا مسألة الضعف لدى دولة المرابطين فقاموا باستفزاز العامة وفرضوا عليهم مغارم ومكوس خصوصاً وانهم كانوا يتولون جبايتها في بلاد المغرب الأقصى، ولم يكن اليهود باحسن حالاً، فقد قام هؤلاء بتقديم التسهيلات للنصارى.

- يتميز المغرب الأقصى بأنه من أكثر بلدان المغرب عزلة وذلك لعدم وجود ترابط بينه وبين بقية المغرب، لذا كان المغرب الأقصى أقل أجزاء المغرب تأثراً بالأحداث السياسية الكبرى، وبسبب الطبيعة القاسية والعزلة لهذه المنطقة لذا نلاحظ تأخر عمليات الفتح لفترة طويلة جداً.
- ان من أهم ما يلاحظ في أحوال المغرب حملة عقبة بن نافع الأولى وما تلاها ان أهل افريقية يدخلون في طاعة المسلمين لكن سرعان ما يرتد هؤلاء عن الإسلام إذا انصرف المسلمون عنهم.
- توالي الحملات العسكرية على هذه المنطقة والتي لم تفتح بسهولة، فقد امتد الفتح لفترة زمنية طويلة وعلى يد عدد كثير من القادة منهم عقبة بن نافع ومعاوية بن حديج وأبو المهاجر دينار وحسان بن النعمان وموسى بن نصير ومن أهم أسباب انتفاض البربر على الولاة:
  1. السياسة الظالمة التي انتهجها الولاة وخصوصاً عبد الله بن الحبحاب وعماله في المغرب وبالأخص عامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي.
  2. فرار عدد كبير من العلويين والخوارج إلى الجزء الغربي من الدولة العربية الإسلامية بسبب اضطهاد الدولة لهم فطلبوا الآمان لدى البربر.
- كانت ازمة الحكم الأموي في دمشق ومن ثم سقوطه عام 132هـ ومن ثم قيام الدولة العباسية والمشاكل التي تعاني منها في بداية أمرها والاضطرابات والحروب التي عصفت ببلاد المغرب جعلته ينعزل بعيداً عن الدولة ويستقل ولو بشكل جزئي عن مركز الخلافة.

- من الأمور اللافتة ان جميع الدول التي ظهرت في المغرب الاقصى من نهاية عصر الولاة حتى نهاية عصر الموحدين ومعاملتها لأهل الذمة قد أخذت من الجانب الديني أساساً لقيامها بما فيها دولة الادارسة التي اعتمدت على نسبها الشريف، وأيضاً ظهور دول استخدمت الإسلام غطاء لها، وهي في واقع حالها بعيدة كل البعد عن الإسلام مثل برغواطة الضالة.
- بالرغم من كثرة الدول والإمارات التي ظهرت في بلاد المغرب الأقصى إلا أن الفضل في توحيد بلاد المغرب، ومن ثم الأندلس إلى دولة المرابطين التي لم يعرف المغرب الأقصى انه توحدت أراضيه قبل هذا الوقت، وقد لعبت دوراً بارزاً في وقف المد النصراني في بلاد الأندلس من خلال المعارك الكبيرة التي خاضتها المرابطون هناك مثل معركة الزلاقة وأقليش وهي بحق تستحق المدح والثناء لما قدمته من خدمة جليلة للإسلام والمسلمين وهذا يعود إلى رجالها وقادتها، إلا ان ظهور قوة منافسة لها في بلاد المغرب الاقصى لم تجعلها تعمر طويلاً، مما ادى إلى انهيارها على يد الموحدين.
- ولاية عبد المؤمن بن علي 524هـ – 558هـ وقيام دولة الموحدين على أساس ديني الأمر الذي جعلها تجعل من الإسلام شعاراً ومنهاجاً وفيما يخص أهل الذمة في بلاده فانه أصدر أوامره إلى جميع ولاته، وقد أمرهم بتخيير اليهود والنصارى بين الإسلام أو الجلاء عن بلاده، وقد حدد موعداً لذلك فمن جاوزه منهم يقتل وتصادر أمواله، ومعنى هذا فانه لم يعقد لهم ذمة معهم. معللاً سبب قيامه بذلك انه فعل ذلك تطبيقاً لوصية الإمام المهدي حيث أمره ان يقر الناس على ملة واحدة، ولكن هذا العمل فيه تعصب أعمى لا يقره الشرع الإسلامي مما أدى ذلك إلى هجرة عدد كبير من اليهود والنصارى إلى بلاد أخرى ومن أسلم منهم لم يكن إسلامه إلا ظاهراً حيث عادوا إلى ديانتهم بعد ان ضعفت أحوال الدولة الموحدية.

- وعندما تولى الحكم ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن 558هـ، كثرت الأموال الجباة من دولته سواء كانت خرجاً أم جزية وكانت هذه الجبايات تنظم وفق الشريعة الإسلامية فلم يفرض مكس ولا ضريبة.
- بعدما تولى الولاية محمد الناصر وحدوث موقعة العقاب الشهيرة في صفر 609هـ / يوليو 1212م فكانت بداية النهاية لهذه الدولة العظيمة التي ذهبت هيبتها، وفي هذه الفترة برز دور اليهود والنصارى بشكل كبير، حيث لعب اليهود دوراً مهماً في الحياة السياسية بين الموحدين والقشتاليين، فأرسل هؤلاء ابراهيم بن أبي الفخار اليهودي سفيراً لهم إلى حضرة مراكش من أجل عقد هدنة مع الموحدين، حيث تنفس اليهود الصعداء في أيام ضعف دولة خاصة في أيام الخليفة المأمون.

أخيراً لا بد من الإشارة على ان الجيوش الإسلامية التي اندفعت إلى بلاد المغرب كان هدفها الأسمى هو نشر الإسلام لسكان البلاد من خلال إرسال الفقهاء الذين تولوا تعليم عرب المغرب الإسلام والقرآن الكريم واللغة العربية.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، نعم المولى ونعم المعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

# المصادر

## اولاً: المصادر العربية


القرآن الكريم.

- ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي، ت 658 هـ / 1260 م.
- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.
- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، ت 630 هـ.
- اسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية، بد. الكامل في التاريخ، دار صادر – بيروت، 1979م.
- ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت 729هـ / 1329 م.
- معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق د. محمد محمود شعبان وصديق احمد عيسى، الهيئة العامة للكتاب، 1976م.
- الادريسي، الشريف أبو عبد الله محمد بن ادريس السبتي، ت 560هـ / 1164م.
- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق، نشر دوزي ودي غوية، ليدن 1893م .
- الازدي، ابو زكريا يزيد بن اياس بن القاسم، ت 334هـ / 945م.
- تاريخ الموصل، تحقيق د. علي حبيبة، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، 1387هـ / 1967م.
- الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي، ت 341هـ.
- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة 1961 م.
- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم السعدي ت668هـ.
- عيون الانباء في طبقات الاطباء، شرح وتعليق وتحقيق نزار رضا، منشورات مكتبة الحياة – بيروت، بد.
- اورنك، محي الدين بن المظفر.
- الفتاوى الهندية، ط2، المكتبة الإسلامية ومكتبة بولاق بمصر ومحمد ازدمير تركيا، 1310هـ.
- ابن بطوطة، شمس الدين ابي عبد الله اللواتي الطنجي،
- تحفة الناظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ / 1997 م.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، 429هـ.
- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة القاهرة،بد
- البكري، ابو عبد الله عبد العزيز الأندلسي، ت 487هـ / 1094م.
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى – بغداد، بد.
- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط1، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1417هـ / 1996م.
- البلاذري، ابو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت 279هـ / 892م.
- فتوح البلدان، شركة الكتب العربية، 1317هـ / 1901م.
- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين الحنبلي.
- كشاف القناع على متن الاقناع، مراجعة وتعليق هلال مصيلحي، مكتبة النصر الحديثة – الرياض، بد.
- البيدق، ابو بكر الصنهاجي، ت القرن السادس الهجري.
- اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين،تحقيق ليفي بروفنسال–باريس،1928م
- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين ت458هـ / 1065م.
- سنن البيهقي، تحقيق محمد ضياء الرحمن، ط1، دار النشر مكتبة المدينة المنورة، 1410هـ / 1989م.
- ابن تغري بردي جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي، ت 874هـ / 1469 م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1383 هـ / 1963م.
- التلمساني، ابو عبد الله محمد بن احمد بن قاسم، ت 781هـ / 1467م.
- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، بد.
- الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد ت816هـ / 1413م.
- كتاب التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1403هـ.
- الجزنائي، ابو الحسن علي، ت أواخر القرن الثامن الهجري.
- زهرة الآس في بناء مدينة فاس، دراسة وتحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد، 1422هـ / 2001م.
- ابن جلجل، ابو داود سليمان بن حسان الأندلسي.

- طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سعيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية – بالقاهر، 1955م.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت597هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار المعارف العثمانية، 1357هـ
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي ت 852 هـ / 1448 م.
- الاصابة في تمييز الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415 هـ / 1995 م.
- ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي، ت456هـ.
- جمهرة انساب العرب، نشر بروفنسال – القاهرة، 1946م.
- الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط1، المطبعة الادبية بمصر، 1317هـ
- الحسن الوزان، الحسن بن محمد الوزان المعروف بجان ليون الافريقي.
- وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1983.
- ابن حنبل، ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني، ت241هـ / 855م.
- مسند الامام احمد، دار الفكر، بيروت – لبنان، بد.
- الحموي، شهاب ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي،ت626هـ
- معجم البلدان، دار صادر للطباعة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1374هـ / 1955 م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، ت 900هـ / 1494م.
- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط1، مكتبة لبنان – بيروت، 1984م.
- ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، ت أواخر القرن الرابع الهجري.
- صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة – بيروت، بد
- ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد ابن عبد الملك، ت 280 هـ / 893 م.
- المسالك والممالك، مكتبة المثنى – بغداد، بد.
- ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني، ت 776هـ / 1374م.
- مشاهدات لسان الدين الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، اعمال الاعلام، القسم الثاني أو تاريخ اسبانيا، تحقيق ليفي بروفنسال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – مصر، 1424هـ 2004م.
- اعمال الأعلام القسم الثاني أو تاريخ اسبانيا الإسلامية،تحقيق ليفي بروفنسال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – مصر، 1424هـ / 2000م.

- اعمال الأعلام القسم الثالث، المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق أحمد المختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964م.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي وعبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية – بغداد، دار النشر المغربية.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شباني، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ / 2003م.
- الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1393هـ / 1973م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت 808 هـ / 1405 م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1958 م.
- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين بن محمد بن ابي بكر، ت 681هـ / 1282 م.
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة – بيروت / 1968م.
- ابن خياط، ابو عمرو خليفة العصفوري، ت 240 هـ / 854 م.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق وتصحيح اكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الاداب – بغداد 1967 م.
- الدباغ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري، ت 696هـ / 1296 م
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، اكمله وعلق عليه ابو الفضل القاسم بن عيسى، ت839هـ تصحيح وتعليق ابراهيم شبوخ، ط2، مكتبة الخانجي – مصر، 1968 م.
- ابن دحية، ذي النسبين ابي الخطاب عمرو بن حسن، ت 633 هـ.
- المطرب من اشعار أهل المغرب، تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد الحميد وأحمد بدوي، مراجعة طه حسين 1993م.
- ابن أبي دينار، ابو عبد الله بن ابي القاسم القيرواني، ت 1110هـ/ 1698م
- المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، ط3، المكتبة الفقهية – تونس، 1387 هـ.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت 748هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، 1418هـ / 1998م.
- سير اعلام النبلاء، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر – بيروت، 1402هـ.

- الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر، ت 666هـ.
- مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، لبنان– بيروت، 1401هـ/ 1981م
- الرقيق القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم القيرواني، ت417ه / 1206م.
- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، مطبعة الوسط – تونس، 1967م.
- ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله، ت 741 هـ.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1972 م.
- الزركشي، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم، كان حياً سنة 894 هـ.
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط3، المكتبة العتيقة – تونس، 1966 م.
- السراج، محمد بن محمد الأندلسي الوزير، ت 1149 هـ.
- الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب، الدار التونسية للنشر، بد.
- ابن سعد، محمد بن منيع البصري، ت 230 هـ / 844 م.
- الطبقات الكبرى، دار صادر – بيروت، 1957 م.
- ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى، ت 685هـ.
- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، طبع دار المعارف، بد
- الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت، 1971م.
- السلاوي، ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت 1897 م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق ولدي المؤلف جعفر وخالد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، 1954 م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، ت 911 هـ.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مكتبة الشرق الجديد، بغداد – العراق، دار العلوم الحديثة، بيروت – لبنان، 1987 م
- الشافعي، محمد بن ادريس، ت 204 هـ / 819 م.
- الأم، مطبعة بولاق – مصر، 1325هـ.
- شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي، ت 727هـ.

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في مدينة بطر بورغ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، 1218هـ / 1865 م.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر ت 579هـ.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام بنشره السيد الباز العريني، اشراف محمد مصطفى زيادة، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، 1365هـ / 1946م.
- الضبي، أحمد بن عيسى، ت 310هـ / 922م.
- بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، ط1، دار الكتاب العربي، 1986 م
- الطبري، محمد بن جرير، ت 310هـ / 922م.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت – لبنان، بد.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، ت463هـ / 1070م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1412هـ.
- ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت 257هـ / 870 م
- فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله انيس الطباع، دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1964م.
- فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي – القاهرة، 1961 م.
- ابن العبري، غريغوريوس الملطي، ت 1286م.
- تاريخ مختصر الدول، تعليق الآب انطوان الصالحي اليسوع، ط2، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، 1958م.
- ابو عبيد، القاسم بن سلام، ت 224هـ.
- الأموال، تحقيق محمد خليل، دار الكتب العلمية – بيروت، بد.
- ابن عذاري، ابو العباس أحمد بن محمد المراكشي، ت 695هـ / 1296م.
- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، جـ1 تحقيق ج س، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت، بد.
- البيان المغرب قسم المرابطين، تحقيق احسان عباس، ط1، دار الثقافة – بيروت، 1967م.
- البيان المغرب قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني واخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب 1406هـ / 1985م.
- العلوي، سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسيني، ت 1204هـ / 1790م.

- طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب المشاهير المالكية والامام الخطاب، دراسة وتحقيق عبد الله بن ادريس بن ابي بكر، المملكة المغربية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية 1420هـ / 1999م.
- الفيروز ابادي، محب الدين محمد بن يعقوب ابو طاهر، ت 817هـ.
- القاموس المحيط، ط4، مطبعة دار المامون، 1357هـ.
- ابن القاضي، احمد بن محمد المكناسي، ت 1025هـ / 1613م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة 1973م.
- قدامة بن جعفر، ابو الفرج، ت 337 هـ.
- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق وتعليق محمد حسن الزبيدي، دار الحرية – بغداد، 1981 م.
- ابن القطان، ابو الحسن علي بن محمد الفاسي، ت 628هـ.
- نظم الجمان في اخبار الزمان، تحقيق وتعليق محمود علي مكي، منشورات كلية الاداب، جامعة محمد الخامس – الرباط، بد.
- ابن القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف.
- اخبار العلماء باخبار الحكماء – مطبعة مصر، 1326هـ.
- القلقشندي، احمد بن علي، ت 821هـ.
- صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق خالد الخطيب، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1317 هـ / 1987 م.
- ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، ت 367هـ – 977م
- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتعليق عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعين، 1957 م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين بن ابي بكر، ت 751 هـ.
- احكام أهل الذمة، تحقيق سيد عمران، دار الحديث – القاهرة، 1424 هـ / 2003 م.
- الكاساني، علاء الدين ابو بكر بن مسعود، ت 587هـ.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتاب العربي – بيروت، 1982 م.
- الكتبي، محمد بن شاكر، ت 764 هـ.
- فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة – بيروت، 1964 م.
- الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف المصري، ت بعد سنة 353هـ.
- كتاب الولاة والقضاة، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل واحمد فريد المزيدي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424هـ / 2003م.

- ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت275هـ / 888م.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، 1395هـ / 1975م.
- المالكي، ابو بكر عبد الله بن محمد، ت بعد عام 453 هـ / 1060 م.
- رياض النفوس، تحقيق د. حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1951 م.
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي، ت450 هـ / 1058م
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دراسة وتحقيق محمد جاسم الحديثي، مطبعة المجمع العلمي، 1422هـ / 2001م.
- الرتبة في طلب الحسبة، منشورات دار الرسالة – القاهرة، 1423هـ / 2002م.
- الجليدي، احمد سعيد.
- التيسير في أحكام التعسير، تحقيق وتعليق موسى لقبال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1981م.
- مجهول، ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.
- اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها والحرب الواقعة بينهم، طبع في مدينة مجريط بمدينة ربندير، 1867م.
- مجهول لكاتب مراكشي من القرن السادس الهجري.
- الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية – بغداد، بد.
- مجهول، مؤلف من القرن الثامن الهجري.
- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية – تونس، 1329هـ.
- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، ت 647هـ.
- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق د. حسين مؤنس، ط1، مطبعة الثقافة الدينية – بور سعيد، 1997.
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي – القاهرة، 1963م.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، ت 346هـ.
- مروج الذهب ومعدن الجوهر، دار الأندلس- بيروت، 1965م.
- المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد المعروف بالبشاري، ت 375هـ
- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، ليدن بريل، 1906م.

- المقري، احمد بن محمد التلمساني، ت 1041هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، بد.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، ت 711هـ.
- لسان العرب، دار صادر – بيروت، بد.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت 732هـ.
- نهاية الارب في فنون الادب، ج8، ط1، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1350هـ / 1931 م.
- نهاية الارب في فنون الادب، ج24، تحقيق د. حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الاهواني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 1403هـ / 1983م.
- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن واضح، ت 292هـ.
- كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1892م.
- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم القاضي، ت 182هـ / 799م.
- الخراج، ط3، المطبعة السلفية – القاهرة، 1382هـ.

**ثانياً – المراجع العربية:**

- ابراهيم، فؤاد أحمد.
- الموارد المالية في الإسلام، مطبعة البوسفور، دار الشروق العربي – القاهرة، 1968 م.
- اسماعيل، محمود.
- الخوارج في المغرب الإسلامي((ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا))، دار العودة – بيروت، 1976 م.
- اسماعيل، عثمان عثمان.
- تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة – بيروت، 1395هـ / 1975م.
- امين، احمد.
- ضحى الإسلام، ط1، دار الكتاب العربي، بد.
- ظهر الإسلام، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مكتبة النهضة العربية، 1966 م.
- البستاني، بطرس.
- دائرة المعارف مؤسسة المطبوعات الإسماعيلية – طهران، دار المعرفة – بيروت، بد.
- التازي، عبد الهادي.

- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور إلى اليوم، مطبعة اكاديمية المملكة المغربية، 1407هـ / 1987م.
- الجمل، ابراهيم محمد.
- الامام عبد الله بن ياسين الفقيه، المفكر والداعية والقائد والمجاهد، دار الاصلاح للطبع والنشر – القاهرة، 1981م.
- الجمل، شوقي.
- المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، ط2، المكتبة المصرية للتوزيع، 1997م.
- الجنحاني، الحبيب.
- القيروان عبر العصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، 1968م.
- المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية 3-4هـ / 9-10م، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1977م
- الجيلالي، عبد الرحمن.
- تاريخ الجزائر العام، بيروت – لبنان، 1965م.
- حتي، فيليب.
- تاريخ العرب مطول، دار الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان، 1950م
- الحجي، عبد الرحمن علي.
- التأريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ / 711-1492م، ط1، دار الحكم، دمشق، بيروت، دار العلم، الكويت، الرياض، 1396هـ / 1976م.
- حركات، ابراهيم.
- المغرب عبر التاريخ، ط1، دار البيضاء، 1965م.
- الحريري، محمد عيسى.
- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني، 610-1213هـ / 869-1465م، ط2، دار العلم للنشر والتوزيع – الكويت، 1408هـ / 1987م.
- حسن، حسن ابراهيم.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، 1964م.
- حسن، علي ابراهيم.

- التاريخ الإسلامي العام، الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية، ط3، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1972م.
- عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، ط1، دار الثقافة – دار البيضاء، 1406هـ / 1985م.
- يعقوب المنصور الموحدي، ط1، دار الثقافة – دار البيضاء، 1406هـ / 1986م.
- حقي، احسان
- المغرب العربي، منشورات دار اليقضة العربية للتاليف والنشر والترجمة، بد.
- الخربوطلي، علي حسين
- الإسلام وأهل الذمة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، 1969م.
- الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الانجلو المصرية، بد.
- خطاب، محمود شيت
- قادة فتوح المغرب العربي، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت، 1386هـ / 1966م.
- الخليفة، حامد محمد.
- يوسف بن تاشفين بطل معركة الزلاقة، ط1، مكتبة الصحابة، الامارات الشارقة، مكتبة التابعين – القاهرة، 1425هـ / 2004م.
- ابن الخوجة، محمد الحبيب.
- يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية – قسم البحوث والدراسات الفلسطينية 1973م.
- دبوز، محمد علي.
- تاريخ المغرب الكبير، دار احياء الكتب العربية، 1382هـ م 1963م.
- دروزة، محمد عزه.
- تاريخ العرب تحت راية الخلفاء الامويين، المكتبة المصرية – بيروت، 1383هـ / 1963م.
- العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر الهجري، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1982م.
- دنيا، عبد العزيز حافظ.
- موسى بن نصير، حياته وعصره، الدار القومية للطباعة والنشر، بد.
- الدهبي، ادوار غالي.
- معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة الغريب – القاهرة، 1993م.
- الدوري، ابراهيم ياس.

- عبد الرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر، 1982م.
- الدوري، تقي الدين عارف.
- صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى غزو النور منـدي، دار الرشيد للنشر – بغداد، 1980م.
- ابو دياك، صالح فياض.
- الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين، ط1، مكتبة الكتـاني، 1988م.
- ذنون، عبد الواحد.
- الفتح والاستقرار العربـي والإسـلامي في شمـال افريقيـا والأنـدلس، دار الرشـيد للنـشر، 1982م.
- الوافعي، مصطفى.
- الإسلام نظام انساني، ط2، دار مكتبة الحياة، بد.
- الرفاعي، انور.
- النظم الإسلامية، دار الفكر، 1393هـ / 1973م.
- ابو رميلة، هشام.
- علاقات الموحدين بالممالك النـصرانية والـدول الإسـلامية في الأنـدلس، ط1، دار الفرقـان، 1404هـ / 1984م.
- الريس، محمد ضياء الدين.
- الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية، ط3، دار المعارف، 1969م.
- الزيات، احمد حسن.
- المعجم الوسيط، مطبعة مصر شركة مساهمة، 1380هـ / 1960م.
- زيدان، جرجي.
- تاريخ التمدن الإسلامي، ط2، دار مكتبة الحياة – بيروت، بد.
- زيدان، عبد الكريم.
- احكام الذميين والمستامنين في دار الإسلام، ط1، ساهمت جامعة بغداد على طبعه، 1382هـ / 1963م.
- مجموعة بحوث فقهية، مكتبة القدس –بغداد، مؤسسة الرسالة –بيروت 1356هـ/ 1976 م.
- سابق، سيد.

- فقه السنة، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1419هـ / 1998م.
- سالم، عبد العزيز، احمد مختار العبادي.
- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1969م.
- سالم، السيد عبد العزيز.
- تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، 1981م.
- المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر – الاسكندرية، 1982م.
- السامرائي، خليل ابراهيم.
- علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية والأندلسية وبالدول الإسلامية، دار الشؤون الثقافية – بغداد، 1985م.
- تاريخ المغرب العربي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل، 1988 م.
- السامرائي، كمال.
- تاريخ الطب العربي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة – بغداد 1985م.
- السباعي، مصطفى.
- نظام السلم والحرب في الإسلام، ط3، دار الوراق ودار التيسير للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ / 2001م.
- السعيد، محمد مجيد.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرشيد للنشر 1980م
- الشاهري، مزاحم علاوي.
- الاوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد بني مرين 668-759هـ/ 1269-1358م، دار الشؤون الثقافية – بغداد 2001م.
- الشرقاوي، محمد عبد المنعم.
- ملامح المغرب العربي، مطبعة الاسكندرية – مصر، 1959 م.
- الشرقاوي، محمود.
- المغرب الاقصى مراكش،ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الانجلوالمصرية،بد
- الصالح، صبحي.
- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط2، دار العلم للملايين – بيروت، 1388هـ / 1968م.

- الصلابي، محمد محمد علي.
- الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة، 1424هـ / 2003م.
- دولة المرابطين، ط1، مكتبة الايمان – القاهرة، 2004 م.
- دولة الموحدين، ط1، دار البيارق – عمان، 1998م.
- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1424هـ / 2003م.
- فصل الخطاب في سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1424هـ / 2003م.
- معاوية بن ابي سفيان شخصيته وعصره الدولة السفيانية، ط1، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1427هـ / 2006م.
- الدولة الاموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع 1426هـ / 2005م.
- ضيف، شوقي.
- عصر الدول والامارات((الجزائر، المغرب الاقصى، موريتانيا، السودان))، ط1، دار المعارف بمصر، 1990م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح.
- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط2، منشورات ذات السلاسل، 1406هـ / 1986م.
- العبادي، احمد المختار.
- من تاريخ الأندلس والمغرب، مؤسسة الثقافة الجامعية – الاسكندرية، بد.
- عبد الحميد، سعد زغلول.
- تاريخ المغرب العربي، مطبعة اطلس – القاهرة، 1978م.
- تاريخ المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة المعارف العامة – مصر، 1979م
- عبد الرحمن، د- صباح.
- النشاط الاقتصادي ليهود العراق 1917 – 1952م، بيت الحكمة – بغداد، 2002م.
- ابن عبد الله، عبد العزيز.
- الطب والاطباء في المغرب، المطبعة الاقتصادية، 1380هـ / 1960م.

- الفن المعماري بالمغرب والاندلس الاخذ والعطاء والتراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، 1421هـ / 1992م.
- الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، 1401هـ / 1981م.
- عبد المجيد، محمد بحر.
- اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970م.
- عبد محمد، سوادي.
- دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة وزارة التعليم العالي-البصرة 1989م
- عبد الوهاب، حسن حسني.
- ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، ط2، مكتبة المنار – تونس، 1972م.
- العدوي، ابراهيم أحمد.
- موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، دار الكتاب العربي، 1967م.
- العربي، اسماعيل.
- الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1403هـ / 1983م.
- عز الدين، احمد موسى.
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، 1403هـ / 1983م.
- عطية الله، أحمد.
- القاموس الإسلامي , مكتبة النهضة المصرية، 1383 هـ / 1963 م.
- علام، عبد الله.
- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف – مصر، 1968م.
- عنان، محمد عبد الله.
- عصر المرابطين والموحدين، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة – القاهرة، 1383هـ / 1964م.
- الغربي، محمد.
- بداية الحكم العربي للسودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر – الكويت، دار الرشيد للنشر – بغداد، 1982.

- الغيلاني، محمد.
- تاريخ المغرب العربي، طبع في القاهرة – الروضة، 1377هـ / 1957م
- فروخ، عمر.
- العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى اخر عصر الولاة 138هـ / 756م، ط1، منشورات المكتب التجاري – بيروت، 1378هـ / 1959م.
- فوزي، فاروق عمر.
- عصر الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، دار الشروق، عمان الاردن، 1988م.
- قاسم، عبده قاسم.
- اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، 1980م.
- القرضاوي، يوسف.
- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مطبعة وهبة، بد.
- الكبيسي، حمدان عبد المجيد.
- النشاط المصرفي في الدول العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، بيت الحكمة، 2000م.
- كنون، عبد الله.
- النبوغ المغربي في الادب العربي، ط3، دار الكتاب اللبناني 1395هـ / 1975م
- لاشين، محمود مرسي.
- التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العربي – بيروت، 1977م.
- لقبال، موسى.
- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1981 م.
- المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر – الجزائر، 1981 م.
- مجموعة باحثين.
- الموسوعة الفقهية، ط1، طبع وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية–الكويت، بد.

- محمود، حسن احمد.
- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، 1957م.
- المسيري، عبد الوهاب.
- موسوعة اليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 2004م.
- مصطفى، شاكر.
- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط1، مطبعة ذات السلاسل، 1408هـ / 1988م.
- المطردي، محمد عبد الهادي.
- عقد الذمة في التشريع الإسلامي، ط2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس – ليبيا، 1396هـ / 1987م.
- معلوف، لويس.
- المنجد، ط21، دار الشرق، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، 1986م.
- مؤنس، حسين.
- فجر الأندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة، 1959م
- فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، بد.
- الثغر الاعلى للأندلس في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى 512هـ / 1118م مع اربع وثائق جديدة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ / 1994م.
- معالم تأريخ المغرب والأندلس، مكتبة الاسرة ودار الرشاد– مصر 2004م
- اطلس تاريخ الإسلام، ط1، مطبعة الزهراء للاعلام العربي – القاهرة، 1407هـ / 1987 م.
- المنوني، محمد.
- العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتاليف والنشر – الرباط، 1397هـ / 1977م.
- النواوي، عبد الخالق.
- النظام المالي في الإسلام، دار الاتحاد العربي للطباعة ودار النهضة العربية – القاهرة، 1973م.
- الهرفي، سلامة محمد.
- دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، 1405هـ / 1985م.

- وجدي، محمد فريد.
- دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر – بيروت، بد.
- اليوزبكي، توفيق سلطان.
- أهل الذمة في العراق 12-247هـ ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض – السعودية، 1403هـ / 1983م.
- دراسات في النظم العربية والإسلامية، مطبعة وزارة التعليم العالي – جامعة الموصل، 1397هـ / 1977م.

**ثالثاً - المراجع المترجمة إلى العربية:**

- أ. س، ترتون.
- أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق حسن حسني، طبع ونشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد – مصر، 1942م.
- اشباخ، يوسف
- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1377هـ / 1958م.
- أ. ي بليابيف.
- العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية د. انيس فريحة، مراجعة محمود زايد، ط1، الدار المتحدة للنشر، بيروت – لبنان، 1973م.
- بالنثيا، انخل جنثالث.
- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة عن الاسبانية حسين مؤنس، ط1، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، 1955م.
- بروكلمان، كارل.

- تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف – مصر، 1975م.
- بروفنسال، ليفي.
- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين، مراجعة لطفي عبد البديع، مطبعة نهضة مصر، بد.
- بل، الفرد.
- الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع– بنغازي 1969م
- جوليان، شارل اندري.
- تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1969م.
- دنيت، دانيل.
- الجزية والإسلام، ترجمة فوزي فهمي جاد الله، مراجعة احسان عباس، دار مكتبة الحياة – بيروت، بد.
- ديورانت، ول.
- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، طبع الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ولجنة التأليف والترجمة والنشر، بد.
- ر. دوزي.
- تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حسني وجمال محرز د. مختار العبادي، دار المعارف، 1963م.
- س. د، جواتياين.

- دراسات في التأريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب تحقيق الدكتور عطية القوصي، ط1، وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم – بيروت، 1980م
- فلهوزن، يوليوس.
- تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله من الالمانية محمد عبد الهادي ابو ريده، راجعه د. حسين مؤنس، ط2، لجنة التأليف والترجمة، 1968م.
- لاندرو، روم
- الإسلام والعرب، ترجمة منير بعلبكي، ط2، دار العلم للملايين – بيروت، 1977م.
- لوتورنو، روجيه.
- فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر – بيروت، نيويورك، 1967م.
- متز، آدم.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابو ريده، ط3، مطبعة لجنة التاليف والنشر – القاهرة، 1377هـ / 1957م.
- هونكة، زنغريد.
- شمس العرب ستطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، تعليق فاروق عيسى الخوري، ط3، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع – بيروت، بد.

**رابعاً – الرسائل الجامعية**

- بشير، صحراوي.
- العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، 1403هـ / 1983م.
- حمودي، اسراء طارق.

- امير المسلمين يوسف بن تاشفين وسياسته في المغرب وسياسته في المغرب والأندلس 400-500هـ / 1009-1106م، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات – جامعة الانبار، 1423هـ / 2002م.
- الخالدي، خالد يونس.
- اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس 92-897هـ / 711-1492م، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، 1420هـ / 1999م.
- الكعبي، هاشم ناصر.
- المنصور الموحدي دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، 1415هـ / 1994م.
- لعيبي، كريم علي.
- النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، 1414هـ / 1993م.
- لعيبي، كريم علي.
- اسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، 1418هـ / 1997م ,

**خامساً – المجلات والدوريات:**

- حركات، ابراهيم.
- الاوضاع العالمية عند ظهور الإسلام، مجلة دعوة الحق، ع5-6، س13، 1390هـ / 1970م.
- دادة، محمد.
- لمحات عن يهود الجزائر منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م، مجلة دراسات تاريخية – جامعة دمشق، س7، ع 21-22، اذار – حزيران 1986م.

- دسوقي، فاروق أحمد.
- أوضاع اليهود في الدولة العربية، بحث منشورات على شبكة الانترنيت موقع الوطن نت.
- ابو دياك، صالح فياض.
- فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، مجلة المؤرخ العربي، ع34، س13، 1409هـ / 1988م.
- تعريب المغرب ابان الفتوحات الإسلامية إلى نهاية بني الاغلب، مجلة المؤرخ العربي، ع30، س12، 1407هـ / 1986م.
- زيتون، محمد محمد.
- الفتح الإسلامي لشمال افريقيا، مجلة المؤرخ العربي، ع16، س1981.
- شحلان، احمد.
- الطب في المغرب العربي حتى نهاية عصر الموحدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس – الرباط، ع5 -6، س1970
- عاشور، سعيد عبد الفتاح.
- الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مج1، ابريل – يونيو، 1980م.
- العامري، محمد بشير.
- كشاف عن مشاهير الاطباء الأندلسين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، ع12، 2001م.
- حقائق تاريخية من واقع اليهود وتصرفاتهم في الأندلس، مجلة كلية المامون الجامعة – بغداد، ع10، س2003.
- العبادي، احمد مختار.
- دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، مجلة تطوان، ع5، س1960.

- ابن عبد الله، عبد العزيز.
- المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج6، ع1-2، بد.
- عبد محمد، سوادي.
- الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثالث إلى السابع الهجري، مجلة آداب المستنصرية، ع13، س 1406هـ - 1986م.
- العبيدي، ابراهيم خلف.
- البرغواطيون في المغرب العربي، 125-542هـ، مجلة المؤرخ العربي، ع29س12، 1406هـ - 1986م.
- مؤنس، حسين.
- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، 520-540هـ / 1126-1245م، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية - مدريد، ع34، س1945م.

## سادساً - المراجع الاجنبية:

The Encyclopedia of islam , Vol2 , Art , kibt , Leyden , London , 1927.